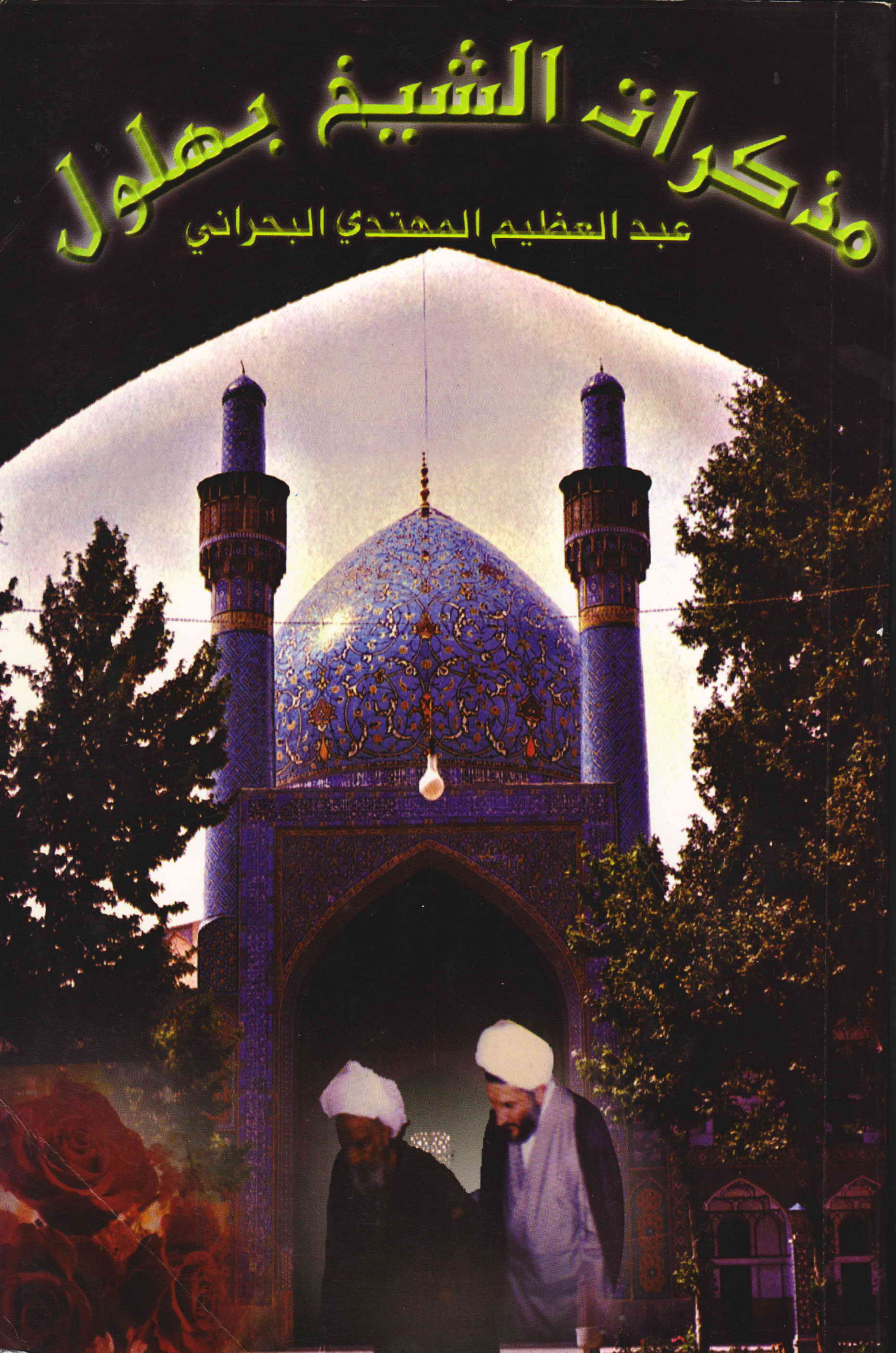
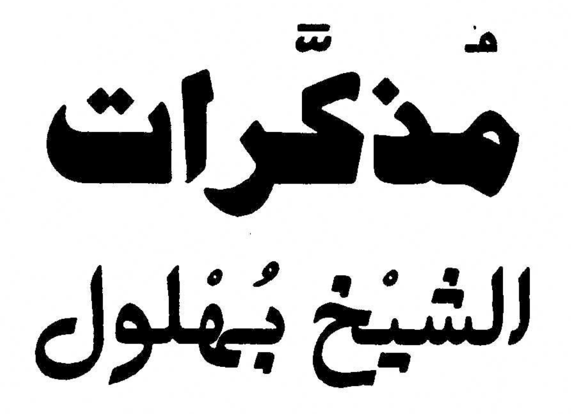
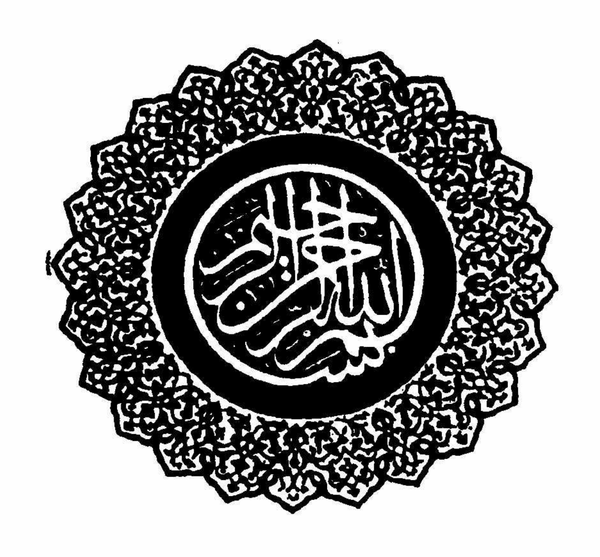

مذكرات الشيخ بهلول
عبد العظيم المهتدي البحراني



مِن روائع قِصص العقيدة والأخلاق . وعجائب الصبر والزهد والتواضع . وفنّ الحوار . وأدب الإنفاق والتعليم . إنّها مواقف حقّ إمْتَزَجَتْ في رَجُل .

نقلها إلى العربية ورتّبها

عبد العظيم المهتدي البحراني



الطبعة الثالثة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

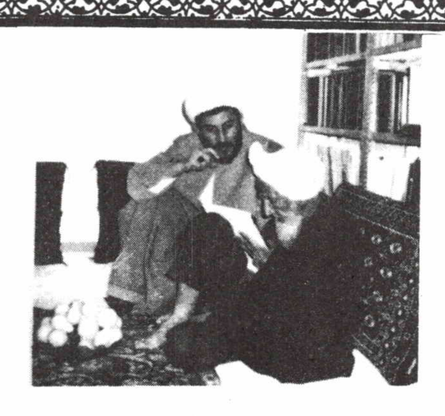
مكتبة سفينة النجاة

الكويت - السالمية

شارع أبو ذر الغفاري مقابل الدائري الخامس

مذكرات

الشيخ بُهلول



صورة المؤلف وهو يكتب للمترجم ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد اجزت للشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني

مترجم كتابي المسمى بمذكرات الشيخ بهلول

ان ينشر ما ترجمه الى العربية وفقه الله تعالى

ثالث جمادى الثانية

١٤١٥

مشهد المقدسة

محمد تقي البهلول

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أجزتُ للشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني مترجم كتابي المسمّىٰ بمذكّرات الشيخ بهلول أن ينشر ما ترجمه إلىٰ العربيّة وفّقه الله تعالىٰ.

ثالث جمادي الثانية ١٤١٥هـ

مشهد المقدّسة

محمّد تقي البهلول



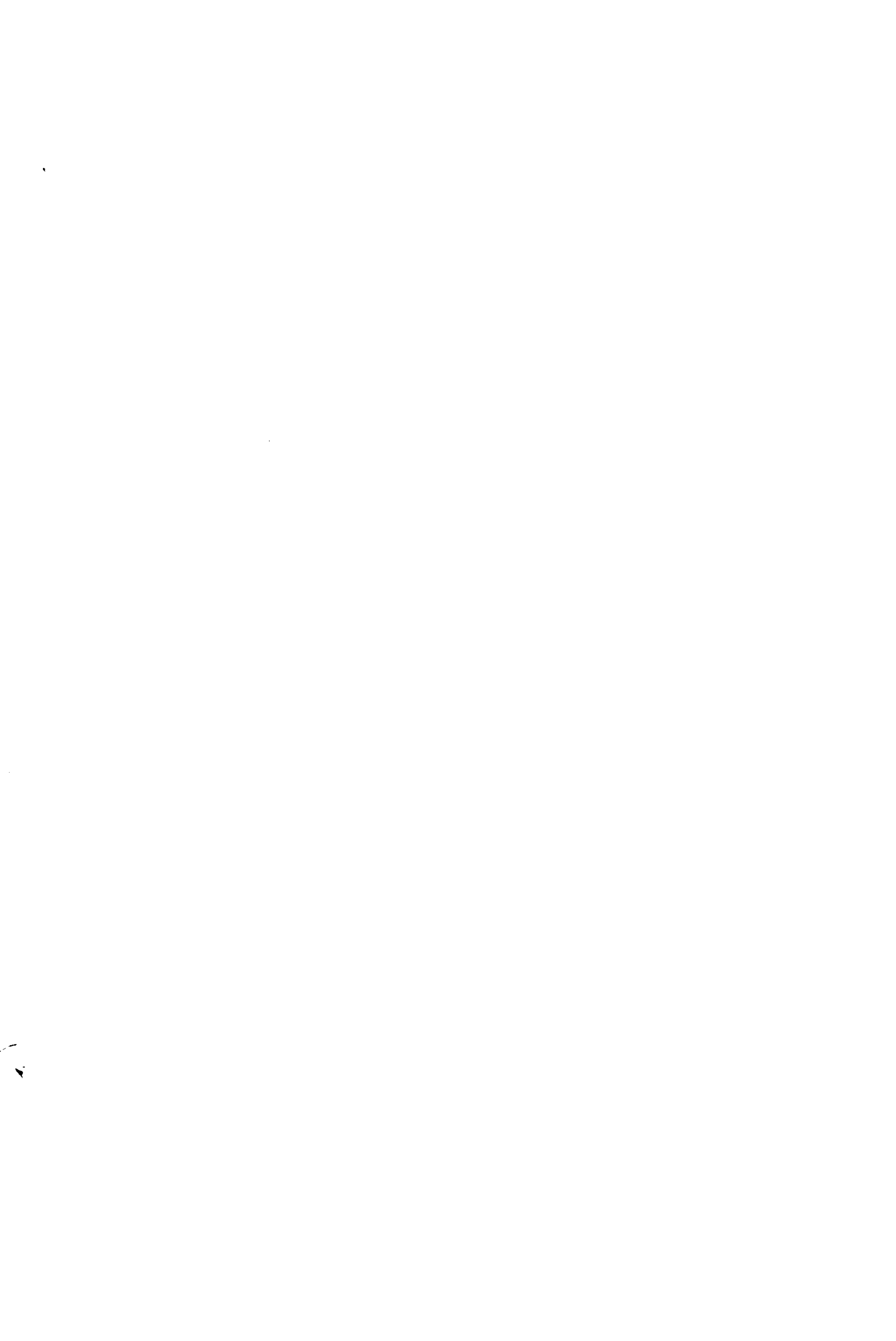




قال الله تعالىٰ

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظُروا كيف كانَ
عاقبةُ الّذينَ مِن قبلِهم ولَدارُ الآخرةِ
خيرٌ لِلّذينَ اتّقوا أفَلا تَعقِلون ﴾

سورة يوسف / ١٠٩



وقال رسول الله ﷺ

« يكفيكم مِن العِظة ذِكْـرُ الموت ، ويكفيكم مِن التـفكُّر ذِكْـرُ الآخـرة ، ويكـفيكم مِـن العبادة الورع ، ويكفيكم مِن الاستغفار تركُ الذنوب ، ويكفيكم مِن الدعاء النصيحة . فمَن كان فيه مِن هذه الخصال واحدة دَخَلَ الجنَّة مع أوّل زمرة مِن الأنبياء » .

جامع الأخبار / ص ٣٥٩



وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام

« وتدبّروا أحوال الماضين مِن المؤمنين قبلَكم، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء، ألَم يكونوا أثقَلَ الخلائق أعباءً، وأجهَدَ العباد بلاءً، وأضيَقَ أهل الدنيا حالاً، اتخَذَتهم الفراعنةُ عبيداً فساموهم سوءَ العذاب، وجرّعوهم المُرار، فلم تَبرَحْ الحالُ بهِم في ذُلّ الهَلَكة، وقَهر الغَلَبة، لا يَجِدون حيلةً في امتناع، ولا سبيلاً إلىٰ دفاع، حتىٰ إذا رأىٰ الله سبحانَه جِدَّ الصَبر منهُم علىٰ الأذىٰ في محبَّتِه، والإحتمالَ لِلمَكروهِ مِن خَوفِه، جَعَلَ لهُم مِن مضايق البلاء فَرَجاً، فَأبدَلَهُم العِزَّ مكانَ الذُّلّ، والأمنَ مكانَ الخَوف، فصاروا ملوكاً حكّاماً، وأئمّةً أعلاماً ».

المعجم الموضوعي لنهج البلاغة / ص ٢١٢.



الإهداء

الىٰ

الذين يُبشِّرون بالأمل الموعود ...

ويُعِدّون له الطريق بأجمل الورود ...



كلمة الناشر

أنت و هذا الكتاب

إن ما يكتبه الإنسان لغيره من مذكّرات حول تجارب حياته يُعتبَر خدمةً عظيمة له ، لأنّه يقدّم بها ما يُغني الإنسان من صرف عمره في شيء لا يَعْلَم عاقبته ، فهو لمّا يطالع تجربة السابقين سوف يعلم العاقبة وبالتالي يعلم أين يضع وقته وعمره . لذلك أوصىٰ أمير المؤمنين عليه السلام إبنه الحسن عليه السلام : **« ولْتَستَقْبِل بجِدٍّ رأيِكَ مِن الأمر ما قد كفاكَ أهْلُ التجارب بُغْيَتَه وتَجْرُبَتَه فتكون قد كُفيتَ مؤنةَ الطَّلَب وعوفيتَ مِن علاجِ التجربة »** .

أيّها القاريء الكريم انّ في قراءتك لهذا الكتاب القصصي الشيّق قراءةً متأمّلةً سلامةً لك من العواطب ، وبإستغنائك عنه أو القراءة من غير تأمّلٍ وعبرة سوف تُعمي نفسك عن النظر إلىٰ العواقب ، والخاسر حينئذ لا يكون إلّا أنت ومن إرتبط بك، وإذا كان الظفر والنجاح معقوداً علىٰ الحزم وإتخاذ القرار فإنّ ذلك لا يأتي إلّا بتجارب الإنسان نفسه أو ما وصل إليه الآخرون في تجاربهم، وهكذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: **« لولا التجارب عَميتْ المذاهب وفي التجارب عِلْمٌ مَسْتَأنَف »**.

قليلةٌ هي الكتب التي تأخذ لُبَّ القاريئ وتشدُّه الىٰ الصفحة الأخيرة، وهذا الكتاب منها بكل جزم وتأكيد.

فما يقع بين أناملك حتىٰ ينقلك من عنوان إلىٰ عنوانٍ أكثر روعة وإثارة، يُضحِكُك تارةً ويُكسِر قلبك ليُحييَها تارةً ثانية، ويرقرق دمعتك حزناً أو فرحاً تارةً ثالثة، ثم يجعلك تستجمع قواك متحفزاً بالحماس في رابعة.

والذي زاد في حلاوته وجاذبيّته هو ما ورد فيه من قصص واقعية ذات روح معنوية صادقة، فهي ليست من نسيج الخيال إنّما هي تجاربُ حقيقية صاغها رجلٌ ذاع صيْتُه بين رجال الدين وفي أوساط الناس والسياسيين، انّه بهلول زماننا ... !!!

فجزىٰ اللّه تعالىٰ سماحة الشيخ بهلول علىٰ كتابته لمذكراته النافعة جداً رغم اختصارها. وجزىٰ اللّه تعالىٰ فضيلة الشيخ المهتدي علىٰ اختياره الحكيم لترجمة هذا الكتاب.

نرجو بإقتنائك له وقراءتك الدقيقة والمتسَلسلة فيه أن تستأنف علماً جديداً في الإنطلاق نحو الأفضل، وعلىٰ الله توكّل.

الناشران

مؤسسة الامام محمد الجواد عليه السلام / طهران

مكتبة الشريف الرضي / قم المقدسة

مقدمــة المترجم
في الطبعة الثانية

أولاً: شُكْرٌ وتحيّةٌ واعتذار

بلغني من قرّاءٍ كثيرين ـ مشافهةً وعبر آخـرين ـ شُكْـرُهم علىٰ ترجمتي لهذا الكتاب القيّم ، وأخبرني (الناشر) عن نفاد الطبعة البيروتية الأُولىٰ في وقت قصير نسـبياً ، وتأكّـدتْ لي صحةُ كلامه من خلال توارد الطلب وكثرة السؤال عن موعد الطبعة الثانية . وكعادتي لدىٰ تكرار الطبعات لمؤلفاتي أُحاول معاودة النظر إليها ، فلعلّ جديداً يطرأ ببالي فأفيد به القـارئ العزيز . بهذا القصد أعدتُ قـرائـتي فـي الكـتاب بـعد أربـع سـنوات فـفاجئتْني أغـلاط مـطبعية وفـنّية مـزعجة للـغاية . فجمدتْ أناملي عـلىٰ الكـتاب وأخـذتُ فـي عـتاب نـفسي وازددتُ فيه كلّما تصوّرتُ حال القارئ كيف كان مع الأغلاط. ثمَّ سعياً في محاسبة النفس حاولتُ إرجاع ذاكرتي إلىٰ الوراء ، أستطلع الظروف التي كانت تحيطني في مدينة مشهد المقدسة

حين الترجمة وأثناء صنف الحروف والطباعة . فتذكّرتُ شدّة اشتغالي في تأليف كتاب (قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين) وفي أمور أُخرىٰ ، مما جعلتْني أُعوّل في أمر الكتاب علىٰ أحد الأخوة ، وهو كان معوّلاً عليّ في مهمّة المراجعة النهائية ، لعلمه بـ(حسّاسيّتي الشديدة) تجاه الأغلاط التي تقع عند أغلب الطبّاعين حين الضرب علىٰ الحروف وصفّ الكلمات .

هكذا حصل في الطبعة الأُولىٰ ما لم نودّ حصوله ، وهذا قد فرض عليّ واجب الاعتذار إلىٰ القرّاء الكرام الذين تجاوزوا النظر إلىٰ نواقص تلك الطبعة وبعثوا لي بمشاعرهم النبيلة شكرهم وتقديرهم. ولكنّي مكافأةً لهم وعملاً بالآية الكريمة : ﴿وإذا حُيِّيتُم بتحيّة فحيّوا بأَحْسَنَ منها أو رُدّوها﴾ ورغم قلّة الوقت ألزمتُ نفسي أن أقوم في هذه الطبعة بصياغة جديدة للكتاب ومراجعة دقيقة له بعد صفّ الحروف ، ليعود الكتاب إلىٰ الأحباب بحُلّة جميلة ومرضيّة عند الله عزّوجلّ .

أشكُرُ الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة وهو الذي جعل الشُكْر فوزاً للشاكرين وزيادة لهم قائلاً : ﴿لَئِنْ شكرتُم لأزيدنّكُم﴾ .

كما أشكر القرّاء الأعزّاء شُكْراً تدوم معه الصلة بيننا لإعلاء كلمة الله التي لاتكون إلاّ في إحياء تراث مدرستنا مدرسة أهل

بيت المصطفىٰ (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم بما لايُحصىٰ).

ثانياً: لقاءٌ بعد أربع سنوات

في الساعة الخامسة من عصر يوم الجمعة (٢٥ جمادىٰ الثانية عام ١٤١٩هـ.) الموافق لـ(١٦ / اكتوبر / ١٩٩٨م) حصل بيني وبين سماحة العلّامة الكبير الشيخ بُهلول لقاء في طهران استغرق ساعة واحدة. ولكن بسبب كِبَر سنّه وصعوبة التحدّث معه فضّلتُ عدم إطالة الجلوس عنده، سيّما أن تلك الساعة من عصرالجمعة من أهم أوقات الدعاء لدىٰ رجال الله، فلم تكن مزاحمتي له من مصاديق (وزاحم العلماء بركبتيْك).

خلال هذه الساعة التي زرتُ فيها سماحة الشيخ في منزل المؤمن الخيّر الحاج ميري (دام فضله) جرىٰ ما يلي[١]:

أوّل دخوله إلىٰ الغرفة قمتُ وقبّلت يده، ثم ساعدتُه في الجلوس وجلستُ معه: سألته عن حاله؟

قال: الحمد لله علىٰ ابتلاءات الشيخوخة.

---

(١) الحاج ميري رجل صالح من المحسنين، كان صاحب محلّ بيع الأدوات المنزلية فباع المحل وأعطىٰ رأس ماله لأولاده يعملون في السوق وهو تفرّغ لخدمة القضايا الدينية، يقول انّ منذ ستّ سنوات تعرّف علىٰ الشيخ بهلول فاكتشف فيه أسراراً إيمانية وكنوزاً معنوية فصار يفتخر لخدمته واستضافته في منزله.

قال الحاج ميري : هذا المهتدي البحراني ، مترجم مذكراتك .

قال الشيخ : اهلاً وسهلاً به .

قلتُ : هل تذكرني جيّداً عندما التقينا في مدينة (مشهد) قبل أربع سنوات ... ؟

قاطعني بلطف قائلاً : أعرفُك جيداً . والآن ماذا يمكنني أن أخدمك به وأنا علىٰ هذا الحال ؟

قلتُ : علمتُ بوجودك هنا فجئت للسؤال عن صحتك وطلب نصائح وتوجيهات والمزيد من خواطرك للطبعة الثانية فقد استقبل القرّاء مذكّراتك بشوق ولهفة .

فقال الحاج ميري : لقد كنتُ مع الشيخ في سوريا قبل أشهر، جالساً في حرم السيدة زينب (عليها السلام) فجاءه شاب فقبّله ، وكان من المثقفين العرب المتديّنين المقيمين في امريكا .

فسأله الشيخ : من أين تعرفني ؟

قال الشاب : من خلال (مذكّرات الشيخ بُهلول) ، الكتاب الذي شدّني إليه وحلّق بي إلىٰ سماء العجائب .

وأضاف الحاج ميري : انّ الكتاب نفدتْ نسخه ، وكان الناس والزوّار يطلبونه منّا ، حتىٰ نسختي الوحيدة التي

اشتريتُها في صحن السيدة زينب (عليها السلام) كادت تذهب من يدي لولا أني مسكتُها بقوّة !

وهنا قلتُ للشيخ ـ وكان يستمع إلىٰ ما يقوله الحاج ميري ـ: نعم إنّ العالَم الإسلامي متعطّش للقراءة في أفكار وتجارب الرجال من أمثالكم ، وأقْترح تأسيس ذار أو مؤسّسة تحمل هذه الراية والمسؤولية واني أبْدي تمام استعدادي للتعاون .

قال الحاج ميري : فكرة رائعة ، ولقد التقىٰ السيد مهاجراني وزير الإرشاد والثقافة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية بسماحة الشيخ وأبدىٰ استعداده للتعاون في نشر ما لديه من مذكرات ، وخاصة قصائده البالغة مائتي ألف بيت شعر في مختلف العقائد والقضايا الإسلامية .

فالتفت اليّ الشيخ وقال : إذا كتب الله وأعطيتُك أشعاري لترجمتها أقترح أن تصيغ معانيها في نثرٍ مسجَّع .

قلت : أنتظرُ ساعة الإستلام منك والتوفيق من اللّه .

قال له الحاج : اقرء للشيخ المهتدي قصيدة الحوار الساخر بين طالب علم صالح ورجل مستهزء .

فشدّ الشيخ بهلول علىٰ يدي فابتسم وبدأ يقرأ القصيدة ، حتىٰ ضحكنا جميعاً .

طلبتُ منه أن يدعو لي بحسن العاقبة ، فإني حريص علىٰ

مرافقة أهل الجنّة بإذن الله تعالىٰ .

فوضع الشيخ يده علىٰ رأسي وتمتم بدعاء خاص . ثم استأذن ليقوم ، ولكنّ الحاج ميري طلب منه أن يضع عمامته علىٰ رأسه (وكان يقصد أن يلتقط لي معه صورة بعمامة دون أن يخبره بالمقصود) فسأله الشيخ : لماذا ألبس العمامة ؟

قال الحاج : لعلّ شخصاً يأتي لزيارتك !

ولكنّ الشيخ عَبْر حسّه السادس (وربما السابع) عَلِمَ القصد الحقيقي للحاج ... فبينما أخذ يلفّ العمامة علىٰ رأسه همس لي وقال بالفارسية : (إينْ هم يک نوع كلاهْبَرْدارىٰ است) ! يعني : وهذا نوع من الشطارة واللّف والدوران[1] !

بعد التقاط صور مع الشيخ ـ وتجدها خلف الغلاف ـ قمنا للتوديع ، والحاج ميري واصل أخذ صور للشيخ ، وهنا قال الشيخ ضَعْ عنوانك عند الحاج فسوف أزورك في منزلك اذا شاء اللّه وأُعطيك أشعاري للترجمة .

قلت : هذا شرفٌ لي .. أهلاً وسهلاً بك .

وهكذا ودّعتُ شيخ العجائب ، ورجل التاريخ والتجارب ،

---

(١) كلمة (كلاهْبَرْدَارى) في اللغة الفارسية تعني (الغشّ والخدعة) ولكن الشيخ بُهلول بقرينة المقام وانه ذو دعابة ومزاح فقد استخدمها وهو يقصد (الشطارة واللفّ والدوران) .

وأنا لم أرغبْ في توديعه .

وعندما صرتُ مع الحاج ميري لدىٰ الباب نقل لي القصّة التالية التي تأخذك الىٰ قراءة الجذور المعنوية الطاهرة لمثل هؤلاء الرجال ، قال :

إنّ جَدَّ والد الشيخ (أي جده الثاني) كان في بداية شبابه (إقطاعياً) قد جمع ثروة هائلة وصار بها ذو مكانة بين الناس في مدينته (گناباد) بخراسان . وذات يومٍ فوجىء به أحد الزرّاع يطلب منه أن يقبله كعامل يعمل له في المزرعة مقابل أجر يُعطىٰ للعمال . فرفض الزارع وقال أنت بثروتك ومكانتك تريد العمل عندي كخادم ؟!

فقال : انّي تركتُ ثروتي للناس ، وأُريد أبدأ عملاً طاهراً يدرّ عليّ رزقاً حلالاً طيّباً .

قال الزارع : وما الاشكال في ثروتك ؟

قال : إنّها خليطة بمال الحرام .

فوافق الزارع علىٰ طلبه فصار ذلك الرجل الثري يعمل خادماً في المزرعة مجاهداً هواه متواضعاً لأمر مولاه حتىٰ رزقه الله ثروة أعظم من تلك التي تركها ، كما رزقه الله أيضاً عشرة أولاد ، ستّ ذكور وأربع إناث ، صار الذكور من علماء الإسلام وحفّاظ القرآن ، وأحدهم هو الجدّالأول للشيخ نظام

الدين والد الشيخ بُهلول . وأمّا الإناث فَصِرْنَ حافظات لكلّ القرآن الكريم ومبلّغات لأحكام الدين .

وآخر ما أختم به مقدمتي لهذه الطبعة هو :

«الحمد لله ، والحمد حقُّه كما يستحقّه حمداً كثيراً ، وأعوذ بهِ مِن شرّ نفسي إنّ النفسَ لأمّارةٌ بالسّوء إلّا ما رَحِمَ ربّي ، وأعوذُ به من شرّ الشيطان الّذي يزيدُني ذنباً إلىٰ ذنبي ، وأحترزُ به مِن كلّ جبّار فاجرٍ وسلطانٍ جائر وعدوٍّ قاهر ... وأُصَلّي واسلّم علىٰ محمّد خاتم النبيّين وتَمام عِدّةِ المرسلين وعلىٰ آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين» .

قم المشرّفة ١٥ / شعبان المعظّم / ١٤١٩ هـ

ذكرىٰ ميلاد الامام المهدي «ارواحنا فداه»

عبد العظيم المهتدي البحراني

مقدمة المترجم
في الطبعة الأولىٰ

﴿ ١ ﴾

أثناء تأليفي لكتاب (قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين) التقيتُ بشخصيّات كثيرة ، إلىٰ جانب مراجعتي للمصادر المكتبيّة ، فكنتُ أسمع من بعضهم وأقرأ في بعض تلك المصادر عن الشيخ محمد تقي الگنابادي المشتهر بـ (الشيخ بهلول) ، فتشوّقتُ للتعرّف علىٰ بعض التفاصيل عن حياته التي بالطبع تكون مليئة بالدروس وغنيّة بالعِبَر وجذّابة للقرّاء ، إلّا أنّ الطريق للّقاء بالشيخ كان مجهولاً أمامي ، إذ لم يكن أحد ـ ممّن أعرفُهم ـ يعرف عنوانه ، فكلٌّ مَن أسأله يقول : رغم كبر سنّه لا يجلس مكاناً واحداً ، إنّه دائم التنقّل بين مشهد وطهران وقم وغيرها من المدن ، ولعلّه يسافر إلىٰ الخارج، وقيل انّه يمتلك القدرة علىٰ طيّ الأرض ، فهو ليس بحاجة إلىٰ وسائل نقلٍ مادّية !

﴿ ٢ ﴾

مضتْ فترة وأنا أترصّد ما يوصلني إليه حتىٰ كانت ليلة (٢٥ / رجب / سنة ١٤١٤) وكنتُ مدعوّاً منزل الخطيب الحسيني سماحة السيد جواد القزويني في مدينة مشهد المقدسة للاستماع إلىٰ قراءة تعزية بمناسبة ذكرىٰ استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام ، فبينما كنتُ جالساً مقابل مكتبة السيد (صاحب الدار) إذ وقع نظريَ علىٰ كتاب بالفارِسية عنوانه (خاطرات سياسي بهلول) ، فطلبته فوراً من السيد وصرتُ مشدوداً إليه ، أتصفّح فيه من تحت العباءة ، وما تركتُه إلّا حينما بدأ الخطيب في قراءته حول مصيبة الإمام الكاظم عليه السلام . وبعد المجلس قلتُ للسيد القزويني (دام ظلّه) : هل يمكنني استعارة هذا الكتاب ؟

فقال : لا مانع في غيره أيضاً ، المكتبة تحت تصرّفك .

شكرتُه علىٰ تفضّله فأخذتُ الكتاب إلىٰ المنزل ، وكانت سهرتي معه جميلة وممتعة ، فكنت أطالع فيه بِوَلَع وشوق وأُترجم ما أراه مناسباً لكتابي (قصص وخواطر) ، ولمّا انتهيتُ منه بعد يومين وجدتُ نفسي أمام ترجمة أكثر من ثلثي مقاطع الكتاب ، وليس بيني وبين ترجمته الكاملة إلّا مسافة شيء أقلّ

من ثلث الطريق ! فقلتُ لنفسي : لِمَ لا أُواصل بقية الطريق ليكون الكتاب لأوّل مرّة يُنشَر باللغة العربية ؟ سيّما أنّه يحتوي علىٰ مضامين تاريخية ـ عقائدية ـ أخلاقية ـ جهادية نافعة ، قد جسّدها مؤلّفه في سلوكه قبل تأليفه ، وهذا مَكْمَن القوّة فيه . وكان دافعي الذي وقف خلف هذا القرار حتىٰ إكمال الترجمة ـ مضافاً إلىٰ ذلك ـ هو المساهمة بعض الشيء في معالجة الإنهيار النفسي الذي أُصيب به بعضٌ ممن كانوا بالأمس القريب يدرّسون غيرهم دروس التحدّي للصعوبات أو يوصونهم بالحكمة في التصرّف ! فهذا الشيخ حجّة علينا جميعاً في الصبر والاستقامة ، وأُسوة في عزّة النفس والإيثار والشجاعة ، وقدوة في الزهد والمثابرة من أجل العقيدة والقيم الأخلاقية النبيلة .

﴿ ٣ ﴾

ومِن حُسْن التوفيق وغريب الصدف أنّي ذات يوم في ساعة من الظهر حيث كنتُ خارجاً من إحدىٰ محلّات مشهد المقدّسة وإذا بشيخ طاعن في السنّ سألني عن عنوان ، وبينما أُحاول مساعدته ذكرني وجَنَاتُ وجهه بصورة الشيخ بهلول أُخذتْ له قبل عشرين عاماً مع المرجع الراحل آية الله العظمىٰ

السيد عبدالله الشيرازي ﷺ كنتُ قد رأيتُها قبل فترة في كتابٍ عن حياة السيد ، فسألتُ الشيخ فوراً : ما أُسمك الكريم ؟

قال : يقولون لي بهلول !

فقلتُ فرحاً : الحمد لله ، لقد وصلتُ إليك بعد بحث طويل.

قال : من أنت ؟

قلت : طالبٌ من البحرين .

قال : أهلاً وسهلاً بك ، وماذا تريد مني ؟

قلت : إنـي مـترجـم مـذكّراتك إلىٰ اللـغة العـربية ، أُريـد الجلوس معك للتحدّث في هذا الأمر والتعرُّف علىٰ جوانب أُخرىٰ من حياتك ، فهل توافقني علىٰ الذهاب إلىٰ منزلي الآن ؟ فهذه سيارتي علىٰ يمينك .

قال : لا مانع ولكني مرتبط بعدّة مواعيد أُخرىٰ بعد ساعة ، فوقتي ضيّق .

قلتُ : أُوصلك إلىٰ موعدك في الساعة التي تريد .

قال : حسناً .

وفي السيارة أتحفنا وإثنين من كرام أهل البحرين بـبعض عجائبه ، إذ أخذ مثلاً يقرأ لنا من محفوظاته ما أَلّـفه للـفكاهة عكس دعاء الندبة، وهو عبارة عن تقليب معاني الجُمَل بوزن كلمات هذا الدعاء الشريف ، والعجيب انّه مع كِبَر سنّهٖ كـان

يقرأ ذلك حفظاً وبلا تقطّع كما يقرأ أحدنا دعاء الندبة علىٰ الكتاب مباشرةً بلا توقف .

وعندما أحضرتُ له طعاماً من رزّ ومَرَقةِ لحم ، أبىٰ أن ينظر إليه وقال لم آكل في حياتي هذه الأطعمة أبداً .

قلت : فماذا أُحضِر لك إذن ؟

قال : الخبز واللّبن .

أحضرتُ له ذلك ثم بعد دقائق أحضرتُ له أيضاً بعض الفواكه ، فوضع الخبز واللبن جانباً وأخذ يأكل من الفواكه وهو يقول : إذا حضرتْ الفاكهة أُرخِصْ الخبز واللبن . لأنّ في الفاكهة والخضَروات فوائد لا تجدوها في اللحومات أبداً وفي الألبان إلّا قليلاً ، أنا الآن بهذا السنّ تجدني نشطاً هكذا لأنّي ملتزم بنظام غذائي لا مكان للّحومات فيه ، رغم ذاكرتي القويّة لا أتذكّر أني مرضتُ طول عمري مرضاً أُراجع فيه الطبيب ، أنا طبيب نفسي ، الوقاية خير من العلاج ، وإذا اعترتْني وعكة خفيفة كافحتُها بالأعشاب .

﴿ ٤ ﴾

ثمّ ذَكَرَ الشيخ سفره قبل شهريْن إلىٰ السودان قائلاً : سمعتُ أنّ بعض علماء السنّة هناك يشيعون بين الأُخوة السودانيين أنّ

الله لايوفّق الإنسان الشيعي لحفظ القرآن الكريم لأنّه يحمل علىٰ صحابة النبي ﷺ وينتقدهم !

فسافرتُ إلىٰ السودان ودعوتُهم الىٰ الحوار في جلسة مفتوحة يحضرها العموم ، ففي ذلك الجمع الكبير قلت لهم : أنا مسلم من شيعة أهل بيت النبي محمّد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) أنتقد بعض صحابة الرسول الذين لم يُحسِنوا الصحبة ولم يفوا بوصية الرسول ﷺ في عترته وأهل بيته : ، ولقد انتقدهم القرآن كثيراً والتاريخ أثبت مثالبهم ، وكتبُكم سجّلتْها بصراحة ، فأعطيتُهم الآيات ودللتُهم علىٰ كتبِهم برِقم الصفحات ، ثم قلتُ بلغني أنّكم تقولون بأنّ الشيعة لا يوفّقهم الله لحفظ القرآن بسبب موقفهم من اولئك الصحابة ، اقول أنا شيعي أباً عن جَد حافِظٌ للقرآن كلّه منذ صغري ، إسألوني من أيّة سورةٍ وآيةٍ تشاؤون !

فأمطروني بالأسألة وأجبتُهم بكل ترحيب ، فما من آية طلبوا مني إكمالها إلّا أكملتُها لهم وأعطيتُهم رقمها واسم السورة ، فكانوا يراجعونها فيجدوها كما أقول .

كانت الدهشة مشهودة علىٰ وجوههم ، وبعد تفنيد الأكاذيب التي يرمينا بها الذين لا يتّقون الله قلتُ لأُولئك العلماء ، لقد سألتموني عشرات الأسئلة وأجبتُ ، والآن أسألكم سؤالاً واحداً فقط !

اخْبِروني عن كلمة (يَتَّقْهِ) والتي يقرؤها الزمخشري (يتَّقِهِ) بتحريك القاف ، وهي الكلمة الوحيدة التي جاءت في القرآن الكريم، أين محلّها ؟

سكتوا ولم يجدوا جواباً . فقلتُ : انّها وسط سورة النور آية رقم (٥٢) في قوله تعالىٰ : ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورسولَه ويَخْشَ اللهَ وَيَتّقْه فأُولئك هُمُ الفائزون﴾ . ثم خطبتُ فيهم : أيّها المسلمون اتّقوا الله في إخوانكم، ما ذنبُنا نحن الشيعة غير انّنا أطعنا الله والرسول في ولاية (أهل البيت) الذين طهّرهم الله من كل رجسٍ تطهيراً ، ذلك لأنّ في ولايتهم خشية الله وتقوىٰ القلوب والفوز الأكبر ، أهذه جريمة نستحق عليها كيْل التهم ؟!

﴿ ٥ ﴾

أجل : كانت الجلسة مع الشيخ بهلول وقصصه الغريبة وذكرياته الشيّقة ومواقفه الجميلة جلسة لا تُمِل ، وكذلك يكونُ الجلوس مع الأتقياء والزهّاد حيث يجري الله علىٰ ألسنتهم الحكمة . وأخيراً لما اقترب موعد ذهابه طلبت منه أن يكتب بخطّ يده إجازة نشر ما ترجمته من مذكراته ، والتقطتُ معه صورة تذكارية وضعتُها مع خطّه في هذا الكتاب . ولا أنسىٰ حينما ركب السيارة كان يؤكد عليّ اتخاذ طريق يؤدي

سريعاً الىٰ المسجد فقد كان وقت القاء محاضرته وشيكاً مما يدلّك هذا علىٰ حرصه للوفاء بالوعد والحضور في اول الوقت .

واذكر ايضاً أننا لما أردنا التقاط صور معه لم يقبل بذلك إلاّ بعد الاصرار الشديد ولكنه قال : لاتُكثِروا .

الا أننا أكثَرنا حرصاً علىٰ الفرصة الثمينة مع الرجل التاريخي أو لعل الكثرة عندنا وعنده أمرٌ نسبيٌ مما سبّبنا له عدم الارتياح . فقال : أنا غير راضٍ ! وأرجو أن لاتظهر الصور الاضافية . إنها إسراف ! والعجيب أنه بمجرد أن تفوّه بهذه الكلمة توقفت «الكاميرا» عن التصوير ! فاصابتني الدهشة ولم يسعني الاّ أن قُلت : اللّه أكبر !!

﴿ ٦ ﴾

أخي القاريء ، أُختي القارئة :

تمضي الحياة بحلْوِها ومُرّها والإنسان ينتقل إلىٰ حياة الآخرة ، امّا الذكريات الحسنة فتبقىٰ هي الحياة من نوع آخر ، وبها يتواصل معه الأحياء من بعده ويتضاعف الأجر والثواب له من عند الله إلىٰ يوم القيامة ، ذلك إن كانت النوايا خالصة لوجه الله تعالىٰ .

ولا يتحقّق للإنسان هذا الفوز إلّا إذا عرف قدر نفسه وقيمة الفرص التي أتاحها الله له في هذه الحياة ، فلا يليق بالإنسان أن يُحرِق أعصابه ويعيش مع الضجر والكسل والجزع فيخسر الفرص التي لا تعوَّض ، المؤمن كتلة من الرجاء في الله والنشاط مع التسليم لقضاء الله وقدره ، المؤمن زخم هائل من الحيوية في العمل الصالح وفْقِ الممكنات من حوله ، وبها يقفز إلىٰ ممكنات أكبر ربما كانت في الذهن من المستحيلات. فليتذكر كل مسلم قول نبيّه الأكرم ﷺ : « ما أوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت » وكيف أنّه استقام حتىٰ ازدهرتْ دعوته الرسالية في كل العالم . وإلّا فلماذا يدعونا الله تعالىٰ إلىٰ التأسّي برسوله قائلاً : ﴿ لقد كان لكُم في رسولِ الله أُسوةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يرْجو اللهَ واليومَ الآخِر وذَكَرَ اللهَ كثيراً ﴾[1] . وفي آية أخرىٰ يقول : ﴿ فمَن كان يَرْجو لقاءَ ربِّه فلْيَعْمَلْ عَملاً صالِحاً ولا يُشْرِك بعبادةِ ربِّه أحَداً ﴾[2] .

إذا كنتَ ترجو رحمة الله والفوز بعد الموت وأن تكون من الذاكرين حقّاً فالرسول أعظم قدوة وأحسن أُسوة ، وهذا يتحقّق علىٰ جناحَيْ (العمل الصالح) و (نفي الشرك بالله) .

---

(١) سورة الأحزاب / ٢١. (٢) سورة الكهف / ١١٠.

ولقد رأيت خلال الأعوام العشرين المنصرمة ـ دون حياة الماضين ـ كيف خسر أُناس حياتهم أو فوّتوا علىٰ أنفسهم فرصاً ثمينة كانت لهم بمثابة سُلّم لتحقيق سعادتهم ، وما كان ذلك إلّا بسبب الجهل ، وفي غير الجهّال حينما تغيّر عندهم نقاء الهدف وذهب عنهم صفاء النفس ليحتلّ مكانهما اللّهث وراء المكاسب الدنيوية ، وأكثرهم لم يبلغوها أيضاً ، فخسروا الدنيا والآخرة ، وما غيّرهم إلّا جزعهم في الصعوبات ونفاد صبرهم وإنكسار جدار الاستقامة بداخلهم ونسيان الإخلاص لله تعالىٰ ثم الاسترسال مع التبريرات وإلقاء اللّوم علىٰ الآخرين تبرئةً للذات ، وتناسوا ماقاله القرآن الحكيم : ﴿ وما أُبريءُ نفسي إنّ النّفس لأمّارةٌ بالسُّوءِ إلّا ما رَحِمَ ربّي ﴾[1] ﴿ بل الإنسانُ علىٰ نفسِه بصيرة ولو ألقىٰ معاذيرَه ﴾[2] .

ولو كانوا يستقيمون علىٰ نهج القيم الإيمانية لكانت العاقبة الحُسنىٰ لهم ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ ولو أَنّ أهلَ القُرىٰ آمَنوا واتّقَوْا لَفَتَحْنا عليْهِم بركاتٍ مِن السماءِ والأرضِ ولكنْ كذَّبوا فأَخذْناهُم بما كانوا يَكسِبُون ﴾[3] .

---

(١) سورة يوسف / ٥٣.
(٢) سورة القيامة / ١٥ ـ ١٦.
(٣) سورة الأعراف / ٩٦.

﴿ ٧ ﴾

متىٰ وكيف سقط المسلمون في الأزمات والمشاكل ؟

بدأت الازمات في حياة المسلمين والمؤمنين يوم استولتْ عليهم (نسبة من الشرك الخفيّ في النوايا والأعمال) ، وانّ من الشرك حبّ المال والجاه والشهرة وبالتالي النزاع من أجلها ، والأفدح في هذا النزاع إذا كان بين المحسوبين علىٰ الدين ، فما جرىٰ في القتال بين الفصائل الجهادية في أفغانستان ولبنان ، وما يجري من خلافات تسقيطية سخيفة في بلدان أُخرىٰ كشف عن أنّ الضحيّة الحقيقية هي «الدين» الذي ينادي مناصرته كلُّ المتنازعين ، فيالها من حماقة وغباء وقِصَر نظر في العواقب .

مسكينٌ هذا الدين ! كل شيء ينكسر علىٰ رأسه ومن أجله في وقت واحد ! وكأنّي بذوي البصائر اراهم يسمعونه تحت الركام والاقدام والنزاعات ينادي : كفاكم الدفاع عنّي ، خلّوني وشأني !!!

نعم .. حبّ الدنيا هو الأساس لكل المشاكل ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ إنّ الذين لا يَرْجُون لقاءَنا ورَضُوا بالحياةِ الدّنيا واطمأنّوا بها والّذين هُم عِن آياتِنا غافِلون أُولئِكَ مأواهُمُ النّارُ بما كانوا

يَكْسِبون * إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَملوا الصالحات يَهديهُم ربُّهم بإيمانِهم تجري مِن تحتهم الأنهارُ في جنّاتِ النعيم ﴾[١] .

وقال النبي ﷺ « من أصبح والدنيا أكبر همّه فليس من الله في شيء ، وألْزَمَ قلبه أربع خصال : همّاً لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلاً لا ينفرج منه أبداً، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً »[٢].

ويصف الإمام علي عليه السلام أهل الدنيا أنّهم : « أقْبَلُوا علىٰ جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها ، واصطلحوا علىٰ حبّها ، ومَن عشق شيئاً أعشىٰ بصره ، وأمْرَضَ قلبه فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة ، ويسمع بأُذن غير سميعة ... »[٣] .

ثم يعرّف عليه السلام الدنيا قائلاً : « إنّ الدنيا دار فناء وعناء ، وغِيَرٍ وعِبَر ... ومِن عِبَرها أن المرء يُشرِفُ عَلىٰ أملِه فيقتطعه حضورُ أجلِه، فلا أملٌ يُدرَك ، ولا مؤمَّلٌ يُترَك »[٤] .

حقّاً إنّ كلّ هزيمة اليوم هي ذات الهزيمة في معركة (أُحد) وتكرار لها في (جمع الغنائم) و (نبذ وصايا النبيّ القائد ﷺ) ولا زال صوته ﷺ يدوّي في الآذان : « ما لي أرىٰ حبّ الدنيا قد غلب علىٰ كثير من الناس ، حتىٰ كأنّ الموت في هذه الدنيا علىٰ

---

(١) سورة يونس / ٧ ـ ٩. (٢) ميزان الحكمة ج٣ / ص٣١٩.

(٣) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة / ص٢٠٨.

(٤) نفس المصدر / ص٢٠٩.

غيرهم وجب ... أما يتّعظ آخرُهم بأوّلِهم ، لقد جهلوا ونسوا كل موعظة في كتاب الله ، وأَمَنوا شرَّ كل عاقبة سوء »(١) .

وأخيراً أيّها الغيور لا تسمح لصعوبات الحياة أن تسلبك الرجاء بالله والتفكير في ثواب الله ، فإنّهما أساس الحيوية والنشاط والفوز في الدنيا والآخرة وعدم الدخول في الخلافات الطفيلية الطافحة علىٰ سطح بعض التجمّعات والتي لا يُتوقَّع من بعض العقلاء ممارستها !

إنّ الحياة كانت منذ البداية تعباً وألماً ومكابدةً للمسلم وغير المسلم علىٰ السواء وبأشكال مختلفة ، والطريق إلىٰ التغلّب علىٰ آثارها يمرّ عبر (الأمل + عمل) ، وهو المفهوم الصحيح للرجاء من الله ، فلا تزيّن لنفسك التقاعس وتتمنّىٰ السعادة ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ ولا تَهِنُوا في ابتغاء القوم إنْ تكونوا تألَمون فإنّهُم يألَمون كما تألَمون وتَرْجون من الله ما لا يرجون وكان اللهُ عليماً حكيماً ﴾(٢) .

وما هدفي من ترجمة ونشر هذا الكتاب إلّا مساهمة تبرّعية متواضعة لتثقيف الإنسان المعاصر ومجتمعاتنا بقيم ضحّىٰ لأجلها رجال الاسلام الموالون لأهل بيت النبي عليهم السلام . وأملي أن

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٧ ص١٢٥ .
(٢) سورة النساء / ١٠٤ .

يسلك هذا الطريق كلُّ غيور على دينه وأُمّته وعاقبته ويكون قلبه يبصر الى ثواب الله الأعظم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا مَن أتى الله بقلب سليم.

ثم أمانةً في الترجمة أسجّل هنا بأن النسخة الفارسية لهذا الكتاب ـ وبسبب كِبَر سنّ المؤلف ـ لم تكن مرتّبة ومعنونة بالطريقة التي تجدها في هذه الترجمة العربية، فمما ناله التغيير هو إسم الكتاب من (مذكرات بُهلول السياسية) إلى (مذكرات الشيخ بهلول)، فوافقني سماحته، سيّما أنّ التصرّف جاء طفيفاً لم يتجاوز الشكل إلى المضمون، وفي رأي المؤلف أنّ هذا الثوب الجديد قد أضفى جمالاً آخر على أصل الكتاب، وأرجو أن يكون الأمر كذلك في نظر القارئ الكريم.

أتمنّى أن تنتفع بقراءتك لهذا الكتاب الذي وجدته من مصابيح الوعي للطريق السديد، والله خير هادٍ وخير مثيب.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

مشهد المقدسة ١٥ / شهر رمضان / ١٤١٥هـ

عبد العظيم المهتدي البحراني

مقدمة المؤلف

منذ أن رجعتُ إلىٰ وطني ايران بعد (٣٦) عاماً ، مرّتْ اثنتىٰ عشرة سنة ، ويسألني خلالها كل مَن يلتقي بي عن تفاصيل واقعة مسجد (گوهر شاد) التي حدثتْ في مدينة مشهد المقدسة بتأريخ (١٠ ـ ١٢ ربيع الثاني) سنة (١٣١٤) من الهجرة الشمسية[١] ، والتي أدّت إلىٰ هروبي ولجوئي إلىٰ افغانستان . ولكنّي بسبب سلطة الحكومة البهلوية الظالمة ما استطعتُ شرح تفاصيل تلك الواقعة .

واليوم حيث قُطعتْ يدُ الحكومة الطاغوتية بسعي وهمّة وجهاد آية الله العظمىٰ نائب الإمام السيد الخميني وبقية العلماء المجاهدين، وتحرّرتْ الأقلام لتقول ما عندها بحرية فإني أرىٰ الوقت قد حان لكتابة الحقائق حول تلك الواقعة التأريخية ليعرفها الناس في العالم كلّه ويطّلعوا علىٰ صفحة من مظالم العائلة البهلوية الفاسدة .

---

(١) الموافق سنة (١٣٤٤) للهجرة القمرية تقريباً .

ولا يخفىٰ أنّ هذه الواقعة قد كَتَبَ عنها العديد من الكتّاب قدْر معلوماتهم ، ولكنّها لم تأت كلّها مطابقة للحقيقة بشكل تام . لأنّي بعد هروبي إلىٰ افغانستان واعتقالي هناك ، تيقّن رضا شاه البهلوي وأعوانه أنّي لم أخرج حيّاً من تلك الواقعة ، ولستُ موجوداً لكي أنقل الحقيقة ، فأي كذبة ينشرونها بهذا الشأن سوف لا تنكشف إلىٰ يوم القيامة ! ذلك لأنّ الشاه وعائلته وأعوانه لم يكونوا يؤمنون بالآخرة ، لذلك فإنّهم قالوا وكتبوا ونشروا ما شاءت أهواؤهم ، فأظهروا تلك الواقعة للناس علىٰ خلاف الواقع تسعين في المائة ، ولم يعلموا أنّ الله تعالىٰ سوف يفرّج عني وتزول العائلة البهلوية الحاكمة فتتوفر لي الفرصة لأكتب وأنشر الحقائق كلّها وبذلك أُزيل الستار عن خُدَعهم وحِيَلهم الفاسدة فتصل الحقيقة إلىٰ الناس ولو في نهاية المطاف أو قبلها . واليوم حيث جاءت الفرصة المناسبة أرىٰ نفسي مُلزَماً بكتابة الحقيقة للخاص والعام .

أسأل الله العظيم أن يوفّقني لهذا الأمر فتبقىٰ هذه الكتابة مَبْعَث عبرة وفائدة لجميع الأصدقاء . وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولىٰ ونعم النصير ، ونعم المعين ونعم الحبيب، ونعم المدعوّ ونعم المجيب ، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب .

البداية : مقدّماتها وشخصياتها

كما أنّ واقعة كربلاء الدامية لا تُعرَف جيداً إلّا بعد معرفة تأريخ الإسلام خاصة ما جرىٰ بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ حتىٰ مجيء يزيد بن معاوية ، كذلك لا تُعرَف واقعة مسجد (گوهر شاد) إلّا بعد معرفة شيء من الحوادث التي جرتْ من سنة (١٣٠٤) إلىٰ (١٣١٤) الهجرية الشمسية[١] وهي من بداية سلطة رضا شاه البهلوي إلىٰ واقعة المسجد .

من هنا فاني أذكر بصورة مختصرة شيئاً مجملاً من تلك الحوادث قبل الواقعة تمهيداً لاستيعاب الواقعة وفهم الحقيقة، واني أرجو من الله أن يجعل كلامي وقلمي مطابقاً للحقّ وهادياً إليه .

أولاً : أعلن رضا خان البهلوي[٢] في العام الثاني من سلطته (الإنقلابية) :

---

(١) حدود سنوات (١٣٤٤هـ).

(٢) رضا خان البهلوي (والد محمد رضا شاه ايران المخلوع) كان قائداً للقوات المسلحة الملكية للشاه أحمد القاجار ، فدبّر عليه إنقلاباً عسكرياً سنة (١٣٤٤هـ) بالاتفاق مع مراجع الدين ، ولكنّه خالف عهده معهم وتظاهر ضدّ الدين والعلماء .

«انّ في الزمن الغابر لما كان علماء الدين يضايقون حرية الناس باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت الحكومة في ايران ضعيفة لم تتمكن من تنفيذ مشاريعها ، أمّا اليوم فإنّ الحكومة ذراعها طويل في البلاد كلّها . وهي تستطيع اجراء أيّ مشروع وتنفيذ أي قانون تراه نافعاً ، وانّها تتمكن من الوقوف بوجه أي شيء يهدّد مصالح البلاد . فلا يحقّ للعلماء أن يضايقوا الناس باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن فعلوا فسوف يُحاكَمون ويُعاقَبون طبق القانون» .

فور صدور هذا الإعلان بدأت الاعتصامات والمظاهرات ، وكان الناس يهتفون بشعارات مندّدة بالحكومة ، كما وجدنا مثله في عصرنا الحاضر عند ما ثار الناس بقيادة آية الله العظمىٰ الخميني في أنحاء البلاد .

ولكن رضا شاه البهلوي استطاع بخطة شيطانية إخماد الثورة من دون إراقة دماء ، إذ اتصل بعلماء المدن الكبيرة الخمسة في ايران (مشهد) و (قم) و (اصفهان) و (تبريز) و (شيراز) ، وقال لهم : انّكم باقون علىٰ مكانتكم ، ويمكنكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من دون منع !

فانخدع العلماء بهذا الاتصال فأمروا الناس أن ينهوا الاعتصامات والمظاهرات ، ولم يفكّروا في مطالبة الشاه بإلغاء

المنع رسمياً عبر بيان حكومي كالبيان الذي أصدره رسمياً في المنع .

وما أنْ عادت الأوضاع في هذه المدن الخمسة إلىٰ حالتها الطبيعيةٰ خمدتْ الثورة في المدن الأُخرىٰ بقوّة السلاح ، واُلقي القبض علىٰ العلماء المجاهدين والثوّار المؤمنين فنفوهم عن مدنهم إلىٰ مدن نائية وفرضوا عليهم إقامة جبرية .

ثانياً : كان المرحوم آية الله النجفي في اصفهان من أبرز رجال ثورة الدستور الايرانية سنة (١٣٢٤هـ ـ ١٩٢٠م) وكانت هذه الثورة تشبه ثورة الجمهورية الإسلامية التي اندلعتْ في العصر الحاضر .

في تلك الثورة كان موقع آية الله العظمىٰ الشيخ محمد كاظم الخراساني كموقع الإمام الخميني حالياً ، وموقع السيد عبدالله البهبهاني في طهران وآية الله النجفي في اصفهان كموقع علماء الدين المساندين للإمام في العصر الحديث .

فبيانات القائد الديني الشيخ الخراساني تأتي من النجف الأشرف، ويقوم السيد عبدالله البهبهاني والسيد النجفي الاصفهاني بنشرها في المدن ، ومع تطوّر الاحداث اقتحمتْ القبائل البختيارية العاصمة طهران قادمة من اصفهان بقيادة السيد النجفي ، واقتحمها التبريزيون بقيادة السيد البهبهاني ،

ففرّ الملك المستبد محمد علي شاه ، وعُيِّنَ محلّه ابنه أحمد شاه معلناً التزامه وخضوعه للدستور ، فأصبحتْ المَلَكية في ايران مشروطة بتطبيق الدستور لا بأهواء المَلِك .

في عصر الملك رضا خان البهلوي كان السيد النجفي الاصفهاني ـ هذا البطل المقدام ـ متوفّياً ولكن أخاه الحاج ميرزا نور الله كان من بعده يُعتبَر الحاكم النافذ والعالم الكبير في اصفهان .

كان الحاج ميرزا نور الله ثرياً جدّاً وقادراً علىٰ تغذية جيش قِوامه ألف مقاتل ولمدة شهر واحد ، وكانت القبيلة البختيارية المسلحة مطيعة له كما كانت مطيعة لأخيه من قبل ، والشاعر يقول (ما معناه) : علّمتْني التجربة في النهاية أنّ قيمة المرء بعلمه وقيمة العلم بالمال .

فالحاج ميرزا نور الله الاصفهاني بسبب ثروته كان ذو احترام في أنحاء ايران . فلما انتشر بيان الشاه رضا خان البهلوي يمنع العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاء الميرزا نور الله إلىٰ مدينة قم المقدسة معلناً تضامنه مع المرجع آية الله العظمىٰ الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي في طلبه من الشاه الغاء القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية ، وكان قد هدّده بفتوىٰ الجهاد وخلعه من السلطة إنْ لم يلغ تلك

القوانين . وكان الحاج ميرزا نور الله متفقاً مع مؤيديه في مدينة اصفهان فيما إذا لم تثمر المفاوضات والنصيحة مع الشاه أن يسيطروا علىٰ اصفهان ثمّ يزحفوا إلىٰ مدينة قم وطهران لتحريرهما من سيطرة الشاه رضا خان البهلوي .

ومن الجدير بالإشارة أنّ أبرز مراجع الشيعة في ذلك العصر كانوا ثلاثة :

١ ـ السيد أبو الحسن الاصفهاني .

٢ ـ الشيخ حسين النائيني .

٣ ـ الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي .

الأوّل والثاني كانا يقيمان في مدينة النجف الأشرف (العراق) وأمّا الحائري فقد كان مؤسس ورئيس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة (ايران) .

وحينما وصل الميرزا نور الله الاصفهاني إلىٰ مدينة قم وَفَدَ إليه العلماء من كل صوب للقاء به . فكان الحشد المتجمهر في قم رهيباً جدّاً حتىٰ خاف الشاه رضا خان من أن تتفجر عليه ثورة مدمّرة ، فأرسل إلىٰ قم وزيره المعروف (تيمور تاش) لإسكات العلماء بأي خدعة كانت . و (تيمور تاش) هو المعلون الذي كان يقول علناً : إني أُثبت بسبعين دليلاً أن لا وجود لله وانّ يوم القيامة كذب !

ثالثاً: لا بأس أن أذكر ـ عابراً ـ ما آلتْ إليه عاقبة (تيمور تاش) ليعرف الناس نتيجة اللاّدينية والجحود وإنكار وجود الله تعالىٰ.

بعد مدّة من تصدّيه الوزارة اختلف مع الشاه رضا خان في بعض الأُمور السياسية، فاتّهمه الشاه بأخذ الرشاوي والتواطىء مع الدول الأجنبية، فَزَجّ به في السجن. ولم تمضَ أيامٌ حتىٰ كتب في رسالته إلىٰ الشاه: إنْ كنتُ مخطِئاً فمن أجل الله إعفُ عنّي!

فردّ عليه الشاه: كنتَ تقول بأنّك مستعدّ لإقامة سبعين دليلاً علىٰ عدم وجود الله، فمن أجل أيّ إلهٍ تريد أنْ أعفوَ عنك؟!

فلم يفرج عنه، فبقي في السجن حتىٰ مات ذليلاً، ولا يُعلَم هل مات بنفسه أم انتحر، أو قتله الشاه البهلوي.

ولقد خان الدين والوطن فترة وزارته بما لا يمكنني إحصاؤه، ولايمكن لهذا الكتاب أن يستوعب ما جلبه من الخسائر علىٰ شعب ايران المسلم، فإنّها بذاتها تحتاج إلىٰ كتاب مستقل. ولي عزم بعد الفراغ من تأليف هذا الكتاب أن أكتب حول الفجائع التي صنعها هذا الخبيث في عصر البهلوي الأوّل. أنقل الآن نموذجين من أعماله فقط:

دخل ذات مرّة منزله فرأىٰ زوجته تقرأ القرآن الكريم،

فغضب عليها وقال : إنّكِ لا زلت تقرئين هذا الكتاب البالي وتعتقدين فيه ؟!

ثمّ صَبَّ علىٰ القرآن خمراً وأشعَلَ فيه النار !

ومرّة جاء إليه أحد المؤمنين من مدينة بعيدة طلب منه جوازاً يسافر به إلىٰ كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فصرخ في وجهه وأهانه قائلاً : أيّها الأحمق تريد جوازاً لتسافر من أجل تقبيل أحجار وفضّة وطين !

أنا لا أُساعدك في هذا الأمر ، أُطلبْ مني جوازاً للسفر إلىٰ لندن ، باريس ، برلين ، اميركا ، لتراني كيف أُساعدك !

فخرج الرجل من عنده ، ودخل علىٰ رئيس الوزراء فأقنعه واستلم الجواز وسافر إلىٰ كربلاء . وعندما علم (تيمور تاش) وشىٰ عليه وضايقه حتىٰ اضطر رئيس الوزراء ليقدّم استقالته .

الملعون (تيمور تاش) كان يقول بوقاحة : (غائطي) علىٰ قبر أبي الذي سمّاني عبدالحسين . مَن هو الحسين حتىٰ أنا أكون عبده ؟!

رابعاً : عَوْداً إلىٰ الموضوع ، فقد وصل (تيمور تاش) هذا إلىٰ مدينة قم بأمر من رضا خان البهلوي لإسكات علماء الدين وإخماد ثورتهم . فلمّا دخل منزل الحاج ميرزا نور الله الاصفهاني كانت الحُجْرة الكبيرة مكتضّة بالعلماء وطلبة

العلوم الدينية ، وكان الحاج متكئاً في صدر المجلس ، والمرجع الكبير الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي جالساً إلىٰ جانبه وكان يوليه احتراماً وافراً لسيادته ومكانته الكبيرة . فعندما وضع (تيمور تاش) قَدَمَه علىٰ عتبة الحجرة لم يَرَ إحتراماً ولا مَن يُفسِح له مكاناً . فسلّم وهو واقف يقول :

أيّها السادة ، انّ الشاه أرسلني إليكم ويقول ما هي شكوىٰ العلماء منه ، أنا ما تصرّفتُ ولا أتصرّف شيئاً إلّا صَوّتَ عليه المجلس الوطني . يجب أن أقوم بما يأمرني به المجلس ، لأنّي في أوّل يوم صِرْتُ ملكاً علىٰ البلاد أقسمتُ أن أحمي المجلس وأنفّذ ما يصوّته ممثّلو الشعب !!

فالحاج ميرزا نور الله ـ الذي كان يعرف اللّعبة المتواطئ عليها من قبل المجلس والشاه والوزير (تيمور تاش) ـ مدّ رجليْه وخاطبه : هيّا إفْلِتْ وقُلْ للكافر (ويقصد الشاه) أنْ لايبرّر أعمالَه بموافقة المجلس الوطني . انّ هذا المجلس أسّسه أخي المرحوم السيد النجفي ، وأنا أستطيع تجميده أي وقت أشاء . هذا المجلس اليوم بعد أن أصبح أداة للظلم لا قيمة له ، نحن نتّبع القرآن الكريم لا قوانين الأوروبيّين .

رجع (تيمور تاش) إلىٰ طهران وكان الوضع علىٰ أهبّة الإنفجار ، يُنذِر بإعلان الجهاد الذي لو كان يُعلَن لانقرض

البهلوي منذ ذلك اليوم ، لأنّ الحكومة البهلوية لم يكن لديها جيش منظّم سوىٰ أفراد قليلين من المتطوّعين وكانت أسلحتهم قليلة . بينما العلماء كانوا أقوىٰ منها والقبائل المسلّحة في ايران معهم . ولكن الله تعالىٰ لم يقدّر انقراض الحكومة البهلوية في ذلك الوقت ، فربما لو كانت تنقرض لما كان شعب ايران يكتمل امتحانه . فقد كانت نساء مؤمنات في طهران لم يخرجن من المنزل مدّة خمس سنوات خوفاً من أن ينزع جلاوزة النظام حجابهن من علىٰ رؤوسهنّ ، وفي الشتاء آثرن أنْ يتحمّلن الاستحمام بالماء البارد علىٰ أن يخرجن إلىٰ الحمّام الدافئ خارج المنزل ، وهذا في الوقت الذي كانت نساء أُخريات يذهبن للرقص مع الرجال . كما وفَضّل بعض الرجال المؤمنين أن يعتكفوا في بيوتهم كيلا يضعوا علىٰ رؤوسهم قبّعة البهلوي (الغربية) . في حين ثمّة رجال آخرين لبسوا تلك القبّعات وحلقوا لحاهم وبقيتْ تلك المظاهر حتىٰ بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران .

فلو كانت تزول حكومة البهلوي في أوّل مرحلة الجهاد لما كان يُعرَف هؤلاء الأشخاص علىٰ حقيقتهم . شاء الله أن تبقىٰ الحكومة الظالمة خمسين عاماً ليتميّز المؤمن عن المنافق والطيّب عن الخبيث .

وهكـذا فـفي الوقت الذي كـان الحـاج مـيرزا نـور الله الاصفهاني وعـلماء قـم يسـتعدّون للـجهاد مَـرَضَ الحـاج ، فاستغلّ الشاه رضا خان هذه الفرصة فـدسّ إليـه السُمّ عـبر طبيبٍ معالج فمات الحاج شهيداً (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) .

خامساً : في تلك السنة صادف عيد (النوروز) ـ مطلع السنة الايرانية الجـديدة ـ ليـلة ٢٧ / مـن شـهر رمـضان المـبارك ، فجاءت قوافل من النساء الطهرانيات إلىٰ حرم السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) بحجّة ساعة تـحويل رأس السـنة الجديدة ، وكان يبدو انّ القضية مدروسة ، بقرينة أنّ الشاه رضا خان أيضاً أرسل زوجته معهنّ وكان قد أمرها أن تخرج سافرة (بلا حجاب) لتشـجّع تـلك النسـاء عـلىٰ خـلع الحـجاب ، فجاءت وصعدت إلىٰ سطح الحرم وأخذتْ تدور حول القبّة الذهبية خالعة حجابها !

فصعد إليها الخطيب المجاهد الشيخ محمد تقي البافقي مع بـعض الطـلبة المـعمّمين ليـمنعوها مـن هـذا الاسـتعراض اللّامشروع ، فالتجئتْ إلىٰ بيت متولّي الحرم واتصلتْ بالشاه قائلة : انّكَ تُرسلُني إلىٰ (قـم) ولـم تأمّنْ لي الحماية في الدور الذي أمرتَني القيام به ، إنّ هؤلاء العلماء يريدون قتلي !

فتحرّك الشاه مع رجاله المسلّحين إلىٰ (مدينة قم) ليلة ٢٨

من شهر الله العظيم ، أمر رجاله أن يخندقوا علىٰ بُعد مسافة قليلة من المدينة وهو يدخلها بمفرده وقال لهم : إنْ سمعتم إطلاقاً فادخلوا المدينة ، وإلّا ابقوا في مواقعكم . واختار ساعة السَحَر للمجئ إلىٰ حرم السيدة معصومة (عليها السلام) حيث الناس في بيوتهم يأكلون وجبة السحور والشيخ محمد تقي البافقي الذي منع زوجة الشاه من فعلتها السيئة في تلك الساعة يصلي الليل ويتهجّد لله تعالىٰ في الحرم الشريف ، فدخل الشاه وألقىٰ عليه القبض بنفسه ، إذ وضع علىٰ رأسه المسدّس وأخرجه من الحرم ورمىٰ به في سيارته هارباً إلىٰ طهران ، كالهرّة التي تهاجم علىٰ بغتة وتنفّذ عملية النهب والقتل علىٰ وَجَلٍ وسرعة ، وهكذا تمّ اعتقال الشيخ من دون إراقة دماء طبعاً.

قضىٰ الشيخ البافقي ثلاثة أيام في السجن حتىٰ أُطلِقَ سراحُه بتدخّلٍ من المرجع الأعلىٰ الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي ، ولكنّ الشاه اشترط عدم رجوعه إلىٰ مدينة قم ، فنفاه إلىٰ مدينة السيد عبدالعظيم الحسني (جنوب شرقي طهران) وأعطاه مسجداً صغيراً ليقيم فيه صلاة الجماعة لم يَسَعْ لأكثر من خمسين مصلياً ، وعيّن شرطيّين بلباس مدني يراقبانه في المسجد لكيلا يتكلّم في السياسة ويحرّض للمعارضة .

وفي مدّة الاعتقال وانْ لم يُخضَع الشيخ البافقي للتعذيب الجسدي إلّا أنّ الشاه تعمّد في تعذيبه النفسي حينما سأله يوماً:

لماذا تعرّضتَ لزوجتي ؟

فقال الشيخ : انّها كانت متبرّجة .

قال الشاه : وهل التبرّج والسفور أمرٌ قبيح ؟

قال الشيخ : نعم إنّه حرام ، لأنّه مقدّمة الزنا .

قال الشاه : وهل الزنا أمرٌ قبيح ؟

قال الشيخ : انّ أي مسلم يقرأ القرآن يعرف قبح الزنا وحرمته .

قال الشاه : فما دمتَ ترىٰ الزنا قبيحاً أُنظُرْ ماذا أُريك الآن . وكان قد هيّأ الشاه سبعاً من رجال الشرطة الفسقة وسبعةً من النساء الداعرات فأمرهم أن يمارسوا الزنا أمام مرأىٰ الشاه الطاغي والشيخ الأسير .

ولقد سمعتُ هذه القصة عن لسان الشيخ البافقي بنفسي في بيته بمنفاه ، فليس هناك مجال للزيادة أو النقيصة في نقل القصة .

وفي هذا العام أيضاً بأمرٍ من الشاه رضا خان نُفِيَ الحاج الميرزا صادق التبريزي (أعلم علماء تبريز) إلىٰ مدينة (قم) ، وفُرضتْ عليه الإقامة الجبرية فيها .

سادساً: في تلك السنة كنتُ أدرُس عند والدي في مدينة (سبزوار) كتاب شرح اللمعة (كتابٌ في الفقه) وكتاب القوانين (في علم أُصول الفقه) وكتاب المُغْني (في الأدب العربي) كما وسبق لي أنْ درستُ عنده في مدينة (گناباد) كتاب المطوّل (في علم البلاغة) والمعالَم (في علم الأُصول) والسيوطي والجامي (في علم النحو) والحاشية والشمسية (في علم المنطق).

كان والدي عالماً في مدينة (گناباد) واسمه الشيخ نظام الدين، وكان ﷺ كبير أهل زمانه في تدريس العلوم الدينية، أمّا أنا فلستُ أكثر من عُشْرٍ منه في العلم، ولكنّي تميّزتُ عنه بالشجاعة التي ورثتُها من أُمّي. إذ كنتُ جريئاً في التنديد بالمفاسد السياسية والاجتماعية وصريحاً في قول الحقّ على المنبر، بينما أبي كان يمنعني ويحذّرني من التدخل في هذه القضايا، حتىٰ وصل به الأمر أن نقلني من مدينة (گناباد) إلىٰ مدينة (سبزوار) وحرّم عليّ صعود المنبر مدّة تسعة أشهر وقال لي: لك أن تدرُس فقط!

نعم لو كنتُ ـ بالنظر إلىٰ ذكائي وقوّة ذاكرتي ـ أدرُس فقط (عملاً برأي والدي) لكنتُ اليوم من أكبر علماء الإسلام، وربما في العلوم الحديثة كنتُ (برفسوراً) كبيراً ومعروفاً علىٰ

المستوىٰ الدولي ، ولكنّي اخترتُ أن أكون واعظاً أُرشد الناس إلىٰ التعاليم الإسلامية وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، حتىٰ صرتُ أبرز عناصر الثورة في وجه الحكم البهلوي الفاسد بداية مجيئهم إلىٰ الحكم .

ويمكنكم أن تعرفوا قوّة ذاكرتي من خلال محفوظاتي التالية :

١ ـ القرآن الكريم كلّه مع التفسير .

٢ ـ أكثر خطب نهج البلاغة ـ للإمام علي عليه‌السلام وخطب أُخرىٰ لبقيّة الأئمة الأطهار بما فيها خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حول فدك .

٣ ـ أكثر أدعية الصحيفة السجادية وغيرها كدعاء أبي حمزة الثمالي ـ وهو من أطول الأدعية ذات مضامين عالية ـ ودعاء عرفة للإمام الحسين عليه‌السلام ـ كذلك من طوال الأدعية ـ .

٤ ـ بعض الكتب الدراسية في الحوزة العلمية كألفية ابن مالك وتهذيب المنطق ، وكتاب تلخيص المفتاح ، ومتن المطوّل في الأدب العربي ، وكتاب وافية في الأُصول .

٥ ـ مائتي ألف بيت شعر من إنشائي وتأليفي ، وخمسين ألف بيت شعر للشعراء الآخرين بما في ذلك ديوان سعدي وقصيدة يوسف وزليخا للجامي ، أحفظ هذه الأشعار كلّها

علىٰ ظهر القلب دون توقف ، ما عدا بعض أشعار الديوانيْن الأخيريْن حيث لم أهتم بهما كثيراً .

بهذه الذاكرة النادرة والموهبة الإلهية كنتُ ـ وبفضلٍ مِن الله تعالىٰ ـ أستطيع الصعود إلىٰ مدارج العلم والاجتهاد والفقاهة كما أرادهُ منّي أبي ، ولكني أبيتُ أنْ أتفرّج علىٰ ظلم الشاه رضا خان ومخططاته الاستعمارية ، ولم يُثْنِ عزمي هذا ما كان عليه غيري من العلماء بما فيهم والدي حيث لم يحرّكوا ساكناً ولم يعترضوا علىٰ شيء من الباطل ، لاعتقادهم بعدمَ جدوىٰ المعارضة والتدخّل في السياسة .

وهكذا ورثتُ من أبي بعضاً كثيراً من علمه ، وورثتُ من أُمّي شجاعتها وهي الأهم .

سَبزوار .. الشرارة الأولىٰ

كان رضا خان البهلوي وأمان الله خان الأفغاني ومصطفىٰ كمال أتاتورك أصدقاء حميمين منذ كانوا يقيمون في بريطانيا، وفيها عاهدوا مع أسيادهم واتّفقوا بين أنفسهم أن ينقلوا الثقافة الغربية إلىٰ ايران وافغانستان وتركيا .

فلما عادوا إلىٰ أوطانهم استولوا أوّلاً علىٰ السلطة عبر انقلاب عسكري ساعدهم فيه الاستعمار البريطاني دون شك، ثم وظّفوا الثقافة الغربية في محاربة الثقافة الإسلامية بالاستفادة من التخلّف السائد في الشرق . فمنعوا الحجاب وعاقبوا العلماء علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وروّجوا الزنا والخمور وجميع المحرّمات الدينية ، حتىٰ ألزموا الرجال بلبس القبعة الأجنبية وحلق اللّحىٰ والتخلّي عن الزيّ المحلّي.

وفي سياق هذه الخطط الاستعمارية والغزو الثقافي المدروس دعا (رضا خان) صديقه الأفغاني الحميم (أمان الله خان) مع زوجته المتبرّجة لزيارة أهم المدن الإيرانية ، وأمر وزيره (تيمور تاش) أن يدير استضافتهما مع الوفد المرافق

بكامل مجالس الرقص والموسيقىٰ والمحرمات والملاهي ، كانوا يريدون من ذلك كسر الحواجز أمام ارتكاب الناس للمحرمات ، وما قاموا به في مدينة سبزوار قد ذكّرني بأهل الشام الذين زيّنوا الشام بأمر من يزيد بن معاوية ابتهاجاً لسفك دماء الطيبين من آل محمد ، وسبي نساء أهل البيت عليهم السلام ومعهن أيتام شهداء كربلاء .

فلم أستطع كظمْ غيظي وكتمان غضبي علىٰ مظاهر التحدّي الصارخ والصريح للقيم الإسلامية . فقد كنتُ في درجة من الغضب لم أستطع أن آكُلَ الطعام رغم شدّة الجوع . فسألني والداي لماذا أنت مغموم هذا اليوم ؟ ما أفصحتُ لهما عمّا في قلبي ، لأنّي كنتُ أعرف أنّ أبي لا يتلاءم مع التفكير في هذه الأُمور ، وانّه لو عَلِمَ لَمنعني من التدخّل فيها ، وبالنسبة لأُمّي فلم تستطع غير البكاء شيئاً .

في ذلك اليوم ذهبتُ إلىٰ بيوت خمسٍ من علماء الدين أئمة المساجد في (سبزوار) وبعضهم كان فقيهاً مجتهداً ، طلبتُ منهم الافتاء لمقاطعة تلك الاحتفالات معلناً استعدادي لأكون أوّل مَن يعلن المعارضة ويحطّم الجُبن المخيَّم علىٰ الناس .

ولكن لم يوافقني أحد منهم وقالوا : انّ التدخل فى السياسة

انتحار ، والانتحار حرام شرعاً وعقلاً !

وبعد ما يئستُ من أولئك العلماء ، خرجتُ وحيداً إلىٰ مرتفعٍ قريبٍ من الحديقة التي كان فيها الاحتفال ، وكانت الساعة تشير إلىٰ الرابعة بعد الظهر ، فأخذتُ أنظر إلىٰ تلك المظاهر من بعيد ودموعي تجري علىٰ خدّي أسفاً ، وكان وجودي في ذلك المكان غريباً لبعض الناس الذي اقترب منّي وسلّم مدهوشاً وقال : مِن العجيب مجيئك إلىٰ هنا ياشيخ ؟!

قلتُ في جوابه : ما جئتُ هنا لأتفرّج علىٰ هذه المشاهد المحرَّمة، إنّما جئت لأظهر الأسف ، لماذا في الليلة الأُولىٰ من شهر محرّم الحرام أصبحتْ مدينتُنا مثل بلاد الشام تتزّين بالمعاصي والأفراح المحرّمة ، أين ذهب أهل الولاء ؟ .

كلُّ مَن حضر هناك أبلغتُه هذا الكلام ، حتىٰ أجمعوا علىٰ القول : حقّاً انّها أعمال سيئة ، ولكن لا حلّ بأيدينا ، نحن لايمكننا الاعتراض .

كانت الساعة الخامسة تقريباً إذ بلغ عدد المجتمعين حولي ما يقارب مائة وخمسين شخصاً ، كلّهم كانوا يُظهِرون الاشمئزاز من ذلك الاحتفال الحرام والمظاهر القبيحة لأُولئك الفسقة .

هنا قلت لهم : العجيب .. انّكم متفقون في القول بأنّ ما يقوم

به هؤلاء عملٌ سيّء ، ولكنّكم لا تبرزون الغيرة لردّ العمل السيء ! .

قال أحدهم : هذه مسؤولية العلماء ينبغي أن يتقدّموا ونحن مِن ورائهم ، فلو تقدَّمَ حتىٰ عالمٌ واحد فانّنا تقدّمنا للتعاون معه.

قلت : أنا لستُ مجتهداً ، فهل تتعاونون معي إذا تقدّمتُ لردّ المنكر ؟

قالوا : نحن نراك أفضل من مجتهدي مدينتنا .

قلت : إذن فليذهب إثنان من شُجْعانكم إلىٰ رئيس بلدية المدينة (في الإحتفال) ليخبراه انّ عدداً من المؤمنين مجتمعون في الحديقة ولديهم معك كلام .

ذهب إثنان من الحاضرين وأبلغاه الرسالة . ففهم رئيس البلدية محتوىٰ القضية ، لذلك اتّصل برئيس شرطة المدينة يستعين به . فردّ عليه الرئيس : إذهبْ إليهم بنفسك وانظُرْ ماعندهم من كلام واطمئن أنّنا سنمُدّك بقوات الشرطة .

فخرج رئيس البلدية إلينا متبختراً وقال : ماذا تقولون أنتم ؟ تقدّمتُ إليه وقلت : باسم الدين والضمير نطالبكم بإزالة هذه المظاهر ، لأنّ هذه الليلة أوّل شهر محرّم ، والمسلم الشيعي يجب أن لا يحتفل في مثل هذه الليالي والأيام خاصة .

قال : انّه حفل تكريم لملك افغانستان (أمان الله خان) ضيف الملك (رضا خان البهلوي) .. وهو الذي أمرنا بذلك ، ولا يحقّ لأي أحد أن يتدخّل في القضية ، وإذا تصرّ على موقفك فسأتصل برئيس الشرطة ليقف بوجهك .

في الأثناء رأيتُ شرطيّين يتقدمان نحونا ، ولكن قبل وصولهما إلينا لَحِقَ بهما شرطي فأسرّ شيئاً في أُذُنِهما ، وإذا بهم يرجعون ، ففهمتُ من ذلك انّهم خائفين من المواجهة مع الناس المجتمعين حولي ، هنا قلتُ للناس : ما دام رئيس البلدية لا يوافق على إنهاء هذا الاحتفال القبيح فأنتم قوموا بانهائه ، فتقدّم أخو زوجتي وإسمه (عبدالوهاب) وكان متديّناً وشجاعاً في نفس الوقت ، فحطّم مصباحاً قد زُيِّنَ به الطريق إلى الحديقة . فاضطرب رئيس البلدية وقال بصوتٍ مرتعش : رجاءً لا تُخِلّوا بالنظم ، نحن نزيل الزينة بهدوء ونجمع هذه المظاهر كلّها !

قلتُ : أُمهلكم خمس عشرة دقيقة ، نذهب خلالها إلى المسجد للصلاة ونعود ، فإنْ كانت الزينة والحفل على حالها فسنعمل بها ماتُملي علينا وظيفتنا الشرعية .

قلتُ هذا الكلام ومشيتُ مع الناس إلى المسجد ، وكان قد وصل عددهم إلى مائتي شخص ، ولمّا عُدنا من المسجد

أصبح عددنا مايقارب خمسة آلاف شخص (وهذه من بركات الصلاة والمسجد) وحينما وصلنا إلىٰ الحديقة لم نجد أي أثر للاحتفال ولتلك الزينة والمنكرات .

علمنا فيما بعد أنّهم اعتذروا لضيفهم ملك افغانستان بأنّ مدينة (سبزوار) مضطربة يُفضَّل الخروج منها . فخرج الملك مع الوزير (تيمور تاش) والحاشية بخوفٍ وحَذَر عبْر مدينة (شاهرود) دون أن يتوقفوا حتىٰ في مدينة (نبشابور) من شدّة الخوف .

عند ذلك رجعتُ إلىٰ البيت مسروراً وأخبرتُ أبي وأُمي بتفاصيل القضية ، ثم أكلتُ الطعام بشهيّة . أمّا والداي فكانا يخافان أنْ تطاردني الحكومة علىٰ فعلي هذا ، ولكن لم يحدث لي شيء .

هنا تبيّن لي أنّي لستُ قليلاً كما كنتُ أتصوّر ، وأنّ الحكومة التي يستعظمها الناس ليست عظيمة كما يتصوّرونها ، وعلمتُ أنّ الناس لو يمتلكوا همّةً عالية لَتمكّنوا بها الوقوف أمام أيّة حكومة ظالمة .

إلىٰ قم المقدّسة ..

منذ ذلك اليوم قرّرت الذهاب إلىٰ حوزة قم المقدّسة في أقرب فرصة ممكنة لكي أكون عوناً للعلماء الأعلام إذا ما اندلعتْ ثورة شعبية ضدّ رضا خان البهلوي ، لأنّي كنت أسمع في مدينة سبزوار أنّ مصطفىٰ كمال أتاتورك في تركيا رمىٰ بعض علماء الدين في البحر وأغرقهم ، وأنّ رضا خان يفكّر الإقتداء به !

مشيتُ علىٰ الأقدام مسافة طويلة حتىٰ وصلتُ إلىٰ مدينة قم بعد شهر ونصف ، وذلك لأنّ الحكومة فرضت قانوناً يقضي بحمل جواز سفر للتنقّل بين المدن ، وبما انّي كنت مطلوباً لذلك لم يكن من الصالح طلب جواز .

واللّطيف انّ قُطّاع الطرق بين مدينتَي (دامغان) و (سِمنان) أوقفوني وأخذوا منّي ثيابي وما كان معي . ولمّا دخلت المدينة صعدت المنبر في إحدىٰ المساجد وكان رئيس السرّاق رآني جالساً علىٰ المنبر فعرفني فجاء وأعاد كل ما سرقه منّي !

وأخيراً دخلتُ مدينة قم ورأيت كل شيء علىٰ حاله

ولا أحد يهدّد العلماء والحوزة ، وانّ الشيخ عبدالكريم الحائري (المرجع الديني مؤسّس الحوزة) محترماً لدىٰ الحكومة . فعلمتُ أنّ ماسمعتُه في (سبزوار) انّ الشاه يريد القضاء علىٰ العلماء لم يكن إلّا شائعة ، ولربما شائعة قبل واقعة !

وامّا قضية استشهاد الثائر الخيّر الحاج ميرزا نور الله الاصفهاني وإبعاد الشيخ البافقي من مدينة (قم) فكانت منسيّة، لا يتكلّم عنها أحد .

هنا قرّرتُ الاستفادة من الهدوء المخيّم علىٰ الحوزة بمواصلة الدراسة عملاً بوصية أبي وتأكيده علىٰ الجانب العلمي !

بقيتُ عاماً ونصف عام في الحوزة ، درستُ شرح اللّمعة (في الفقه) ورسائل الشيخ الأنصاري (في الأُصول) رغم انّي كنت قد درستها عند أبي سابقاً .

ثمّ درستُ (كفاية الأُصول) ، وفي نفس الوقت كنتُ ليالي الجمعة وأيّام العُطَل أذهب إلىٰ القرىٰ القريبة من مدينة (قم) للتبليغ الديني ودفع الناس إلىٰ مساندة العلماء فيما إذا أعلنوا ثورة ضدّ الشاه تكون النفوس مهيئة .

ولقد نشطتُ في (٢٥) قرية وأصبحتُ فيها محبوباً ومعروفاً

إلىٰ درجة بعث القرويّون إليّ في (قم) خلال صيف تلك السنة ثمانين بغلة محمَّلة بالبطّيخ فوزّعتُه علىٰ طلبة العلوم الدينية في مدارس (قم) كلّها .

لقد كان رئيس بلدية (قم) واحداً من أعوان الشاه رضا خان المقرَّبين والمدرَّبين علىٰ المكر والخيانة . وممّا قام به هذا الفاسق هدْمُه لمقبرة (قم) المجاورة للحرم وتبديلها بحديقة ، وذلك ضمن خطّة مدروسة بالتنسيق مع الشاه مباشرةً ، والهدف كان البدء في نشر مظاهر الفسق والمعاصي بين الناس وتحطيم قُدسيّة المدينة .

وبعد تخريب القبور وإعداد الأرض لزراعة الأشجار والزهور ، وقبل أن يأتي الشاه إلىٰ مدينة (قم) لإفتتاح سكّة الحديد بينها وبين محافظة (خوزستان) بثلاثة أشهر أمَرَ رئيس البلدية ببناء ملهىً داخل الحديقة !

ولقد فرح لذلك الشبابُ المراهقون في المدينة . وحينما جاء الشاه إلىٰ (قم) التقىٰ به العلماء بما فيهم المرجع الكبير الشيخ عبدالكريم الحائري وقدّموا له اعتراضاتهم علىٰ تصرّفات رئيس البلدية . فقال الشاه المنافق : أمّا المقبرة فانّ دائرة الصحّة تقول بأنّها كانت مصدر أمراض داخل المدينة فلزم إلغاؤها لتكون المقبرة خارج المدينة !

وأمّا الملهىٰ فسوف أمنع هذا الأحمق من تشييده ، أنـا لا أرضىٰ بما يقوم به من بناء أماكن للزنا وشرب الخمر !

وهكذا سجّل الشاه لنفسه فضلاً علىٰ العلماء ، وأقام لنفسه موقعاً في قلوبهم حيث منع بناء الملهىٰ ، ولكنّه حقّق الهدف الأوّل وهو هدم المقبرة واستبدالها بحديقة للتدرّج في نشـر المعاصي والمعاكسات بين الفتيان والفتيات .

غرسوا في الليلة الأولىٰ بعض الأشجار والزهور ، فـقمتُ في الساعة الثانية بعد منتصف الليل مع ثلاثين من أصـدقائي القرويّين بقلعها ورميها جانباً ، وذلك بالمشورة مع بعض كبار العلماء !

ولم تمض فترة طويلة حتىٰ علم رئيس الشرطة أنّني قُدْتُ المجموعة في هذه القضية ، فأخذوا في البحث عنّي ، ولكن الأصدقاء أخفوني فلم تتمكّن الشرطة من العثور عليّ ، وكنتُ أتنقّل من قرية إلىٰ قرية لمدّة ثلاثة أشهر وأدخـل المـجالس الكبيرة كالفواتح والمآتم واجتماعات الأعراس العامة بشكل مفاجىٰء ، وأرتقي المنبر وأُعرّي مفاسد الحكومة الشاهنشاهية ثم أهرب إلىٰ مخبئي ، فلم تستطع الشرطة من الوصول إليّ في ذلك الإزدحام ، واستمرتْ المعركة بيني وبين رئيس الشرطة وأفراده علىٰ هذه الطريقة لخمسة أشهر في المجموع ، ولكنّه

عجز عن إلقاء القبض عليّ رغم انّه كان معروفاً بالمكر والدهاء ، والناس في (قم) كانوا يسمّونه (عبيدالله بن زياد) واسمه كان (فضل الله) وساعدتْه صفاته اليزيدية ليرتقي في درجته حتىٰ أصبح فيما بعد من أهم الأعمدة العسكرية المعتمَدة لدىٰ الشاه محمد رضا ابن الشاه رضا خان ، فكان يرسله للمهام الصعبة إلىٰ أنحاء البلاد ، وهو الذي جابه الدكتور محمّد مصدِّق وواجه الحركة الوطنية (في الخمسينات الميلادية) .

ولكي يعرف قرّاء هذا الكتاب الحقيقة البهيميّة لهذا الرجل (أعني رئيس شرطة قم) أذكر القصة التالية :

قبل عيد (النوروز) بستة أشهر اعْلَنَ في (قم) أنّ مَن لا يلبس الزيّ الغربي ولا يضع القبعة علىٰ رأسه من بداية السنة الجديدة ، فسوف يُعاقَب بخمسين ريالاً وخمسين سوطاً وشهرين سجْن !

وجاء يوم العيد ، فأخذ يتجوّل في الأسواق فلم يرَ أحداً من الناس قد غيّر زيّه المحلّي إلىٰ زيّ الغربيّين ، فاغتاظ ثم قام باللّعبة التالية :

ألقىٰ القبض علىٰ أحدِ الفسقة المعروفين ، وجاء به إلىٰ مركز الشرطة وضربه بالسوط ثمّ أمر أن يشتروا له بدلة (سترة

وينطلون مع القبعة الغربية) وحلقوا وجهه بالموس ثم ألبسوه الزيّ الغربي وأمروه أن يتجوّل في الشوارع !

ولمّا رآه الناس ، خافوا أن يَفْعَل بهم رئيس الشرطة ما فعل بالرجل ، فلبس الزيّ ما يقارب ألف وخمسمائة شخص في ذلك اليوم ، وهكذا أصبح هذا الزي الدخيل زيّاً لأكثر الناس في المدينة .

من خلال هذه القصة يمكنكم أن تعرفوا حقيقة (فضل الله) الذي كانت بينه وبيني مطاردة ومعركة الفرّ والكرّ .

ولقد انتظرتُ حتىٰ يعلن العلماء في (قم) الجهاد لأكون في طليعة المجاهدين ، فلم يُعْلِنوه ، وأنا رأيت الاستمرار في الخفاء مع ذلك الصيف الحارّ في (قم) ليس أمراً نافعاً ، ومن ناحية كان (فضل الله) قد ضايق الناس في التفتيش عنّي .. لذلك تركتُ المدينة عائداً إلىٰ مدينتي (سبزوار) .

إلىٰ كربلاء والنجف

عندما رجعتُ إلىٰ (سبزوار) قالتِ لي أُمّي : أرجوك أن تأخذني إلىٰ كربلاء والنجف لزيارة العتبات المقدّسة . وبما أنّي كنتُ أتمنّىٰ فرصةً لزيارة العرّاق واللقاء بالعلماء في العتبات المقدسة ، أخذتُ والدتي وخرجت قاصداً كربلاء والمسافة غير قصيرة من ناحية ، وأنا مطارَد ومطلوب للاعتقال من ناحية أُخرىٰ ولم يكن عندي جواز سفر رسمي من ناحية ثالثة ، لذلك فإنّ سفرتي لم تكن تخلو من خطورة ، فأخذتُ أتنقّل من مدينة إلىٰ مدينة وأَمُرُّ علىٰ قرية تلو قرية ألتقي بالناس وأرتقي المنبر وأنا خارج إلىٰ مكان آخر ، وهكذا حتىٰ دخلتُ الأراضي العراقية عبر مدينة (كرمانشاه) الايرانية ، فوصلتُ إلىٰ كربلاء في الأوّل من شهر رجب ، وكان يأتي إليها المرجع الكبير آية الله العظمىٰ السيد أبو الحسن الاصفهاني في كل عام في الأوّل من شهر شعبان إلىٰ الخامس عشر منه ، ويصلّي الجماعة في صحن الإمام الحسين عليه السلام مقابل باب القبلة .

وتلبيةً لطلب السيد ارتقيتُ المنبر بعد صلاته من أوّل شهر شعبان إلىٰ ليلة النصف، ليلة ميلاد الإمام الحجّة بن الحسن المهدي (عجّل اللهُ فَرَجَه) وكان السيدُ الاصفهاني يجلس تحت المنبر ويستمع لخطابي، وبعد النصف حيث يعود السيد إلىٰ النجف الأشرف طلب مني مرافقته والتزام المنبر بعد صلاته هناك، فقبلتُ طلبه، وخرجتُ معه إلىٰ النجف، وهناك أيضاً طلب مني آية الله العظمىٰ الشيخ ميرزا حسين النائيني أن أرتقي المنبر عنده عشر ليالٍ، فلبّيتُ دعوته كذلك. بهذه المنابر والخطابات انتشر اسمي في العديد من البلاد الإسلامية.

في ذات يوم عند لقاءٍ خاص مع المرجع الأعلىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني ﵀ سألني السيد: جئتَ إلىٰ العراق لأجل الزيارة أم الدراسة ؟

قلتُ: في الوقت الحاضر جئتُ للزيارة ومعي والدتي، وسوف أعود بها إلىٰ الوطن ثم أرجع للدراسة التي بلغتُ فيها إلىٰ (السطوح) ـ يعني المرحلة الوسطىٰ من الدروس الحوزوية ـ وسوف أدرس مرحلة (الخارج) هنا في حوزة النجف ـ وهي المرحلة التي تُعِدُّ العالم لدرجة الاجتهاد ـ، ذلك لأنّي أبتغي هدف الاجتهاد والمرجعية.

فقال السيد الاصفهاني : مِمَّن تُقلِّد ؟

قلتُ : مِن سماحتكم .

قال : إنّي أُفتي لك بأنّ اليوم حضورك في (بحث الخارج) من أجل بلوغ درجة الاجتهاد حرامٌ ، وانّ ارتقاءك المنبر لتحريض الناس ضد القوانين التعسّفية الجائرة للعميل رضا خان البهلوي في ايران والتي سنّها ضد القرآن واجبٌ عيني عليك . نحن لدينا مجتهدون كثرة ، ولكن المبلّغين المنبريين الذين يعون الفكرة المطلوبة ويكونون من أهل التقوىٰ قليلين جدّاً ، وإلىٰ أن تصبح أنت مجتهداً فإنّ الشاه رضا خان قد أتىٰ علىٰ كل شيء ولم يُبْقِ مسلماً في ايران ليقلّدك !

قلتُ : أنا مستعدّ لهذا العمل ، بل مشغول به منذ سنوات ولكن إذا أدّتْ نشاطاتي ضدّ الشاه إلىٰ حربٍ وسفْكِ دماء فلستُ أنا المسؤول!

قال المرجع الاصفهاني : أنا مطّلع علىٰ أنشطتك في ايران ، وخاصة مواجهتك للملعون (فضل الله خان) رئيس شرطة (قم) ، فانّها مواجهة جديرة بالتقدير . لأجل هذا فإني آمرك بمواصلة هذا الجهاد العظيم قبل أن ينتشر المزيد من الفساد في البلاد .

وبالنسبة للحرب وسفك الدماء ، يجب أن لا تكون البادئ

فيها ، فانّه لا يجوز لكم ضرب النساء السافرات لإكراههنّ علىٰ الحجاب ، ولا يحقّ لكم أن تعتدوا علىٰ شارب الخمر أو تؤذوا رجلاً يحلق لحيته أو يبول واقفاً . عليكم أن تأمروا الناس بالصلاة والصيام والزكاة والحجّ والواجبات الدينية الأُخرىٰ بطريقة ليّنة ، وباللتي هي أحسن تنهوهم عن الخمر والقمار والزنا واللّواط والربا والرشْوة والسرقة والخيانة والكذب والغيبة وحلق اللّحية والتبوّل وقوفاً وربطة العُنُق ومصادقة المنحرفين وبقية المحرّمات وسائر المكروهات .

فإذا منعتْ حكومة البهلوي أنشطتكم التبليغية هذه وأدّىٰ منعها إلىٰ حرب وسفك دماء فإنّها هي المسؤولة لا أنتم ، والذي يُقتَل في تأييدكم فهو شهيد . ولكن حتىٰ الإمكان اسعوا للغلبة علىٰ العدو بحربٍ باردة ومعارضةٍ سلمية ، حتىٰ لا تصل الأُمور إلىٰ حرب ساخنة ، وأنا أدعو الله لك بالموفقية .

وهكذا رجعتُ إلىٰ ايران مع والدتي مقرِّراً تنفيذ أوامر وتعاليم مرجعي الكبير حسب وسعي ومقدوري(١) .

---

(١) من الجدير ذكره انّ الشيخ بهلول في ذلك الوقت كان شاباً في الخامس والعشرين من عمره تقريباً (المترجم) .

إلىٰ حجّ بيت الله الحرام ..

عندما رجعتُ الىٰ ايران وجدتُ نفسي مستطيعاً لحجّ بيت الله الحرام ، فقلتُ : يجب عليّ أن أُؤدّي فريضةَ الحج أوّلاً لكيلا أُقتَل في ساحة الجهاد ويبقىٰ شوقي إلىٰ الحج مبتوراً ومن الناحية الشرعية اكون مطلوباً .

لذلك سافرتُ مع زوجتي إلىٰ طهران لننطلق إلىٰ العراق وأتركها في كربلاء نزولاً إلىٰ رغبتها ثم أذهب إلىٰ الحجّ ، وبعده نعود معاً الىٰ الوطن . ولكنّنا لمّا وصلنا إلىٰ طهران وجدتُ اجتماعاً حاشداً في مسجد الشاه(١) فانتهزتُ الفرصة وصعدت المنبر عشر ليالٍ ، وقلتُ كل ما أردتُ قولَه عن مفاسد الشاه والموظّفين في حكومته الجائرة .

فاعتقلوني وأودعوني السجن وبعد عشرة أيّام أفرجوا عنّي بسبب الاضطرابات التي عمّت طهران تنديداً باعتقالي ،

---

(١) وهو مسجد كبير في سوق طهران المركزي، سُمّي بعد انتصار الثورة الإسلامية بمسجد الإمام الخميني.

ولكنّهم نقلوني الىٰ مدينتي (سبزوار) وادخلوني السجن فيها، ولمّا خافوا من حدوث اضطرابات شعبية هناك جاء بي رئيس شرطة (سبزوار) إلىٰ والدي وطلب منه أن يضمن ويتعهّد منعي من إرتقاء المنبر والكلام ضد الحكومة.

ولكنّي بإشارة خاصة أفهمتُ والدي أن لا يضمنني ولا يتعهّد له بذلك. فقال له والدي: هذا ولدي مجنون، وأهل (سبزوار) يعرفونه، ولهذا عُرِف في ايران بالشيخ بهلول، وأنا لا أضمن هذا الولد المجنون، أنتم أدرىٰ به، إعملوا به ما تشاؤون فإن تقتلوه أو تسجنوه أو تُطلِقوا سراحه أو تأخذوه إلىٰ دار المجانين لكم الخيار في كل ذلك، وأنا لا أتحمّل في رقبتي أيّة مسؤولية تجاهه!

فأعادني رئيس الشرطة إلىٰ (المخفر) ثم أطلق سراحي من دون تعهُّد أحد، واكتفىٰ بالقول: لا تعارض الحكومة.

ولم يكن له حلٌّ غير هذا، لأنّه كان يخشىٰ لو يؤخّرني في الحجز ساعات أكثر لثارتْ عليه الناس في المدينة.

وهكذا قفلتُ راجعاً إلىٰ (طهران) فوراً، ودخلتُ مدينة (قم) واتصلتُ بزوجتي التي بقيتْ في طهران بعد اعتقالي، فجاءت وخرجنا من (قم) إلىٰ العراق، وكنا علىٰ قرارنا الأوّل، حيث أبقيتُها في كربلاء وذهبتُ إلىٰ الحجّ، ثم عدتُ إليها ورجعنا إلىٰ ايران بروحٍ جديدة للجهاد.

الطلاق الصّعب

لمّا قرّرتُ خوض الجهاد ضدّ الشاه رضا خان والتنقّل بين المدن الإيرانية لتوعية الناس واستنهاضهم للثورة كنتُ أعلم ما يترتّب علىٰ ذلك من أذىٰ وسجن وهجرة وضرورة الإختفاء ، لذلك أخذتُ أُفكّر في زوجتي المؤمنة ، إذ أنّ مواقفي هذه تجلب لها مضايقات وربما تنتقم منها السلطات الشاهنشاهية للضغط عليّ ، وهذا شيء يزعجني ويعرقل مسيرتي الجهادية وتحرّكي الإسلامي الثائر ، من هنا بعد أن وضّحتُ لزوجتي تفاصيل القضية قلت لها : ما رأيكِ أن نتفارق علىٰ حبٍّ ورضىٰ كما تزوّجنا علىٰ حبٍّ ورضىٰ ؟

فقالت : من أجل الجهاد في سبيل الله ، أنا راضية بما تقرّره أنت .

أبىٰ ضميري أن أترك هذه المرأة الصالحة إلّا أن أضمن لها زوجاً يسعدها ويهتم بحقوقها ، لذلك بعد الطلاق الصعب وأَخْذِ العِدّة الشرعية زوّجتُها بسيّدٍ من أصدقائي في (سبزوار) يعمل في حياكة الفرش والسجّاد ، وكانت زوجته قد فارقتْ

الحياة قبل فترة . ولقد كان ذلك من أصعب الأُمور على قلبي ، ولكن حبّي لها وللجهاد في سبيل الله دفعني إلىٰ إتّخاذ هـذا القرار العسير لكيلا يؤذيها الطاغوت بسببي إن بـقِيتْ زوجـةً لي، وعندئذ كنتُ أضطر أن أخـضع للـحكومة لأدفـع الأذىٰ عنها، وهذا يعني أن أترك الجهاد ، وهو كان من المستحيلات عندي . لأنّي قطعتُ علىٰ نفسي مقارعة حكومة البهلوي حتىٰ آخر لحظة من حياتي سيما بعد أمر المرجع الاصفهاني[1] .

---

(١) ـ بالطبع لايعني هذا أن يُطلّق المجاهدون زوجاتهم حتىٰ بالتوافق ما لم تكن ضرورة كالضرورة التي جعلتْ الشيخ بهلول يتخذ هذا القرار الصعب . (المترجم)

المطاردة وتصعيد الخطاب

بعد رجوعي من حجّ بيت الله الحرام وحصول الطلاق الصعب ، طلبتْ مني أُختي التي تَكْبُرني بسبع سنوات أن آخذها إلىٰ زيارة كربلاء أيضاً . وبما انّ لها عليّ فضل ، إذ هي التي علّمتْني الخطابة المنبرية وشجّعتْني منذ صغري لإرتقاء المنبر وإرشاد الناس ، وهي كانت خطيبة النساء ومُرشدة لهنّ ، فما كان مني إلّا أن منحتُها موافقتي ، فانطلقنا إلىٰ كربلاء مع إبنتها الصغيرة ، وفي الطريق إلىٰ العراق الذي استغرق عشرة أشهر تقريباً كنتُ أرتقي المنبر في كل مدينة وقرية ، ويحتشد الناس لاستماع خطابي ، وكانت أُختي أيضاً ترتقي المنبر للنساء ، مررنا علىٰ مدينة «زاهدان» و «بَم» و «كرمان» و«سيرجان» و «يزد» و «شيراز» و «بوشهر» ومنها عبر البحر ذهبنا إلىٰ مدينة «خرمشهر» و «آبادان» ودخلنا مدينة البصرة تهريباً ، فأولاً تشرّفنا بزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف ثم مرقد الإمام الحسين وأبي الفضل العباس عليهما السلام في كربلاء . وعُدنا إلىٰ ايران مروراً بالمدن التالية : «البصرة»

«آبادان» «أهواز» «بهبهان» «تبريز» «شيراز» «اصفهان» «قم» «طهران» «مشهد» «گناباد».

ولقد ارتقيتُ المنبر في هذه المدن كلّها وقُراها التي دخلناها متحدِّثاً عن الوضع السياسي في البلاد، ما عدا مدينة «شيراز» و«اصفهان» إذ قلتُ للناس فيهما أنّي لا أتدخّل في السياسة!

طبعاً هيّئتُ الأرضية لأعود إليها بعد إيصال أُختي إلىٰ بيتها في «گناباد» وذلك لأنّ هاتين المدينتين أهمّ المدن سياسياً، فكنتُ أحسب لهما حساباً خاصاً ولابدّ لهما من تمهيد خاص.

وهكذا أوصلتُ اختي لئلّا تتضرّر في الاضطرابات المحتملة بعد خطاباتي، ثم عدتُ إلىٰ «اصفهان» فارتقيتُ المنبر في مسجد (السيّد) ومسجد (الحكيم) ومسجد (الجمعة) والمسجد المسمّىٰ بمسجد (الشاه) وبقية أماكن اصفهان، وكانت مواضيعي تدور في التشهير بالقوانين التي سنّتْها حكومة البهلوي ضدّ القيم الإسلامية، كقانون تبديل عطلة الجمعة إلىٰ يوم الأحد تبعاً للنصارىٰ، وتبديل الأسماء العربية إلىٰ أسماء فارسية، وفتح دور السينما للأفلام المفسِدة، وسماحه لبيع الخمور وممارسة الدعارة ولعب القمار والميسر، وقانون الزواج والطلاق الذي كان مخالفاً لقانون

الإسلام، وقانون السفور وخلع الحجاب الإجباري من النساء المسلمات.

ندّدتُ بهذه الأمور في كل خطاباتي، ممّا جعل شرطة (اصفهان) تستنفر لمنع المحاضرات، ولكنّها جوبهتْ بصمود الناس الذين دافعوا عنّي بقوّة، فتراجعتْ الشرطة مُرغَمة، واستمرتْ محاضراتي لأربعين يوماً آخر.

ومن بعد مدينة (اصفهان) ذهبتُ إلىٰ (شيراز) وفاءً للوعد الذي قطعتُه سرّاً مع المؤمنين هناك، وهكذا تمّتْ محاضراتي كالّتي في (اصفهان) بل أحسن منها.

في (شيراز) أيضاً أرادتْ الشرطة أن تمنع المجالس، ولكن الناس وقفوا في وجهها ودافع عنّي المجتهد الكبير في (شيراز) آنذاك سماحة الشيخ جعفر المحلاتي دفاعاً مريراً.

ولقد حاولتْ الشرطة في منتصف الليل القاء القبض عليّ، ولكنّها خابتْ بالفشل لأنّي كنتُ أُخفي محل إقامتي من دون علم أحد! فالذي كان يدعوني لتناول العشاء في بيته كنتُ أتّفق مع شخص آخر لأبيتَ عنده بشرط الكتمان، فبعد العشاء أصعد السطح وأتنقّل من سطوح الجيران حتىٰ أصل إلىٰ زقاقٍ تؤدي إلىٰ منزل الشخص الذي اتّفقت معه للمبيت في داره، فالشرطة التي علمتْ عبر جواسيسها بأنّي معزوم

علىٰ العشاء في بيت فلان تقتحم البيت فلم تعثر عليّ !

هكذا كانت خطّتي في كل المدن الإيرانية ، وقد أرهقتُ بها الشرطة في البحث عنّي والقاء القبض عليّ ، فما استطاعوا الوصول إليّ أبداً ، ولمّا أنهيتُ مهمّتي في (شيراز) خرجتُ إلىٰ مدينة «يزد» و«كرمان» و «همدان» و «نهاوند» و «تويسركان» وعملتُ فيها ثورة علىٰ حكومة البهلوي . حتىٰ وصلتُ إلىٰ مدينتي «گناباد» فعلمتُ أنّ رئيس الشرطة فيها منذ شهرين ينتظرني لإلقاء القبض عليّ ، فلم أبقِ سوىٰ ليلةً واحدة، وفررتُ في أوّل الصباح ودخلتُ مدينة «فردوس» ولم يؤسَّس فيها مخفرٌ للشرطة بعدُ . فارتقيتُ المنبر وبدأتُ في تنوير الناس حول الوضع السياسي للبلاد والمخطط الاستعماري الهادف الىٰ إماتة الإسلام في ايران . وكنتُ أبيتُ في منزل عالم فردوس المحترم سماحة الحاج نجفي وكان مسالماً مع الحكومة رغم سَخَطِه علىٰ تصرفاتها وسياستها .

وذات يوم جاءه رئيس الأمنيّة (الاستخبارات) وقال : إنّ لدينا أمراً من شرطة (مشهد) لإلقاء القبض علىٰ ضيفِك ، ولكن احتراماً لمكانتك فإنّي لا أقبض عليه في دارك ، مجرّد أرجو منك إخبارنا عن الطريق الذي يخرج إليه الشيخ من المدينة لنعتقله هناك !

شَكَرَه الحاج نجفي علىٰ عدم اعتقالي في بيته ، فخرج رئيس الأمنيّة علىٰ أمل أن يخبره الحاج عنّي ! هذا ما سمعه زوج خالتي الذي كان معي حيث أيقظني وقال : لقد سمعتُ كلام المأمور مع الحاج نجفي ، فما الحلّ ؟

قلت له : تحرّك معي ، ففررنا من دون إخبار الحاج نجفي (صاحب البيت) ، وكان الوقت منتصف الليل ، فأكملنا نومنا في إحدىٰ المزارع ، ثمّ خرجنا مع أذان الصبح من المدينة متجهين إلىٰ مدينة «قائن» وفيها ارتقيتُ المنبر سبع ليال ، إستنهضتُ فيها الهمم والغيرة الدينية وناديتُ في المسلمين بالجهاد .

مشهد .. الشرارة الثانية

بعد سبع ليالٍ قضيتُها في مدينة «قائن» زُرتُ في اليوم السابع أحد المؤمنين الذين كان عائداً من زيارة (مشهد المقدّسة) لأستخبر منه أوضاع المدينة .

فقال : أهمّ الأخبار تؤكّد أنّ آية الله العظمىٰ السيد حسين القمي جُلِبَ إلىٰ طهران ، ولا أحد يستطيع أن يتكلّم بسبب شدّة القمع وكثرة العيون .

ولما كنتُ أنتظر مثل هذه الفرصة منذ زمان قمتُ فوراً وانطلقتُ إلىٰ مدينة (مشهد) ، فوصلتُ إليها بعد اثنتي عشرة ساعة لأنّي كنتُ أركب حافلة إلىٰ مسافةٍ من مخفر شرطة الطريق ، ثم أنزل منها ماشياً من جهة الخَلْف ، ثم أنتظر سيارة أُخرىٰ تأخذني ، وذلك تفادياً من الاعتقال والاستجواب ، فمثلاً ذات مرّة دخلتُ طهران فجأة وصعدتُ منبراً في أحد المساجد وحرّضتُ الناس علىٰ الحكومة ، ثم نزلتُ من المنبر وخرجتُ من طهران بدرّاجة أردفني صاحبُها إلىٰ مسافة ، ثم واصلتُ الطريق إلىٰ مدينة «قزوين» و «همدان» و«كرمانشاه»

وفي نفس الليلة خرجت من ايران ، ونمت في الليلة الثانية في بغداد !

بالطبع لا شك في انّ العناية الإلهية لها دور غيبي في هذا التحرّك ...[١].

نعم كانت ليلة الخميس حيث وصلتُ إلىٰ مدينة (مشهد المقدسة) وأطرقتُ باب منزل آية الله القمّي للسؤال عن حاله وأخباره . فقالت لي زوجته : انّ السيد باختياره ذهب إلىٰ طهران لينصح الشاه رضا خان أن يتراجع عن قراراته المخالفة للشريعة . إلّا أنّ الشاه لم يمنح السيد وقتاً للقاء به فأمر باحتجازه في حديقة ، ومن ناحية أُخرىٰ أصدر الشاه أوامر إلىٰ شرطة (مشهد) لإلقاء القبض علىٰ مؤيّديه . وقد اعتقلوا الشيخ غلام رضا الطبسي ومجموعةً من العلماء ، وسوف يعتقلونك إن عثروا عليك . خُذْ احتياطك وحذرك .

تلك الليلة ذهبتُ الىٰ منزل أحد الأصدقاء ، وفي الصباح فكّرتُ أن أبقىٰ ليلة الجمعة في (مشهد الرضا عليه السلام) وأُغادر

---

(١) هنا يلمّح الشيخ بموهبة (طيّ الأرض) كما هو علىٰ الألسن وقد سألتُه هل يمتلكها بالفعل أم كلام الناس ؟ قال : الناس يقولون كل شيء . هذا وإنّ من المعروف عند الاولياء الصالحين أنّ الذين يمنحهم الله تعالىٰ هذه الموهبة لا يصرّحون بها لأحد ، وإلّا سُلِبتْ منهم .

المدينة إلىٰ طهران يوم الجمعة للقاء بالسيد القمي بأي شكل كان من أجل استعلام الموقف المطلوب .

من الجدير ذكره أنّ من عادتي إذا كنتُ يوم الخميس في مدينة من المدن المقدّسة لا أُغادرها إلّا أزور ليلة الجمعة وأتبرّك من ذلك المقام الشريف .

ولكي أُبْعِدَ عن نفسي خطر الاعتقال قرّرتُ في تلك الليلة (ليلة الجمعة) أن أعتكف في الحرم ولا أخرج إلّا إلىٰ الصحن. فلمّا دخلتُ إلىٰ الصحن الرضوي وكانت الساعة الثانية ظهر يوم الخميس، إذا بشخصٍ هَمَسَ في أُذني ـ وكان من شرطة الاستخبارات بزيّ مدني ـ قائلاً : إنّك مطلوب لدىٰ الشرطة ، تعال معي .

لم أُحاول الهروب ، بل قمتُ معه ، ولكن الناس الذين كانوا يعرفونه اعترضوا عليه فهتفوا بوجهه : أين تأخذ الشيخ ؟

قال : تريده الشرطة .

قالوا : لا يحقّ لك اعتقال أحد من داخل الصحن الشريف ، فهذا مكان مقدّس وآمن .

حمىٰ النزاع بينهم وبينه وارتفعتْ أصوات النقاش وصوتي لم يخرج ! وبعد قليل قلتُ للشرطي : ما دام الناس هذا موقفهم، واليوم (يوم خميس) ليس أحد في مركز الشرطة

موجوداً للبتّ في قضيتي، فاسمح أن آتيكم يوم السبت !

رفض الشرطي وأصرّ على موقفه ، ولكن الناس أصرّوا في صدّه ، فاجتمع من كلا الطرفين رجال ، وكادت المعركة تحتدم في الصحن الشريف ، حتى تدخّل خُدّام الحرم (السَدَنَة) وطرحوا حلّاً وسطاً ، وهو احتجازي في حجرة من الحرم الشريف تحت رقابة الشرطة حتى يأتي مدير الشرطة إلى الحرم ويحسم القضية .

وكان ذلك ظاهر الأمر ، بينما الحقيقة هي خطة لتسليمي إلى الشرطة في منتصف الليل بعد أن يتفرّق من حولي الناس المدافعون. وأنا رغم علمي بهذه الخدعة وافقتُ على الاقتراح كيلا ينقسم الناس إلى فريقين : فريق موافق وفريق مخالف ، وبالتالي يصبح الانقسام في صالح العدو كالعادة .

احتجزوني في حجرة هناك وعيّنوا أربعة حرّاس يراقبونني، وأنا لكيلا أخسر وجود الناس وعِلمهم بي كنتُ أقِفُ خلف زجاجة الباب ليروني باستمرار ، إذ لو تيسّر للشرطة أخذي بسهولة لنقلوني إلى طهران ، إمّا للإعدام أو السجن المؤبّد ، ولقد حاولوا إبعادي عن الباب بحجج واهية ، ولكنّهم باؤوا بالفشل ، ولم يتمكّنوا من إرغامي خوفاً من هجوم الناس المتجمهرين في الصحن ، ولكنهم كانوا

يحاولون إبعاد الناس عن المكان ، وانتشر خبر احتجازي ، فجاء الناس بكثرة ، فقال لهم الشرطة : اذهبوا فانّ الشيخ سوف يأتيكم إلىٰ المسجد ويرتقي المنبر !

ولكني فتحتُ الباب فوراً وقلتُ للناس : أنا معتقل هنا كيف آتيكم !

فزادتْ الهمهمة واشتدّ غضبُ الناس ، وكانت امرأة من مدينتي «گناباد» قد رأتني فاستغاثتْ للإفراج ، وأخذتْ تنادي وتحرِّض الناس ، فأخذها الشرطة جانباً ، ثم جاءت أربع نساء شيرازيات وعملن ذات الاستغاثة لتحريض الناس ، ولكن الشرطة أخذوهن جانباً أيضاً قبل انفلات الأُمور من أيديهم .

وبعد ظُهْرِ ذلك اليوم حيث خفّتْ حرارة الشمس زاد تجمهر الناس في الصحن حتىٰ علىٰ سطوح الحُجَر وكان يوماً مشهوداً .

حادثةٌ .. واخرىٰ غير متوقَّعة

في الأثناء جاء رجل وعليه لباس البهلوي وقبّعة شاپور (نوع من القبّعات الايرانية القديمة) اراد أن يدخل عليّ فمنعه بعض الشرطة ، لكنه هتف قائلاً : أيُّ كلبٍ أنت الذي تمنعُني من الدخول ، كل هذا الحرم بيدي أنا .

فاقتحم الحجرة وقال لي : لماذا أنت محتجَز هنا ؟

تصوّرتُه في البداية انّه من رجال الشرطة وهو يريد استجوابي ، فقلتُ : أنا لا أعلم لماذا جلبوني هنا ، أنا زائر من (گناباد) .

فأظهَر التألّم والانزعاج وقال : آخ ، لقد وَصَلَ الأمرُ بهم أن يعتقلوا أشخاصاً مثلكم ؟!

فهمتُ انّه من مؤيّدي العلماء . لذلك قلتُ له : إنّ احتجازي ليس مهماً ، المهم الذي يتألّم منه الإنسان المتديّن هو اعتقال رجل مثل آية الله العظمىٰ السيد حسين القمّي .

قال : وهل السيد أيضاً معتقل ؟

قلتُ : نعم ، هو وأولاده محتجزون في طهران .

قال : أنا أُريد أن أُعرّفك نفسي .. اسمي (نـوّاب احـتشام الرضوي) رئيس حرّاس الناحية الخامسة للحرم الشريف . إلىٰ قبل شهر واحد كنتُ معمّماً ، ولكن صدرتْ أوامر حكـومية باستبدال العمامة إلىٰ قبّعة أو الفصل عن الوظيفة .

ولكيلا أفقد وظيفتي فكّرتُ أنّ الأمر لا يتجاوز أكـثر مـن لبس قبّعة، والآن تبيّن أنّ خَلْفَ هـذا القـرار سياسة مـحاربة العلماء ، لهذا فإنّي أُريد الاعتذار إلىٰ الله وأن أُبيّض وجهي عند جدّي رسول الله . أنظُرْ ماذا سأقوم به الآن !

قال هذا وخرج من الحجرة ، وأنا لا أدري ماذا يريد القيام به ، ولو كنتُ أعلم لَما سمحتُ له بذلك ، لأنّي لم أكن أرغب الدخول في حرب ساخنة هـناك وفـي ذلك الوقت أو تـهيئة مقدماتها .

وقف (نوّاب احتشام) وسط الصـحن ورفـع قـبّعته بـيده وهتف في الناس قائلاً : أيّها الناس ... أنتم أربعة آلاف تخافون أربعة رجالٍ من الشرطة ، ألا تهاجموهم وتُفرِجوا عن الشيخ ؟ فليسقط الذي وضع قبّعة الغرب علىٰ رؤوسنا ، اللّـعنة عـلىٰ هذه القبّعة !

ثمّ ضرب قبّعته بالأرض وداسها وهو ينادي : يـاحسين ، وتقدّم نحو الحُجْرة وتقدّم معه الناس ، فلاذ رجـال الشـرطة

بالفرار ، وحملني الناس على أكتافهم وهم يصلّون على النبي ﷺ إلى أن دخلوا مسجد (گوهر شاد) فوضعوني على المنبر !

جاء رئيس الاستخبارات وأوصل نفسه إلى المنبر وقال لي : أيها الشيخ لا تقرأ .

فهجم عليه الناس وضربوه ورموه خارج المسجد ، ولا أدري هل مات أو بقي حيّاً ، ولكن أغلب الظنّ انّه مات تحت أقدام الناس سَحْقاً ، لأنّي سألتُ عنه فقيل انّه مات .

لقد تألّمتُ كثيراً لهذا الحدث ولا أدري كيف كانت حالتي ، إذ ما كنتُ أُريد مثل هذا ، ولم يكن قصدي مِن إثارة عواطف الناس سوى أن يخاف رجال الحكومة من قوّة الجماهير فيخلو سبيلي ، وكما كان المرجع السيد الاصفهاني أمرني أن لا تقع حرب ساخنة ، ولابدّ من قهر العدو بحرب باردة ، تماماً مثل ما قمتُ به في «شيراز» و «اصفهان» و «أهواز» و «بهبهان» و «يزد» و «كرمان» ومدن أُخرى من ايران . ولكن يبدو أنّ إرادة الله شاءت هنا أمراً آخر .. كما كان هدف المسلمين في (معركة بدر) هو الاستيلاء على قافلة قريش التجارية ، ولكن الله تعالى شاءت إرادته أن يتحوّل الهجوم على القافلة إلى معركة كبيرة يجعل فيها الغلبة للمسلمين على المشركين .

لقد كنتُ أُريد أن يخشىٰ رجال الشرطة من تحرّك الناس فيطلقوا سراحي ، ولكنّ الله أراد أن تقع الحرب وتكون سبباً لإعلاء كلمة الإسلام وتعرية العائلة البهلوية الفاسدة .

حقّاً كانت الأوضاع رهيبة في تلك الساعة ، وكنتُ متحيّراً لا أعرف ما هو المطلوب فعله . ولو كان الناس يطلبون منّي إلقاء كلمة وحالتي هذه لما كنتُ قادراً علىٰ تلبية طلبهم . ولم يكونوا بحاجة إلىٰ كلمتي في تلك الساعة بسبب شدّة الازدحام وارتفاع هتافات : «الموت للشاه» «عاش الإسلام» «الموت للكفر» «اللعنة علىٰ البهائي» «اللعنة علىٰ أعداء العلماء» وما أشبه من هذه الشعارات التي كانت تهزّ المسجد والصحن لإيقاظ الناس .

كنتُ خلال ربع ساعة إلىٰ عشرين دقيقة أسمع هتافات الناس وأنا واضعٌ رأسي بين ركبتيَ علىٰ المنبر أُفكّر في واجبي مع هذا التطوّر المفاجيء الذي حصل من دون إرادة .

وأخيراً اكتملتْ في ذهني الفكرة والكلمة التي رأيتُها مناسبة لذلك الجمع الحاشد ، وكنتُ أنتظر هدوئهم لألقيها عليهم ، انقل منها مقتطفات بعد سنوات مرّت عليها وأنا أترك تقييمها للقارئ اللبيب ، ولكنّي أقول : إنّ إعداد كلمة سواءاً تكون صحيحة أو باطلة في تلك الظروف الحرجة لشيخ في

السابع والعشرين من عمره ولم تكن لديه خبرة كاملة في العمل السياسي ولم يشاهد مِن قبل اجتماعاً ثورياً عظيماً كان عملاً جبّاراً ، ولقد تحقّق بعون الله تعالىٰ . ولعلّ غيري لو كان يقع في مثل تلك الحالة لكان يضيع موقفه خمسَ إلىٰ ستّ ساعات من دون القدرة علىٰ التفوّه بكلمة ، ولعلّه غُشي عليه .

نعم .. بعد دقائق من الهتافات ، قام بعض النافذين من ذوي اللّحىٰ البيضاء وأسكتوا الناس ودعوهم للاستماع إلىٰ كلمتي وهم يقولون لهم : انّ هذه الشعارات لا تُجدي كثيراً ، ولقد كان هدفنا الإفراج عن الشيخ والآن هو جالس علىٰ المنبر ، دعونا نستفيد من توجيهاته .

فخيَّم السكوتُ علىٰ المسجد ، فقمتُ علىٰ المنبر واقفاً ، وأخذتُ في الخطاب ولم تكن في ذلك اليوم مكبّرة صوت وما كنتُ أحتاج إليها لأنّي كنتُ أعلم بأنّ صوتي يصل مِن صحن (المقصورة) إلىٰ (دار السيادة) إذ كنتُ ألقي في نفس المكان من قبل وأُمي في (دار السيادة) تسمعني ثمّ تشرح لي خلاصة كلمتي .

لقد قلت في خطابي :

«أيّها الأُخوة لم يكن الإخلال بالنظم وضرب الرجل عملاً حسناً ، نحن لا نريد أن يقع مثل هذا ، كان الأفضل أن تذهبوا

إلىٰ المحافظ أو رئيس الشرطة وتطالبوه بالإخلاء عن سبيلي ، ولعله لو كنتم تقومون بهذا الأمر لكانوا يطلقون سراحي خوفاً من هذا التطوّر الذي حدث .

والآن فالذي ما كنّا نريده قد وقع ، واعتذارنا للحكومة ليس صالحاً لأنّها تُفَسِّره بالعجز والضعف ويدعوها إلىٰ الانتقام ، فبعد ضرب رئيس الاستخبارات سوف نُهاجَم وليس هناك طريق إلىٰ الإصلاح ، وانّ الحرب لا مفرّ منه . فالواجب أن نشدّ ظهورنا للدفاع ونستعدّ للجهاد ، ونسعىٰ للإفراج عن آية الله العظمىٰ السيد حسين القمي من سجن طهران ، فإما نُستشهَد جميعاً وإمّا تُهزَم الحكومة البهلوية؛ فبقاؤكم هنا الآن إضاعة للفرصة ، أمّا الزوّار فمخيَّرون ، وأمّا أهالي (مشهد) فعليهم أن يذهبوا إلىٰ منازلهم ويهيّئوا لعيالهم مؤنة اسبوع واحد ليطمأن بالهم من هذه الناحية . لأنّ المهمّة الجهادية التي نريد الخوض فيها لا تنتهي قبل اسبوع . فغداً في الصباح مَن يريد الجهاد معنا فليحضر الىٰ المسجد وبيده أي سلاح ، لنرىٰ بعدئذ ماذا يمكننا عمله .

استعدادات قبل المواجهة

أصبح الجمهور بين مَن بقي في المسجد والصحن الشريف وأكثرهم من الزوّار والمتفرّجين ، وبين مَن ذهب إلىٰ منزله ، وكان هناك شباب فدائيون أوقفوا أنفسهم لحمايتي في المسجد ، وذهب بعضهم بسرعة وعاد مسلّحاً إلىٰ المسجد وكان عدد هؤلاء (٥٧) شخصاً ، وأسلحتهم عبارة عن سيوف وسواطير وعصيّ .

ولأنّ النوم في المسجد مكروه شرعاً ، ذهبتُ إلىٰ الصحن الجديد لأنام قليلاً ثمّ اشتغلتُ بقراءة الدعاء وصلاة الليل ، وقرأتُ من الرثاء الحسيني لنفسي وبكيتُ ، إذ تذكّرتُ ليلة عاشوراء السبط الشهيد .

تلك الليلة لم يهاجمنا رجال الحكومة لسببيْن :

السبب الأوّل : لأنّهم كانوا ينتظرون ردّ الشاه علىٰ برقياتهم التي رَفعتْ إليه تقارير الأوضاع .

والسبب الثاني : لأنّهم كانوا يعلمون بأنّ القضاء علىٰ المتحصّنين في المسجد أمرٌ سهل ولكن تهدئة الناس في

المدينة بعد ذلك أمر صعب . وهذا شيء يجلب لهم مشاكل عديدة في مشهد المقدسة .

ولقد علمتُ مضمون برقياتهم كالتالي :

«إنّ شخصاً يُدعىٰ بهلول ، ثائر علىٰ الحكومة ومتحصّن في مسجد (گوهر شاد) ، فما هو المطلوب ؟» .

وصلهم الجواب من طهران كما يلي :

«مَن هو البهلول ؟ وما هو المسجد ؟ إفتحوا النيران ليتفرّج البهلوي علىٰ نار جهنم ، لِنَعْلَم بعده مَن هو بهلول وما هو المسجد ؟! وليس مهماً نتيجة الحرب ؟

عند أذان الصبح من يوم الجمعة سمعنا صوت الناقوس من داخل المعسكر . والذين كانوا معي في المسجد كانوا يعرفون ذلك الصوت بأنّه استنفار للجنود ودعوتهم للحضور . قالوا : انّ ذلك يغني استعدادهم للهجوم .

وهكذا قبل طلوع الشمس حاصر الجنود الساحة القريبة للحرم لكي يمنعوا الناس من الإنضمام الينا داخل الصحن والحرم والمسجد ، ونحن في المسجد كنّا نقرأ دعاء (الندبة) إذ دخل علينا رجل وقال : أنا مبعوث إليكم من قِبَل المحافظ لأنصحكم بالخروج والتفرّق . فإن كانت لديكم مطالب من الحكومة فهناك المحافظ يمكنكم الذهاب إليه .

كان واضحاً انّه وعود فارغة ، لذلك قلت له : نحن لم نجتمع لِتُفَرِّقَنا كلمةٌ مِن المحافظ ، إذهب مِن هنا قبل أن يصلك مكروه ، وإن لم تذهب أخشىٰ أن يصبح مصيرك كمصير رئيس الاستخبارات .

خرج الرجل واندلعتْ في أطراف الصحن والحرم الشريف معارك بين الجنود وبين الناس الذين كانوا يحاولون الإلتحاق بنا في المسجد ، فالجنود كانوا يضربون الناس برؤوس البنادق والناس يرمونهم بالحجارة وبما وصلتْ أيديهُم إليه .

أصحاب العربات راحوا يحملون أحجاراً ويُحضِرونها للناس في المعركة ، فجاء الأمر بإطلاق الرصاص ، ولكن في اللّحظة الأُولىٰ من صدور هذا الحكم أطلق ضابط علىٰ نفسه وانتحر كيلا يضطر إلىٰ سفك دماء الناس .. ورمىٰ جندي مسلم أحد الضبّاط وأرداه قتيلاً . بهذيْن الحدثيْن خاف قائد الجند من التمرّد ، فتراجع عن الهجوم وأصدر أمراً بالرجوع إلىٰ المعسكر ، فانفتح الطريق أمام الناس للدخول إلىٰ الصحن والحرم والمسجد فأصبح جمعنا أقوىٰ . وأثناء انسحاب الجنود طاردهم بعض الناس وأسروا منهم ثلاثة وغنموا (١٧) بندقية ، وقد رمىٰ بعضُ الجنودِ المؤمنين أسلحتهم إلىٰ

الأرض عمداً لكي تقع غنيمة بيد الثوّار ، لكن من المؤسف أنّ بعض الثوّار الجهلة كما بلغني انّهم رموا بعض الجنود بالرصاص فسقطوا مضرّجين بدمائهم . ولقد استطعتُ إنقاذ واحد منهم عندما رأيتُ بعض الجهلة يُشبِعونه ضرباً ولكماً ورفساً ، تبيّن فيما بعد انّه من أهل (نيشابور) وهو ابن أحد أصدقائي المحترمين .

هذا ولو كنّا نهاجم المعسكر في ذلك الوقت لكنّا نحصل علىٰ أسلحة كثيرة ويلتحق بنا جنود كثيرون وكانت احتمالات انتصارنا أكبر ، لأنّ الجنود أكثرهم كانوا معنا ، وفرصة رجال الحكومة لجمع القوىٰ كانت قليلة . ولكنّ الله لم يشأ ، ولعلّ الخير كان في عدم قيامنا بهذه الخطوة إذ كانت أمام هجومنا علىٰ المعسكر عقبات سيأتي شرحُها ..

ثغرة إكتشفتُها متأخراً !

(نوّاب احتشام الرضوي) ذلك الرجل الذي أوّل مَن هيّج الثورة ، انتهز فرصة نومي في تلك الليلة ، فاتّصل برجال الحكومة وواعدهم انّه يتعاون معهم لدىٰ ساعة الطلب ، وهم في المقابل واعدوه بمنصب رئاسة الحرم الرضوي .

فبينما كان رجال الحكومة منهزمين ، والناس يدخلون المسجد ويملؤون أطراف الحرم الشريف بهتافهم «ياعلي» «ياحسين» ، كان (نوّاب احتشام) جالساً علىٰ المَدْرَج الثاني من المنبر وأنا فوقه ، فرمىٰ نفسه متظاهراً أنّه غُشِيَ عليه !

تصنّعه لهذا الموقف قد شلّ موقفنا في تلك الساعة الصعبة، لأنّي كنتُ في وقتها أحتاج إلىٰ معاون فعّال مثله لأستشيره وأُقرّر ، ولم أكن أعرف غيره .

وفي هذه الساعة جاء شخص وقال : انّ وفداً من ثمانية أشخاص جاء من طرف الحكومة يريد المفاوضة معك ، وهم يطلبون الأمان للدخول إلىٰ المسجد شريطة أن لايتعرّض لهم أصحابك .

قلت : انّ حرم الإمام الرضا عليه السلام دار أمن وأمان لكم ياأهل الدنيا!

فأمرتُ أصحابي بإعداد مكانٍ داخل الحرم ليجلسوا هناك فأذهب إليهم.

بعد عشر دقائق أخبروني انّهم ينتظرونك في حجرة من حُجَر الحرم الشريف. وهنا استفاق (نوّاب اجتشام) من غشوته المفتعلة إذ كان يسمع ما دار من كلام بشأن اللقاء، فقام وطلب أن يذهب لمفاوضتهم نيابةً عنّي!

لكنّي إذ ظننتُه (ثغرة) ولا زالت لم تثبت لي قلتُ له : انّني في هذه الأُمور لا أتّخذ وكيلاً، ولابدّ أن أقول كلامي بنفسي، أنت أُجلس على المنبر وقُمْ بإدارة الناس.

مفاوضة أم خدعة !

ذهبتُ إلىٰ الوفد الذي كان ينتظرني في الحجرة ، وكان أربعة منهم معمّمين وأربعة أصحاب قبّعات . المعمّمون أحدهم كان النجل الأكبر للمرحوم الشيخ الآخوند ملّا محمد كاظم الخراساني ، والثاني هو الشيخ مرتضىٰ الآشتياني ولم أعرف الاثنين الآخرين ، أحتملُ أنّهما من علماء طهران المؤيدين للشاه رضا خان .

أمّا الأربعة الآخرون ، فأحدهم هو (أسدي) متولّي الحرم الرضوي ، والثاني (پاك روان) محافظ مدينة (مشهد) ، والثالث (العقيد نوائي) رئيس شرطة (مشهد) ، والرابع (قائد الجنود) في (مشهد) ، لم أعرف إسمه . أوّل دخولي وقبل أن يتكلّموا ، صرخ بوجهي الشيخ الخراساني بإهانة بالغة وقال : أيّها الأحمق ، ما هذا الفساد الذي صنعتَه لنا ، انّك تريد خدمة الإسلام ولكنّك خدمتَ الكفر . فلو يحدث أقلّ ضعفٍ وهزّةٍ في الدولة سوف تتعرّض ايران لهجوم الروس والانجليز من حدود (سَرَخْس وزاهدان) فيحتلون ايران كلّها ، الحمد لله إنّ

مَلِكَنا مسلمٌ ، ولا يقوم بعمل مخالف للشريعة . ان مَنْعَ الحجاب وبعض الأعمال الفاسدة في البلاد لم تكن بأمر الشاه. انماذلك من عمل بعض الوزراء وممثلي الشعب الخونة، ولقد سجنهم الشاه كلّهم ، وهو قد أقْسَمَ أن لا يعمل شيئاً خلاف الشريعة الإسلامية ، ومن دون إذن مراجع الدين !

وآية الله العظمىٰ السيد حسين القمي ليس معتقلاً ، بل هو علىٰ ما يُرام ، وسوف يصل إلىٰ (مشهد) يوم الأحد .

لقد جهلتَ واقع الأمور ، وما تقوم به لم يكن بأمر أحد من مراجع الدين . هل تعلم منذ الصباح إلىٰ الآن كم قُتِلَ من الأشخاص ؟ ذنْب هذه الحوادث في رقبتك . ماذا أعددتَ جواباً لله يوم القيامة ؟!!

ثم غيّر لهجتَه وقال :

والآن فلنَنسَ الماضي ولنفتح صفحةً جديدة ، والشاه واعد أن يعلن عفواً عاماً ، وسوف لا يعاقب أحداً علىٰ ما بدر منه . وأنت بالذات لك الأمان وسوف تواصل نشاطك الديني الاعتيادي بحرية تامة . ولكن عليك أن تفرّق الجماهير الحاشدة حولك وتسلّموا أسلحة الجنود إلىٰ رجال الحكومة . يمكنك أن تكون ضيفاً عندي في هذه الليلة وغداً ، ثم تختار أي مكان تشاء .

هكذا تكلّم الشيخ الخراساني ، ووافقه الآخرون من أعضاء الوفد، وكان جوابي كما يلي :

« بالنسبة لتحويل الأسلحة وتفريق الناس أمرٌ غير ممكن فعلاً ما دام آية الله القمي لم يصل الىٰ مدينة (مشهد) ، ولولاكم أنتم العلماء لاقتحمنا المعسكرات في هذه الساعة ولا نخشىٰ المدافع ، لأنّنا نحارب لله تعالىٰ ، والله في عوننا ، ﴿ ولَيَنصرنّ الله مَن ينصُره ﴾ و ﴿ كَمْ مِن فئةٍ قليلةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً بإذْنِ الله ﴾ .

ولكن بما أنّكم كبار علماء هذه المدينة فإنّنا نوافق علىٰ الهدنة إلىٰ صباح يوم الأحد ، فإنْ جاء آية الله القمي وتبيّن صِدْقُكم فإنّ الأمر نحوّله إليه ليعمل ما يشاء ويأمر ، وإنْ لم يأتِ السيد في يوم الأحد فسوف نشنّ حرباً» .

ولعلّ الحكومة كانت تتمنّىٰ حصولها علىٰ مثل هذه المهلة لتستجمع قواها وتشنّ الهجوم علينا ، لذلك وافقوني علىٰ الانتظار حتىٰ يوم الأحد واتفقنا علىٰ ما يلي :

١ ـ أن يكون المسجد وأطرافه بأيدينا ولا يدخلها رجال الحكومة إلّا بإجازتنا .

٢ ـ أن لا نتدخّل في شؤون المدينة ، ولكن لا يحقّ لهم اعتقال أي أحد من مؤيّدينا فيها .

٣ ـ أن يتحرّك أفرادنا فيها لأُمورهم الشخصية بحرية تامة دون حملهم للسلاح .

٤ ـ أن لا يدخل أفرادنا الدوائر الحكومية .

٥ ـ أن ندفن القتلىٰ ونضمّد الجرحىٰ .

قلتُ هذا وخرجت راجعاً إلىٰ المسجد ، وصلّينا صلاة الظهر والعصر جماعة ، وصلّىٰ أئمة الجماعات في الصحن والحرم كالسابق ، ولكني أصدرتُ أمراً بعدم ارتقائهم المنبر كيلا يحدّثوا الناس بما يثبّط عزائمهم ويفرّق جمعهم ، بالطبع فانّ الأمر نُفّذ في دائرة سيطرتي ، وأمّا الأماكن البعيدة من الحرم والصحن الشريف فكان الخطباء يرتقون المنبر ويقولون ما بدىٰ لهم ، ومع ذلك فانّ أفرادي كانوا يراقبون حدود سيطرتنا بدقّة فإذا دعىٰ أحدهم الناس الىٰ التفرّق أخرجوه من المكان ، وأنا شخصياً كنتُ أتفقّد الأوضاع بين كل ساعة ، وعيّنتُ زوج أُختي لهذا الأمر أيضاً .

وبعد الصلاة أوّل ما قمتُ به هو دفن القتلىٰ ، وعددهم (٢٢) قتيلاً، وكان عدد الجرحىٰ (٦٧) شخصاً ، وكان من القتلىٰ (١٤) شهيداً من أفرادنا و (٨) من أفراد الحكومة ، بينهم ضابطين وستّة جنود . والجرحىٰ كلّهم مِن المدنيين ، أشرفتُ علىٰ دفن جميع القتلىٰ برعاية كامل الاحكام الإسلامية من دون منحهم حكم الشهيد ـ فقهياً ـ وأكثر الجرحىٰ أخذتْهم أهاليهم إلّا (١٣) جريحاً حيث أدخلناهم إلىٰ دار شفاء الحرم الشريف .

وعاد (التأريخ) فاشلاً !

بعد صلاة المغرب والعشاء من ليلة السبت مباشرةً بلغني خبر أنّ (أسدي) متولّي الحرم الرضوي (المنصوب من قبل الحكومة) قد ألبس جمعاً مِن سَدَنة الحرم عمائم ليدخلوا المسجد بين الساعة التاسعة حتىٰ الحادية عشرة وبأيديهم مصاحف ، وهدفهم أن يمسكوني ويسلّموني إلىٰ الحكومة فيُنْهُوا الاعتصام والثورة !

كان يظنّ (أسدي) انّ أفرادنا يتهيّبون من العمائم المزّيفة والمصاحف التي بأيدي السدنة والمرتزقة ، كما حصل ذلك لبعض أصحاب الإمام علي عليه السلام عندما خدعتْهم المصاحف المرفوعة علىٰ الرماح في واقعة صفّين ، مما أسفر عن ذلك اكراههم علياً عليه السلام أن يقبل الحكميْن .

ارتقيتُ المنبر فور علمي بهذه اللعبة ، فخاطبتُ الناس :

«أيّها الأُخوة الأعزّاء : إنّ المصاحف التي رفعها (عمرو بن العاص) علىٰ الرماح في وجه أصحاب الإمام علي عليه السلام قد يرفعها (أسدي) في هذه الليلة بوجهنا ، فان كنتم مثل أُولئك

الذين قالوا لعلي عليه السلام لا نحارب الذين يحملون المصاحف بأيديهم ، فأخبروني لكي لا ننتظر حتىٰ يأتي (أسدي) وأصحابه مع المصاحف ، بل يمكنكم الآن أن تتفرّقوا وتذهبوا لشأنكم ، وأنا أُسلّم نفسي للشرطة، وتنتهي الثورة . وان كنتم علىٰ ثبات وإستقامة صارحوني بذلك ليطمئن قلبي».

فقام شاب من بين الحاضرين في الثلاثين من عمره تقريباً وقال :

أنا اسمي (حسن أردكاني نژاد) وأخي أُستشهد في واقعة الأمس ، أُعلن لك استعدادي للشهادة في كل وقت . فإني وجميع أصدقائي هنا نؤمن بأنّ آية الله العظمىٰ السيد حسين القمي الذي قمنا لأجل الإفراج عنه حتىٰ لو أيّد هذه الحكومة الفاسدة لعارضناه ولم نتركك وحيداً .

فأيّده الحاضرون بالتصفيق وقالوا : حسناً ما قلتَه ، نحن معك .

بلغ هذا الخبر إلىٰ (أسدي) عبر جواسيسه المتسلّلين بين الناس ، فتراجع الرجل عن خطته الأُمويّة .

من هذه القضية يتّضح كِذْبَ ما أُشيع بين الناس مِن أنّ (أسدي) كان متفقاً مع الشيخ بهلول ، وانّه كان وراء الثورة ، وانّه أخذ الشيخ بسيارته الخاصة بعد مجزرة المسجد وأوصله خلال ليلة واحدة إلىٰ افغانستان !

هذه الأكاذيب اختلقتْها الحكومة البهلوية ، (أسدي) لم يكن متفقاً معي قدر أنملة ، بل كان مع الحكومة وضدّي بشدّة.

والسبب في انّ رضا شاه البهلوي أشاع انّه كان معي فأعدمه على هذا الأساس هو أمران :

الأوّل : انّ رضا شاه لو كان يقولُ بأنّ ثورة بهلول وراؤها المرجع الكبير آية الله العظمىٰ السيد أبو الحسن الاصفهاني ، أو انّها من أجل الدفاع عن آية الله العظمىٰ السيد حسين القمي لكان يلزمه التهجّم علىٰ هذيْن العظيميْن ، كما تهجّم ولدُه الأحمق (محمد رضا شاه) علىٰ آية الله العظمىٰ السيد الخميني في الجرائد ، فثار عليه الشعب وأخرجه من ايران .

إلّا أنّ رضا شاه لم يكن (حماراً) كولده ، كان يستعمل (الترياق) ولكنّه لم يقترب من (الهيروئين) لكي يذهب عقلُه تماماً !

لهذا فانّه لم يذكر اسم آية الله الاصفهاني وآية الله القمي في القضية وإنّما نسبها إلىٰ (أسدي) متولّي الحرم ، وبعد قمع الثورة تراه قد نفىٰ آية الله القمي إلىٰ العراق محترَماً ، وقال للناس انّ السيد سافر برغبته إلىٰ العتبات المقدّسة ليعيش هناك، ولم يذكر شيئاً عن سجنه ونفيه . لأنّ الوقوف بوجه

(أسدي) الذي كان إقطاعياً كبيراً وملّاكاً متموّلاً لم يكن كفراً ، بينما الوقوف بوجه آية الله القمي كان كفراً صريحاً يسبّب عليه ثورة الجماهير .

الثاني : لأنّ الدولة في ذلك الوقت لم تكن قادرة علىٰ مصادرة ثروة الناس وتنفيذ سياسة (إصلاح الأراضي) بالإكراه، فلكي تتمكن من مصادرة أملاك هذا الرجل وأمثاله في ايران كان إتهامه بأنّه يدعم الثوّار هو الطريق لتصفيته والوصول إلىٰ أمواله وممتلكاته .

فالدولة تتهم الملّاك والثريّ بقضية معيّنة ثم إمّا تُصدِر عليه الحكم بالإعدام ومصادرة الأموال معاً ، وإمّا تكتفي بالمصادرة ثمّ العفو عنه ترحّماً وتكرّماً ، وهو مصيدة لإخضاعه بعد افلاسه .

وقد نفّذ رضا شاه هذه السياسة مع العديد من كبار تجار ايران والأثرياء للسيطرة علىٰ أموالهم ، منهم علىٰ سبيل المثال (عذراء اليهودي) الذي كان من أكبر الملّاكين في (شيراز) ، حيث اتّهمه بتهريب الذهب إلىٰ الخارج فأصدر عليه حكم الإعدام ومصادرة الأموال ثمّ شطب علىٰ الحكم بإعدامه ليسجّل عليه فضلاً ومَكْرَمة .

وكذلك فعل مع اثنين من أثرياء مدينة (رشت) إذ اتّهمهما بالتجسّس للروس !

وأما(أسدي) فقد كان يريد رضا خان أمواله فقط ، ولكن أعداءه أسرعوا في اعدامه ، ولما وصلتْ برقية عفو الشاه عن قتله كان الحكم منفَّذاً .

وهذا هو السبب في نسبة الثورة إلىٰ (أسدي) وهي بعيدة عنه كل البُعد[١] .

---

(١) أقول ولعلّ هناك سبب ثالث هو تحجيم شخصية الشيخ بهلول بأنّه لوحده لم يكن قادراً علىٰ صنع ثورة ، بل كان وراؤه شخص آخر . ومثل هذه الافتراءات تقال حول كل شخصية عظيمة بقصد فصل الناس عنها .

يومٌ قبل المجزرة ..

في يوم السبت ، من الصباح إلىٰ اللّيل كانت المسيرات الشعبية تجوب شوارع وأزقّة (مشهد المقدّسة) وتُطلِق هتافات التأييد لنا ضد الحكومة البهلوية .

ومن جهة ثانية دسّتْ الحكومة بعض الفسقة بين الناس - في الحرم والصحن الشريف - ليقوموا بالسرقة من الزوّار بغية مضايقتهم وإحداث بلبلة تنسبها إلينا لتشويه سُمعتنا ، فلمّا كان يذهب الأشخاص المسروقة أموالهم إلىٰ مخافر الشرطة يقولون لهم طالبوا أموالكم من الشيخ بهلول لأنّه المسؤول عن الحرم والصحن ، فكان الأشخاص يأتونني وأنا أعطيهم من الأموال التي كان يتبرّع بها المؤمنون للثوّار .

ولقد ساهم الناس كثيراً ، فمثلاً كان أحد الخبّازين يرسل لنا إلىٰ المسجد عند كل وجبة مائة إلىٰ مائة وخمسين كيلواً من الخبز ، وكانت تأتينا الفواكه واللحوم المطبوخة وغير المطبوخة ، وحتىٰ الصابون والابرة والخيط ، ففي تلك الساعة فقط كنتُ أحمل في جيبي ما يقارب عشرة آلاف تومانٍ ما عدا

(ذهب وحليّ) النساء اللّواتي تبرّعن بها للدفاع عن الإسلام ودعماً للثورة والثوّار المعتصمين في المسجد والمتخندقين في الحرم الرضوي الشريف. ولقد عيّنتُ صديقي (الشيخ علي أكبر) مسؤولاً عن الهدايا والتبرعات، لكنّه استُشهد في معارك ليلة الأحد فسقطتْ الأموال والهدايا بأيدي الناس. ولكي أقطع الطريق على السرقات وقطع جيوب الزوّار خطبتُ في الناس من على المنبر قائلاً:

«أيّها السرّاق وقطّاع الجيوب، انّكم على مرّ السنين هذا ديدنكم ولعلّكم تستمرون كذلك، ولكن ليس من الإنصاف في الوقت الحاضر الذي نحن محاصَرين وربما على أبواب الشهادة تعملون لنا مشاكل، تعالوا من أجل الله ولو لمرّة واحدة في حياتكم، فان لم تساندونا في الثورة إنصرفوا عن فعل المشاكل. والسارق الذي يتجنّب السرقة خلال هذه الأيام أرجو من الله أن يكتب له ثواب الشهداء الذين سقطوا في يوم الجمعة الماضي، وأن يحشره الله مع شهداء كربلاء، وأن يغفر ذنوبه السابقة ويرحم أمواته وأن يحفظه في الآتي من كل معصية وفضيحة أو سجن وأذى».

رفع الحاضرون أياديهم بالدعاء (آمين) ومن ذلك الوقت انقطع النهب وقَطْعُ الجيوب. وسمعتُ أنّ السرّاق قد هدّد

بعضهم البعض وقرّروا أن يكفّوا عن أذىٰ الناس والزوّار في أيام الثورة .

ومن ناحية أخرىٰ سمعتُ أنّ بعض الناس يريدون الهجوم علىٰ محلّات بيع الخمور ودكاكين القبّعات البهلوية (الغربية) وغيرها فمنعتُهم ، لأنّ ذلك يسبّب الفوضىٰ وفقدان الأمن في المجتمع ويستغلّه المُغرِضون للاساءة بسمعة الحركة الإسلامية .

وسمعتُ انّ القنصليات الأجنبية في (مشهد) قلقة من احتمال هجوم الناس عليها فأرسلتُ لها خبراً بأنّ الناس الذين معنا لايقومون بالإعتداء عليكم أبداً ، وإن انتصرنا علىٰ الحكومة البهلوية فسوف تكون الاتفاقات بينكم وبينها محل احترامنا ، بهذا اطمأنّ الأجانب ، وكنّا باستمرار نؤكّد علىٰ الناس أن لا يعتدوا علىٰ أي أحد سوىٰ الجندي الذي يريد الإعتداء عليهم .

في عصر ذلك اليوم (السبت) انظمّ إلينا جماعة من أهل القرىٰ البربريّين وبأيديهم معاول وسواطير وسكاكين وسيوف وبعض البنادق . وقالوا انّ غداً أوّل الصباح ستصل أفواج مسلحة للانضمام إلىٰ صفوفكم في مواجهة الجنود المرتزقة . كما وَصَلَنا خبر بأنّ الناس في مدينة (قوچان) و (تُرْبَت

الحيدريّة) و (نيشابور) يستعدون للانضمام إلينا أيضاً .

لقد أرعبتْ هذه الأنباء رجال الحكومة ، فقرّروا إنهاء الأزمة سريعاً قبل وصول الدعم والقوّات الشعبية . فليلة الأحد خَيَّمَتْ علينا بسلام حتىٰ منتصف الليل إذ دخلتْ القضية مرحلة جديدة .

المقاومة وعاقبة الخيانة

كانت الساعة الثانية عشرة من منتصف ليلة الأحد ، حين بلغني نبأ الاستعدادات الهائلة للجنود الذين تريد الحكومة زجّهم في الهجوم علينا . وسمعتُ أنّه تمّ اختيارهم من أرذل الناس وأنّ العناصر المتديّنة من الجيش قد أخرجوهم خشية التمرّد أو الإلتحاق بالثوّار ، وبلغني أنّ حصاراً عسكرياً فُرِضَ علىٰ مدينة (مشهد) كي يمنعوا دخول قوّات شعبية من القرىٰ والمناطق الأخرىٰ ، وانّ طائرات حربية علىٰ أهبة الاستعداد في قواعدها ، والمدافع والدبابات مصوَّبة الىٰ جهة الحرم والصحن والمسجد ، وقالوا أنّ الهجوم سوف يتم في أوّل الصباح .

وحيث كنتُ واثقاً من مساندة الناس قرّرتُ عدم الإنسحاب والتراجع ، لذلك بدأتُ أجمع الأفراد وأُعِدُّهم للدفاع ، فوضعتُ علىٰ كل باب من أبواب الحرم والمسجد نفرات مسلّحة مع قائد أثِقُ فيه ، وأهم الأبواب هو الباب الذي كان يفتح علىٰ الشارع وينتهي إلىٰ المنبر الذي كنتُ أُوجّهِ منه

المجاهدين وقد أعطيتُه بيد (نوّاب احتشام الرضوي) الذي لم تثبت عليه الخيانة عندي حتىٰ ذلك الوقت ، وكنتُ أعلم أنّ هذه الدفاعيّات أمام الاستعدادات العسكرية الهائلة للعدو تشبه الريش في مهبّ الرياح ، ولكني لم أجد غير المقاومة حلّاً آخر .

ولو لم أُقاوم بهذه الطريقة لكان عليّ أحد أمريْن : إمّا الهروب قبل المعركة وهو هزيمة سياسية كبرىٰ ، أو الاستسلام للشرطة ، وفيه إعدامنا جميعاً . لأنّ الحكومة البهلوية بعد إعدامنا كانت تعلن أنّ جمعاً من الأشرار قاموا بنشر الذّعر بين الناس فأخذناهم إلىٰ حكم العدالة !

ولكنّ الحق والانصاف انّ مقاومتنا رغم إنكسارها السريع فإنّها :

١ ـ حافظتْ علىٰ هيبة الإسلام وسمعة الشيعة .

٢ ـ حافظتْ علىٰ حياة آية الله القمي ومكانة العلماء .

٣ ـ فضحتْ قوانين البهلوي المناوئة للشريعة الإسلامية .

٤ ـ أحدثتْ عطباً في مسيرة اللادينية عند الناس .

ويمكنني القول أنّ ذلك كلّه أدىٰ إلىٰ إيجاد أرضية خصبة لإنتصار آية الله العظمىٰ نائب الإمام السيد الخميني في هذا العصر ، مضافاً إلىٰ انّ احتمال النصر في المقاومة ولو كان

ضئيلاً فانّه كان وارداً ومعقولاً ، إذ ربما كان يلتحق بنا العسكر فتنقلب الموازين لصالح المؤمنين .

وكذلك لو لا خيانة (نوّاب احتشام) ربما كانت المقاومة تستمر حتىٰ مجيء قوّات شعبية من القرىٰ لدحر القوات الحكومية .

وأخيراً وقع الذي كان في مشيئة الله تعالىٰ ، إذ هاجمتْنا القوّات الحكومية قبل أذان الصبح ودكّتْ مواقعنا بالمدافع والبنادق ، ودافع المؤمنون بأسلحتهم الخفيفة دفاعاً ليس له في غير تاريخ الاسلام مثيلاً ، فقد كانوا يحاربون العدو علىٰ جميع الأبواب وهم يهتفون (الله اكبر) (يارسول الله) (ياعلي) (ياحسين) (ياثامن الأئمة) (ياصاحب الزمان) ، حتىٰ شوهد بعضُهم يهاجم الجند بيد خالية ، وهكذا لم يستطع العدو أن ينفذ إلىٰ داخل المسجد ، ثم وقعتْ الخيانة من خلال (الثغرة)! التي كانت فينا ولم نكتَشِفها بعدُ ، فقد سلَّمَ الخائن (نوّاب احتشام الرضوي) ، الباب الرئيسي وقال للأفراد الذين تحت إمرته : انّ الشيخ وأصحابه مجانين ، فها أنا ذهبتُ ، وأنتم اذهبوا لتعيشوا ، فهرب معه بعضٌ وبقي المتديّنون الذين انتقلوا إلىٰ جبهات أُخرىٰ جهلاً بأهمية الباب وموقعه في المعركة . جاءني إثنان منهم يخبرانني بهذا الحدث المؤلم بعد أن خرجتْ السيطرة من أيديهما .

ولا بأس من الإشارة هنا إلىٰ عاقبة هذا الخائن ، لقد ذهب في صباح ذلك اليوم وسلّم نفسه للشرطة ، ونظراً لسابقته والخدمة التي قدّمها للدولة ظنّ انّهم يكافؤونه بجائزة ، ولكنه فوجئ باحتجازه في السجن ، دون التعذيب الجسدي ، بل عذّبوه نفسياً مدّة سنة ونصف ، إذ أبقوه في السجن دون أن يدلوا في حكمه . وبعد هذه المدّة أُفرج عنه ، فأصبح يرتزق عند العائلة الحاكمة بقراءة نعي حسيني في المناسبات لتضليل رأي الناس ، فعاقبه الله تعالىٰ بشلل في نصف بدنه ، فكان يتألّم بهذا المرض في حياته حتىٰ مات قبل فترة قصيرة ، أرجو من الله أن يعامله كما يشاء .

لدىٰ الانسحاب .. مواقفُ و بسالة

لمّا هرب (نوّاب احتشام الرضوي) من ذلك الموقع الحسّاس وفتح الطريق لهجوم الجنود داخل المسجد حتىٰ كادوا يَصِلُون إلىٰ المنبر وكنتُ عليه، تيقّنتُ في هذه الساعة أنّ بقائي في المسجد حتىٰ طلوع الشمس أمر غير ممكن، فقرّرتُ الخروج من المدينة للانضمام إلىٰ القوّات الشعبية القادمة من القرىٰ. فأخبرتُ قادة الجبهات الثلاث الباقية في المسجد بهذا القرار، وان يدبّروا أمر الإنسحاب قبل وقوعهم في الأسر بأيدي الجنود الذين سيقتحمون المسجد عبر باب الخيانة!

قلت لهم إنْ تحبّوا الخروج معي فإنّي أخرج من الباب الجنوبي للصحن الشريف. ثم أمرتُ المجاهدين بالهجوم ليصدّوا الجنود من دخولهم إلىٰ المسجد وتمّ صدّهم ببسالة حتىٰ تراجع الجنود من ذلك الباب، فلاحقناهم وكان هدفُنا هو فكّ الحصار لأجل هروبنا، بينما كان هدفهم من التراجع هو استدراجنا إلىٰ معركةٍ خارج المسجد ثمّ إلقاء القبض علينا،

وعندما وصلنا جميعاً إلىٰ ساحة المدينة عرفوا خطّتنا وعرفنا خطّتهم . وكنّا (٢٥) مقاتلاً إذ هربنا باتجاه جنوب المدينة ، والجنود من خلفنا يُطْلِقون النار ، وكان أكثر النيران جوّاً ، مما يعني انّهم كانوا يريدون أن نسلّمهم أنفسنا .

كنتُ أعرف هدفهم هذا ، لذلك أخذتُ أقول للمقاتلين واصلوا الهروب ولا تَقِفُوا ، انّ هذه الرصاصات ليست لقتلكم وإنّما للقبض عليكم . وانْ قُتِلْنا فلا سعادة أكبر من الشهادة ، وإن خَرَجْنا من المدينة أحياءً التحقنا بقوات شعبية قادمةٍ من القرىٰ ، فنعود للقصاص من المجرمين .

لقد كان أصحابي الذين يمكن القول عنهم انّهم من أفضل المجاهدين في ذلك العصر ـ ذو عقيدة راسخة وثبات واستقامة ، وعلىٰ درجة عالية من الطاعة ، فقد أحاطوني ونحن في حال الهروب باتجاه جنوب المدينة . وكان بيننا سبعة يحملون بنادق ، يرمون الجنود مِن خلفنا كي يوقفوا مطاردتهم لنا ، ورغم انّ الإطلاقات كان أكثرها في الجوّ إلّا انّ الجنود رموا بعضنا فسقطوا بين قتيل وجريح ، وبالطبع فانّ أصحابنا لم يخطؤا كثيراً في رميهم علىٰ القتلة ، كنتُ في تلك الساعة لا أخشىٰ من الموت أبداً ، وكانت أُمنيّتي الوحيدة أن لا أقع أسيراً بيد العدو ، خوفاً من أن يستولي عليّ الضعف

تحت التعذيب فأعترف بأسماء زملائي . أذكُر كيف كانت الرصاصات تمرّ حولي من جهة البطن والوجه والرقبة ، وأنا أهتف مرّة ، وأُخرىٰ أقول بصوتٍ خافت (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله اكبر) ثمّ نواصل مسيرة الهروب مع الأصدقاء ، وبينما انفصلنا عن الجنود من الخلف مسافة جيدة وإذا وجدنا أنفسنا بين أيدي ستّة جنود مع ضابطٍ صرخ في وجهنا : إلىٰ أين تفرّون ؟ إرجعوا واذهبوا إلىٰ السجن !

وكان بين أفراد حمايتي شابٌ كبير الجسم بيده عمود فأخفاني وراءه ، وقال للضابط : انّنا لسنا محاربين . نحن زوّار ، أُترُكنا فإنّ عيالَنا ينتظروننا ، أُقْسِم عليك بأبي الفضل العباس إلاّ فتحتَ طريقنا .

قال الضابط وكان ناصبياً من منطقة (بلوجستان) : إنّ أبا الفضل كان مثلك سارقاً قد قطعوا يده في كربلاء !

فما تفوّه الفاسق بهذه الكلمة إلاّ وحَمَلَ عليه الشاب كالصاعقة فضربه بذلكِ العمود علىٰ أُذنه فسقط حالاً ، ثم داس علىٰ رقبته بقدمِه حتىٰ مات ، وأخذ سلاحه فوراً فرمىٰ جنودَه الذين هربوا فور مشاهدتهم لهذا الموقف البطولي ، وقد سقط إثنان منهم برصاصة الشاب ، ولولا أنّي أمسكتُه وقلتُ له : انّ

الإسلام لم يجوّز قتل المُدْبِرين لكانَ يقتُل الأربعة الآخرين ، هنا فُتِحَ أمامنا الطريق ، ولكن من الخلف لا زال وابل الرصاص يُرمىٰ باتجاهنا ، فلو كنّا مائة قدم إلىٰ الخلف لكنّا في عداد القتلىٰ . وبالفعل من بين (٢٤) مقاتل من زملائي سقط ستّة شهداء وخمسةُ جرحىٰ ، وهنا علمتُ أنّ خروجنا من المدينة بشكل مجموعي لم يكن ميسوراً ، فقلتُ لزملائي تفرّقوا .. فلينقذ مَن يستطيع انقاذ نفسه ، وأنا هربتُ باتجاه الزقاق ، ورافقني أربعة من زملائي الأوفياء جدّاً ، أحدهم ذلك الذي قَتَلَ الضابط والجنديّيْن ، وثلاثة كانوا من شباب (نوغن) المسلّحين بالبنادق .

طَوعةُ ثانية

دخلنا في الزقاق التي فَتحتْ أذرعها لاحتضان أبنائها المجاهدين، فوجدنا بابَ دارٍ مفتوحاً على مصراعيْه ، وإذا بامرأة لدىٰ الباب تسألنا : أين أنتم ذاهبون ؟

فقال أحدنا : لا ترفعي صوتكِ فإنّنا هاربون من المجزرة في المسجد .

فسألتْنا : أين الشيخ بهلول ؟ هل هو سالم ؟

فقال أحد المرافقين : هذا هو الشيخ أمامكِ وكلّنا مطاردون الآن .

قالت : تفضّلوا إلىٰ الدار .

فدخلنا وأقفلتْ الباب ، وقالت : اطمئنّوا انّكم هنا آمنون .

ثمّ عرّفتْ نفسها أنّها من مدينة (قوچان) تسكن في (مشهد المقدسة) تسترزق من دارها بتأجير غرف الدّار لزوّار مرقد الإمام الرضا عليه السلام .

ثم اضافت انها : منذ اندلاع الثورة خرج الزوّار ولا أحد غيرها في الدار ، وأضافتْ : أنا خادمة لكم إلىٰ حيث أنتم هنا ،

حتىٰ نرىٰ عاقبة هذه الدماء المسفوكة ظلماً ماذا ستكون ؟!

نعم انّها كانت مثل (طوعة) تلك المرأة المؤمنة التي آوتْ (مسلم بن عقيل) سفير الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ الكوفة ، إذ بعد تخلّي الجبناء عنه واعتقال الشجعان من أصحابه صار يمشي في الزقاق بحثاً عن ملجأ ومأوىٰ ، فكانت (طوعة) هي التي فازت في الامتحان الصعب الذي امتحن الله به أهل الكوفة .

لقد ذكّرتْني المرأة (القوچانية) بـ(طوعة) الأولىٰ ، إنّها كانت (طوعة) الثانية (جزاها الله عنّا خير الجزاء) .

بقينا في دارها حتىٰ صلاة الصبح إذ جاءتْ لنا بثيابٍ طاهرة ونظيفة فاستبدلناها بثيابنا الملطّخة بالدم وصلّينا ، ثم سألتْنا ماذا تأكلون ؟

قلت : أنا لا أُريد طعاماً فاني أحوج شيء إلىٰ النوم ، هذه ثلاثُ ليالٍ لم تذُق عيني طعم النوم .

فجاءت ببعض الطعام والشاي ثمّ هيّئتْ لنا جميعاً فرشاً وملاحف للنوم ، وقالت أنا أخرج وأعود إليكم وقت الظهر ، والباب اقفله لئلّا يزاحمكم أحد .

قلتُ لها : اذن استطلعي لي أخبار المدينة وأخبريني بها عند رجوعك .

وفي الساعة العاشرة قبل الظهر عادتْ المرأة فأيقظتْني

وقالتْ : معذرةً على الإزعاج ، لقد طِفتُ المدينة .. كل شيء فيها عاد طبيعياً ، أمّا القتلىٰ والجرحىٰ فقد أخذوهم إلىٰ المعسكرات ، وغسلوا الدماء من الشوارع وجدران المسجد والصحن الشريف ، وأجبروا أصحاب الدكاكين علىٰ فتح السوق وبِدأ العمل .

وأضافت : لكي أطّلع علىٰ مصير القتلىٰ والجرحىٰ أرسلتُ جندياً أثِقُ به تماماً ليدخل المعسكر ويجلب لي نبأ مايصنعون بهم ، وقد عاد قبل نصف ساعة وأخبرني أنّ الجرحىٰ السطحيّين نقلوهم إلىٰ المستشفىٰ والجرحىٰ الآخرين دفنوهم أحياءاً مع القتلىٰ دفناً جماعياً ، وانّ المدينة انتشر فيها رجال الحكومة بحثاً عن الشيخ بهلول وسوف يقومون بتفتيش البيوت كلّها .

شكرتُها وقلتُ : أنا الآن أخرج .

قالت : لا ياشيخ ، لا يحسُن بك الاستعجال ، انّ مدينة (مشهد) كبيرة ، فعلىٰ فرض أنّهم يفتشون البيوت لكنّهم لايصلون إلىٰ هذا البيت الآن ، وحتىٰ إذا جاؤا فاني أضمن لك طريق الهروب عبر السطوح وبيوت الجيران والزقاق الضيّقة التي أعرفها جيداً ، وسوف آخذك إلىٰ أي مكان شئتَ ، وإن أردتَ مدينتك «گناباد» فإني أُوصلك إليها بسلام .

وافقتُ علىٰ كلامها ، فقامتْ وأحضرتْ لنا طعاماً . بعد ذلك قلتُ لأصدقائي اخبئوا أسلحتكم هنا ، واخرجوا بين الناس كأحد منهم ، ثم اذهبوا إلىٰ معيشتكم الطبيعية ، واذا اطمأننتم وعادت الأمور إعتياديةً سالكة تعالوا وخذوا الأسلحة ، وأمّا أنا فسوف أُهاجر من ايران ، استودعكم الله وأدعوه أن يجزيكم خيراً على جهادكم .

وهكذا توادعنا بحرارة وذهبوا في أمان الله الكريم . وقلتُ للمرأة بعد الشكر والدعاء أن ترشدني إلىٰ الزقاق الذي يؤدي بي إلىٰ القرىٰ.

قامتْ بهذه الخدمة بمهارة عجيبة حتىٰ أرتني أشجار قرية «سيس آباد» وقالت : تمشي إليها ، وفيها تجد الحماية الكافية لأنّ أهلها كلّهم من مؤيديك ، وليس فيها جاسوس ولا شرطي.

بين الأنصار واتخاذ القرار

انطلقتُ نحو قرية «سيس آباد» حتىٰ وصلتُ إليها عصراً ، وكان الناس مجتمعين في المسجد يقرؤون عن مصائب الحسين عليه السلام ويذكرون شهداء المسجد والحرم الرضوي الشريف ويبكون علىٰ قتلاهم المظلومين في الحادث الأليم ، ولما فوجئوا بحضوري بينهم إنقلب المجلس إلىٰ بكاء ونحيب وصار كيوم عاشوراء .

بعد انتهاء المجلس سألوني : ماذا تقرّر أيها الشيخ ، هل تريد الكرّ لمواجهة الحكومة في (مشهد) أو تريد الخروج من ايران ؟

فإنْ كنتَ تريد الكرّ فإنّنا قد جهّزنا لك ثلاثمائة مقاتل مسلّح، وسوف نجمع أنصاراً آخرين من القرىٰ المحيطة فنواصل الجهاد بهم . وإنْ كنت تفكّر في الخروج من ايران أرشدناك الطريق بسلامٍ وأمان .

لا أدري ، ربما لو كنتُ أعود بهؤلاء الفدائيين إلىٰ ساحة المعركة لكان النجاح وشيكاً في القضاء علىٰ دولة الباطل ، لأنّ

السخط الشعبي ضدّها كان شديداً ، كانوا يلعنون رضا خان وحكومته الجائرة التي انتهكتْ حرمة المسجد والحرم الرضوي الشريف وأراقتْ فيها دماء المتحصّنين المؤمنين المعترضين علىٰ القوانين المعادية للإسلام .

والذي منعني من الكرّ ومواصلة الكفاح المسلّح هو علمي بأنّ (أمان الله خان) ملك افغانستان الذي كان صديقاً حميماً لرضا خان قد سقط بانقلابٍ دبّره عليه (حبيب الله) وهو رجل متديّن ويحبّ علماء الدين ، ففكّرتُ أن آتيه وأُقنِعَه بتجهيزي جيشاً وأسلحة ثقيلة لضمان القضاء علىٰ رضا خان تماماً .

ولكنّي حينما وصلتُ إلىٰ افغانستان كان قد حدث عليه انقلاب وقُتِلَ علىٰ يد ملك آخر متفقٍ مع رضا خان البهلوي في المسلك الأوروبي الاستعماري .

وهكذا أخبرتُ أهل قرية «سيس آباد» بأنّي مهاجر إلىٰ افغانستان ولستُ فارّاً إليها ، فأسرَعوا ـ جزاهم الله خيراً ـ وأعدّوا لي وسائل السفر حتىٰ أنّهم رتّبوا لي جوازاً مزوَّراً لشابٍ يشبهني ، وخفّفوا لحيتي وبدّلوا ملابسي إلىٰ قبّعة وقميص وبنطلون ، وأرشدوني إلىٰ قرية «جكو» وقالوا : انّ فيها رئيساً اسمه «ظفر خان» يودّك كثيراً وكان يريد في مثل هذا اليوم أن يتحرّك إلىٰ (مشهد) مع مائة وخمسين مسلحاً لمناصرتك .

وهكذا ودّعتُهم متجهاً إلىٰ قرية (جكو) والتقيتُ برئيسها فرحّب كثيراً وقام باعطائي مائة وخمسين توماناً (النقد الإيراني) ودلّاني الطريق إلىٰ قرية علىٰ الحدود الأفغانية وقال انّ فيها رئيساً اسمه (نائب علي محمد بربريي) وهو زوج أختي، فسوف يساعدك للعبور إلىٰ افغانستان شكرتُه وودّعته منطلقاً الىٰ تلك القرية.

عندما يمتحن اللّهُ عبدَه !

رحتُ أمشي في الصحراء ستّة أيام حتىٰ دخلتُ تلك القرية الحدودية ، فلما أخبرتُ الرجل بالموضوع وأني مُرسَل مِن قِبَل «ظفر خان» رئيس قرية «سيس آباد» قال : ما أثقل هذا الحمل الذي رماه «ظفر خان» علىٰ ظهري !!!

قلتُ : فإن تأذن لي أذهبُ بنفسي حيث يشاء الله .

قال : لا .. ما دمتَ في ضيافتي فاني لا أتركك إلّا أن أوصلك إلىٰ افغانَستان ، ولكن أطلبُ منك أن تنتظر مدّة اسبوع لأُرافقك بنفسي لأني لا أثق في أصحابي تمام الثقة ، والسبب في هذا الانتظار هو انّ زواجاً ينعقد بعد أيام لابدّ لرئيس القرية من حضوره ، وإلّا فانّهم يتناقلون خبر السفر المفاجيء فأخشىٰ أن ينكشف أمرنا ، ابقِ عندي في مخبأ أصنعه لك في اصطبل البيت لمدّة اسبوع واحد !

قبلتُ الفكرة ، وكنتُ في الاصطبل مختبئاً أقرأ في الكتب التي أحضَرها لي الرجل ، وكانت زوجته تُحضِر لي طعاماً .

وبعد اسبوع جاءني وقال : لقد انتهىٰ حفل الزواج

وأحضرتُ الجواد لنخرج معاً إلىٰ «كابل» ، ولكن مقابل خدمتي لك وإنقاذي لحياتك أطلُبُ منك إعفائي عن زكاةٍ مقدارها عشرة آلاف تومان ، لأنّي لم أدفع الزكاة مدّة سنوات ، وأنا مديون للفقراء بهذه الأموال ! فهل تُبرأ ذمّتي ؟

فارْتَعَشَ بدني مِن هذا الكلام ، رفضتُ ذلك فوراً وقلتُ في نفسي : أن أقع بأيدي العدو وأُقتَل أهونُ عليَّ مِن إعفائه عن حقوق الفقراء ، فانّ عدم إعطاء الزكاة للفقراء أو التأخير في دفعها قد يسبّب الموت أو السقم للعديد منهم ، فكيف أنقذ نفسي وأُسبّب الموت أو السقم والأذىٰ للفقراء ؟ ومَن أنا حتىٰ أُعفي الرجل عن حقوق الآخرين الشرعية ؟!

لذلك قلت له بصراحة : أبداً لا أتحمّل هذه المسؤولية ، فانْ تساعدني للوصول إلىٰ افغانستان من دون شرط فافعل ، وإلّا فسوف أذهبُ بنفسي ، وليس عليك إلّا ان تشير الىٰ الطريق لأتجه فيه .

قال : الآن ساعة متأخرة من الليل وأنا نعسان ، فليذهب كلّ منّا لينام وغداً نتفاكر في الموضوع . قال هذا وخرج من عندي.

وهنا طرأ ببالي أنّ الرجل ضعيف التديّن وليس التزامه الديني كالذي أرسلني إليه ، فلعلّه يخون بي ويسلّمني إلىٰ الشرطة ، فقرّرت الخروج إلىٰ الصحراء في نفس الساعة

والباقي على الله الكافل بعباده المجاهدين .

والجدير ذكره أني وَضعتُ في ذلك المكان (أعني الاصطبل) المائة والخمسين توماناً التي أعطاني (ظفر خان) رئيس القرية السابقة مقابل استضافته لي مدّة اسبوع وربما عشرة أيام كاملة .

إقتحام المتوكِّلين

اقتحمتُ بطون الصحاري ماشياً علىٰ الأقدام في ذلك الظلام وأنا لا أعرف الطريق إلىٰ افغانستان، فقد توكلّتُ علىٰ الله بكل وجودي وأنا أبكي علىٰ مصيبة (مسلم بن عقيل)، إذ كنتُ في مأزق حقيقي في تلك اللحظات. صلّيتُ الفجر في الصحراء ودخل الصباح، ثم واصلتُ الطريق حتىٰ طلعتِ الشمس، بالطبع لم أستطع السؤال عن طريق افغانستان ممن أراه في دربي، إذ ربما يسألني ماذا تريد من الذهاب إلىٰ افغانستان، مَن أنت ومِن أين؟ فيتطوّر الأمر إلىٰ إخبار الشرطة التي كانت تبحث عني في تلك المناطق الحدودية.

في أثناء المشي تذكّرتُ أنّ ابن خالتي قبل خمسة أعوام كتب لي رسالة من مدينة (تُربَت جام) الواقعة علىٰ الحدود مع افغانستان.

فعزمتُ الرحيل إليه وليس في السؤال عن هذه المدينة محذور أمني، لأنّها مدينة ايرانية والسفر بين المدن داخل البلاد لا يجلب شكّاً. فسألتُ أوّل مَن لقيتُه عن الطريق إلىٰ هذه المدينة.

سألني : مِن أي مدينة أنت وماذا عندك في «تربت جام» ؟

قلتُ : أنا عامل من قرية «بيوه ژَن» ـ وهي القرية التي كان جواز سفري المزوَّر منها ـ وإنّي ذاهب إلىٰ «تربت جام» لأنّ الوقتَ هناك وقتُ حصاد القمح وأنا أبحث عن عمل !

قال : استقم علىٰ هذا الطريق فإنّه يـؤدي بك إلىٰ «تـربت جام» .

قلتُ : هل الطريق آمن ؟

قال : نعم .

قلت : هل في الطريق مخفر شرطة لأنـام عـندهم ، لأنّـي أخاف من قطّاع الطريق !

قال : نعم مـن هـنا إلىٰ المـدينة أربـعة مـخافر للشـرطة ، فأعطاني أسماء المخافر فحفظتُها في ذاكرتي كي أنحرف عنها إلىٰ الصحراء بمسافة قبل وصولي إليها .

فقد قيل للذئب : هل تسـتطيع الحـيلة حـين مـواجـهتك للكلب فتُنقِذ نفسك منه ؟

قال : أجل انّني أتقن حِـيَلاً كـثيرة ، ولكـن الأفـضل أنْ لا أُواجه الكلب !

فانطلقتُ نحو مدينة «تربت جام» وعند الظهر حـيث أمرّ علىٰ المزارعين في الطريق كانوا يدعونني إلىٰ طعامهم ، فألبّي

دعوتهم وأُشبع بطني لئلّا أجوع إلىٰ اليوم التالي حيث أصل إلىٰ مزارعين آخرين !

والمزارعون الذين يسألونني مَن أنت ؟ كنتُ أقول لهم : أنا من أهالي (مشهد) وقد جاء الشيخ بهلول وعمل فيها ثورة من أجل الفقراء فانتشرتْ الشرطة في أنحاء المدينة لاعتقال الناس ، وأنا خرجتُ لأتنزّه في القرىٰ أياماً حتىٰ يعود الهدوء إلىٰ (مشهد) .

وفي بعض الطريق أوقفني شرطي كان راكباً علىٰ جواده فأمطرني بأسئلة : ما اسمك واسم أبيك وأُمّك ، وما عملك ، ومِن أي مكان أنت ؟

فأجبتُه وفق المعلومات التي كنتُ حفظتُها من الهوية المزوّرة ! قال : لماذا لم تبقِ في قريتك ، إنّك بعيد عنها فراسخ، مضافاً إني أراك شارد البال ، أظنّك سارقاً أو مهرِّباً !

قلتُ : علىٰ الله غيرُ خافٍ فلماذا أخفي عليك ، أنا إنسانٌ معتاد ومُدْمِن علىٰ التریاق ـ نوع من المخدّرات الخفيفة ـ ما تراه علىٰ وجهي من تشرّد بال ناتج من فقري وعدم حصولي علىٰ التریاق منذ ثلاثة أيام .. ولقد دفعني الفقر إلىٰ الهجرة بحثاً عن عمل في (تربت جام) !!

فترأّف الشرطي بحالي وأعطاني توماناً واحداً وقال : في

طريقك إلىٰ (تربت جم) ثمّةُ مقهىٰ يمكنك شراء الشاي منه والترياق أيضاً .

تَرَكَني ومشىٰ ، فشكرتُه ومشيتُ ... وأنا اقول الحمد لله حسيب المتوكلين .

أُمنيةٌ وصورةٌ علىٰ الحائط

وصلتُ إلىٰ مسافة خمسة فراسخ من مدينة (تربت جم) وكان الوقت عصراً ، فأسبغتُ وضوءاً لصلاة الظّهر والعصر من (عينٍ) كانت قريبة ، بعدها جلستُ لأستريح قليلاً ، فجاء رجلٌ طاعنٌ في السنّ وتوضّأ وصلّىٰ ، ثم سألني : مَن أنت ؟ وإلىٰ أين ذاهب ؟

أجبتُه بالجواب الذي كنتُ أقوله لكلّ مَن يسألني ذات السؤال !

فأخذ يتأمّل في وجهي حتىٰ قال : انّك تشبه الشيخ بهلول !

قلت : وأين رأيتَ الشيخ بهلول ؟

قال : يوم الثورة رأيتُه علىٰ منبر مسجد (گوهر شاد) في مدينة (مشهد) ، ولكني لم أتوفّق لأقبّل يده ، فبقيتْ هذهِ الأُمنيّة في قلبي ، أسأل الله تعالىٰ أن يكون حيّاً ولم يُقتَل في حادثة المسجد .

قلت : أنا بهلول !

فقام مسروراً وقَبَّلَ يدي وبكىٰ وهو يقول : أرجوك أن تأتي هذه الليلة ضيفاً عندي .

قلت : وجودي عندك قد يُشكِّل عليك خطراً ، فإنْ تودّني أعطني عنوانَ صديقٍ لك في مدينة (تربت جام) ليؤويني في داره ويدلّني علىٰ طريق افغانستان .

قال : أنا مزارعٌ فقير ولا أعرف أحداً هناك ، ولكن علىٰ بُعد مسافةِ فرسخيْنِ توجد قرية اسمها «عبدالله آباد» وفيها إمام جماعة اسمه (السيد الإمام) ، وهو معارضٌ للحكومة ومحبٌّ لك ، قبل أشهر عَرضتْ عليه الحكومة مسؤولية مكتب الزواج والطلاق ـ وفق القانون الحكومي الجديد ـ فرفض أن يكون موظفاً لدىٰ الحكومة . إذهب عنده فهو أدرىٰ بمَن يستطيع مساعدتك في (تربت جام) .

شكرتُه كثيراً وودّعته حتىٰ دخلتُ القرية والتقيت بالسيد الإمام ، عرّفتُه نفسي فأحسن ضيافتي ، وأعطاني عنوان شخص اسمه الحاج يوسف ، صاحب دكان في (تربت جام) . فخرجتُ من عنده حتىٰ دخلتُ المدينة وذهبتُ إليه ، ولكنّه خاف أن يؤويني واعتذر !

تركتُه ودخلتُ في بعض الزقاق وإذا أرىٰ إعلاناً علىٰ الحائط فيه صورتي ، كان مكتوب تحتها : «إنّ مَن يسلّمنا صاحبَ هذه الصورة ، له جائزة قدرها خمسة آلاف تومان» .

قرّرتُ الخروج من المدينة والالتجاء إلىٰ الصحراء ، ولكن

في الأثناء وقع نظري على رئيس الشرطة مع مرافقيه الذين خرجوا أمامي فجأة ، حتى ظننتُ اني صرتُ في الأسر ، وكان أبسط حركة انحرافية أو تراجعية مني يكفي لأجلب انتباههم نحوي ، فواصلتُ سيري بشكل طبيعي وأنا أفكّر عند نفسي إذا ما أوقفني وسأل مَن أنت ؟ أقول له : أنا الشيخ بهلول !

والغريب انّه ومرافقيه لم يلتفتوا إليّ ، لشدّة ما كانوا في التحدّث مع بعضهم . والحقّ انّ الله كان قد أعماهم .

إمرأةٌ .. و نِعم الأب

خرجتُ من المدينة حتىٰ جئتُ إلىٰ الصحراء وصرتُ أمام ثلاثة طُرُق ، وكان أحدها طريقٌ ضيّق جداً ، فوقفتُ علىٰ المَفْرَق وأمددتُ كفي كالفقراء الذين يَسْتَجْدُون المارّين ، متظاهراً بأنّي فقير أستجدي الناس ، وذلك لكيلا يسألني أحد مَن أنت ؟! فقد كان وضعي يتطلّب هذا التمويه . واللطيف أنّ بعض المارّين قد أعطاني شيئاً من الخبز والبطّيخ والفواكه ! وبعد قليلْ جاءت امرأة واضعةً علىٰ رأسها قِدْراً كبيراً ، وحاملةً طفلها الصغير بيدها .. وقفتْ تنظر يميناً وشمالاً .

بعد دقائق سألتُها أُختي هل تنتظرين أحداً ؟

قالت : انتظر مَن يذهب في هذا الطريق الضيّق لأذهبَ معه، لأنّه يقال انّ فيه الجنّ ، وأنا أخاف العبور فيه وحيدة .. لنا مزرعة في نهاية هذا الطريق ، أبي ينتظرني وأُمي وزوجي ، أنا أجلب لهم طعاماً من المدينة .

قلتُ لها : إنْ لم تظنّي بي سوءً فإنّي مستعدّ لمرافقتك إلىٰ المزرعة.

قالت : أجركَ علىٰ الله .

فأخذتُ القِدْر منها ورافقتُها حتىٰ وصلنا الىٰ المزرعة .

فقالت : إنتظرْ هنا ليأتي إليك أبي ويكافؤك علىٰ صنيعك الجميل .

ذكّرني موقفها بما حصل بين النبي موسىٰ ﷺ مع بنات النبي شعيب (مع فارق أنّها متزوّجة) !!

وقفتُ لدىٰ الباب متّكئاً علىٰ الجدار حتىٰ جاء رجل كبير السنّ وقدّم لي خبزاً مع اللّحم .

قلتُ : لستُ جائعاً ، إنّ حاجتي إلىٰ الإيواء أكبر من الحاجة إلىٰ الغذاء ، فإنْ تستطع إمنحني مكاناً في المزرعة لأنام قليلاً ، فاني اخرج من عندك غداً في الصباح .

قال : ليس لدينا لحافاً ، فإنْ يمكنك النوم بلا لحاف تفضّل علىٰ الرحب والسعة .

نمتُ في تلك الليلة هناك ، وعند وقت السَحَر رأيتُ الرجل العجوز نهض وأخذ يصلّي صلاة الليل بخشوع لله وبكاء وتَضرُّع .

فاطْمَئَنَّ له قلبي ، تقدمتُ إليه وحدّثته بقصّتي كاملةً ، ثم طلبتُ منه أن يرشدني إلىٰ طريق افغانستان ، قال : اذهب من هذا الطريق إلىٰ مسافة أربعة فراسخ ـ الفرسخ الواحِد خمسْ

ونصف كيلومتراً ـ فتصل إلىٰ قرية اسمها «أحمد آباد» ، والناس هناك من الشيعة ، وسوف يُحسنِون ضيافتك ، وليس فيها جاسوس ولا شرطة أو رجال الحكومة ، خُذ هناك قسطاً كبيراً من الراحة لتستطيع مواصلة الطريق ، ثمّ تقطع مسافة تسعة فراسخ إلىٰ قرية «كاريز» . وفيها إدارات حكومية ، فلئلا تتورّط حاول أن لا تبقىٰ ، ثم واصل طريقك إلىٰ قرية «طيّبات» فليست فيها إدارات حكومية ، والمسافة بينهما فرسخان ، يمكنك أن تبقىٰ هناك ولكن أكثر الناس فيها من اخوتنا أهل السنّة ، فلا تورّط نفسك في نقاشات مذهبية . ومنها إلىٰ حدود افغانستان نصف فرسخ ، وأنت حينما تتعرّف علىٰ الناس في «طيّبات» يمكنهم إيصالك إلىٰ خلف الحدود .

وهكذا نفذّتُ ما قاله الرجل العابد حتىٰ دخلتُ قرية «أحمد آباد» ظهراً فأكلتُ منها وخرجتُ عصراً فوصلتُ أوّل طلوع الشمس إلىٰ «طيّبات»[١] .

(١) مما يعني انّه كان يقطع الصحراء مشياً في ظلام الليل .

علىٰ مشارف الحدود

«طيّبات» منطقة غنيّة بأشجار العنب ، وكنتُ جائعاً لما وصلتُها ، فسألتُ مِن رجُلٍ كان جالساً في مزرعته : هل تبيعون عنباً ؟

تغنّىٰ بفخْرٍ واعتزاز قائلاً : عندي عنب لا يعرف قيمته إلّا آكلُه !

فأعطيتُه خمسَ ريالات وطلبتُ منه ما يقابلها من عنب . فأخذ مقداراً يتجاوز عن الكيلو الواحد قليلاً ، غَسَلَه في قناة ماء يجري بالقرب منه ، ثمّ قدّمه لي وهو يواصل في تغنّيه : لَعمري هذا العنب ، ياعِنَبَ الله لا أكَلَكَ الهندوس والشيعة !

فعلمتُ انّه من الأُخوة المتأثّرين بالأكاذيب علىٰ المسلمين الشيعة .. وحيث كنتُ أبحثُ عن أماكنهم سألتُه متظاهراً بالاستغراب:

وهل في أرض الإسلام هنا شيعة ؟

قال : جماعة غَضِبَ عليها ربُّ العالمين يجتمعون هناك في مكان يسمّونه «حسينية» وإلىٰ منتصف الليل ينادون (حسن ، حسين) ولا يتركون الناس ينامون براحة ! اللّهم أزل وجودهم!

قلتُ : إلهي آمّين !

اللّهم أزِل وجود الظالمين الذين لا يصلّون ، وينسبون أنفسهم إلىٰ عليٍ وفاطمة والحسن والحسين ، ثم يحسبون أنفسهم مؤمنين متّقين !

فأسرّه هذا الكلام ، وأنا أقول في قلبي : الحمد لله لقد عرفتُ دربي وأكلتُ عنبي .

نمتُ هناك علىٰ مقربة من قناة الماء الجاري حتىٰ الليل ، ثم قمتُ ودخلت القرية بحثاً عن الحسينية التي قال عنها الرجل ، ولم أسأل أحداً عنها لأنّي اهتديتُ إليها باتباعي لصوت المجلس الحسيني . فجلستُ عند الباب واستمعتُ للقراءة حول ما جرىٰ من مصائب علىٰ الإمام الحسين الشهيد سبط النبي (صلوات الله عليه وعلىٰ آله أجمعين) وأخذتُ أبكي كثيراً ، حتىٰ انتهىٰ المجلس وأخذ الحاضرون يتوجّهون إلىٰ بيوتهم وأنا أنظر إلىٰ مَن يميل قلبي إليه لأفاتحه بأمري . فوقع نظري علىٰ رجل كبيرٍ في العمر ، تابعتُ خطاه حتىٰ وصل إلىٰ بيته ، فلما أراد أن يدخل سلّمتُ عليه وصارحتُه عن حالي ، فبالغ في احترامي والترحيب بي وقال : هذه الليلة كُنْ ضيفي ، وغداً تحرّك إلىٰ مدينة (اسلام قلعة) وليست المسافة أكثر من نصف فرسخ (أقل من ثلاث كيلومترات) . إنّ أهل تلك القرية

من اخوتنا السنّة وهم يعشقون القرآن كثيراً وأنت تعرف تلاوته وتحفظ آياته ، بمجرّد أنْ تتلو عليهم سورة بلهجة حجازية يلتفّون حولك ويسألونك من أين ؟ والتقية لحفظ الحياة تحكُم عليك أن تقول لهم انّي من افغانستان من مدينة (هرات) ودارسٌ في (بغداد) ، حافظٌ للقرآنِ ولترجمتِه وتفسيرِه ، والآن أُريد العودة إلىٰ (هرات) وليس معي جوازي فهل تساعدوني في العبور إلىٰ خلف الحدود ؟!

نعم ... لقد هيّء اللهُ لي بهذه الإرشادات مقدَّمات الخروج من ايران فصرتُ علىٰ مشارف الحدود فلمّا وصلتُ إلىٰ القرية وجدتُ مجلس ترحيم هناك فدخلته وكان قارئٌ يتلو القرآن بأخطاء مكرَّرة فصحّحتُ له عدّة مرّات إلىٰ أن سكت وقال لي:

تقدّم واُتْلُه أنتَ .

فتلوتُ سورةً فأُعجِبوا بتلاوتي ، حتىٰ جاء رئيس القرية وقَبَّلَ يدي وقال : مِن أين قادم ؟ وإلىٰ أين ذاهب ؟

أجبتُه وكلّمتُه بما أرشدني به ذلك الرجل الشيعي الواعي .

فقال : ان الحدود هنا صعْبُ العبور ، لأنّ (٢٥) جندياً يرابطون عليه بسبب زيادة التهريب وكثرة المهرِّبين ، فأخشىٰ بدل الثواب نرمي أنفسنا في الهلاك . لذلك فانّي أُفضِّل أن

تذهبَ إلىٰ قرية «هشتادان» علىٰ مسافة فرسخيْن اذ يمكنك العبور منها إلىٰ افغانستان بسهولة ، وليس فيها إلّا شرطياً واحداً وهو مُدْمِنٌ علىٰ المخدّرات ، وأكثر الأحيان نائم بين الطلوعين ولا يصلّي . وإذا صادف ان قَبَضَ علىٰ أحدٍ يمكن اعطاؤه خَمْسة (توامين) ليشتري به ما يحتاجه في إدمانه ، فانّه بذلك يفتح أمامك الطريق ، فنحن في أي وقت نريد اجتياز الحدود نقوم بهذا الأمر .

وهنا جاء صاحب مجلس الترحيم الذي تلوتُ القرآن علىٰ روح أُمّه وأخذني إلىٰ خيمته فأطعمني من الخبز والحلوىٰ ومنحني مائة تومان . ثمّ انطلقتُ حسب إرشاد رئيس القرية إلىٰ قرية «هشتادان» فوصلتُها ليلاً ونمتُ علىٰ تراب الصحراء خارج القرية ، ثمّ دخلتُ الأراضي الأفغانية بين الطلوعيْن بسلام (ولكن ايٌّ سلام) !

والآن ، هنا أفغانستان

مع طلوع الشمس دخلتُ أوّل قرية في الأراضي الأفغانية وكان اسمها «چارك» فرأيتُ فلّاحاً يعمل في مزرعته .

قلت له : السلام عليكم .

أجابني بصوت كصوت الحمار : دِمارْ ، موْت ، سَمٌّ الحيّة أيّها الكافر الرافضي الايراني ، جئتَ إلىٰ وطننا لأيّة جريمة تريد أن ترتكبها ؟! هل تريد أسلّمك للعسكر حتىٰ يُخْرقوا بطنَك بالمسمار ... !

ياربِّ .. هذا أوّل الطريق ! وحيث كنتُ جائعاً بشدّة ولم أذُقْ طعاماً مدّة (٢٤) ساعة وقد خلّفتُها ورائي مع مشيٍ علىٰ الأقدام مسافة ثلاثة فراسخ سلّمتُ أمري الىٰ الله . وحسب معلوماتي إنّ الأفغان الذين علىٰ الحدود كُرَماء ، والأكل عندهم أفضل طريق للتعرّف عليهم ، يقال أن الذي يأكل من طعامهم يغدو ضيفهم فلا يؤذونه مهما كان عدُوّاً ، حتىٰ أنّ القاتل إذا جاء وجلس علىٰ مائدة اهل المقتول، سوف يصفح عنه ولاينتقم منه. لذلك قلتُ في ردٍّ لَبِق :

ياأخي قبل أن تضرب المسمار في بطني ، أطعِمْني أوّلاً ، فالجوع أخذ يهلكني !

ما أنْ تفوّهتُ له بهذهِ الكلمات حتىٰ وجدتُه قد تغيّر ، فضربني بكفّهِ علىٰ ظهري ترحيباً وقال : تفضّل إلىٰ الخيمة !

وكانت ضربته ثقيلة بدرجة بقي ألمها إلىٰ اسبوع واحد .. ولكنّها كانت ضربة الكرم والإشكال في بُنيتي الضعيفة !

لدىٰ باب الخيمة نادىٰ زوجته : ياأُمّ حسن .. أطْعِمي هذا الشيعي الكافر الرافضي قرصاً من الخبز !

فجاءت زوجتُه وقدّمتْ لي خبزاً مع اللّبن ، أكلتُ ذلك بشهيّة ، وفي الأثناء كان إبنهما (حسن) البالغ من العمر أربع سنوات تقريباً يدحرج بيده ورجْله (رِقّياً) كبيراً حتىٰ أوْصله عندي وأعطاني سكّينة فقطعتُه وأكلتُ منه أيضاً .

وبينما كان الرجل يعود إلىٰ خيمته وقع نظره علىٰ ابنه حسن ، فحمله بعطف وأخذ يقول له : روحي فداك ياولدي ما أحسنك ، تأتي للضيف بِرِقّية ، لا أرىٰ حزناً فيك ياعزيزي ..

وأنا بدوري أخرجتُ ما في جيبي من نقود ايرانية ورميتُها في حضن الولد ، ولم تكن تفيدني تلك النقود طبعاً ولكنها تفيدهم لأنّهم علىٰ الحدود مع ايران .

وما عدا الولد كانت للرجل إبنة رضيعة عمرها ثلاثة أشهر واسمها (حُمَيْرا)، قمتُ وحملتُها من علىٰ الأرض وأخذتُ أُلاطفها.

كان لإعطائي الولد تلك النقود وحملي هذه البنت أثرٌ عميق علىٰ قلب الرجل الذي كان قبل ساعة يَنظر إليّ بعين العداء. فجاء مع زوجته وجلسا عندي كأخ وأُخت وأخذا يسألان عن حالي، مِن أين أنت؟ ولماذا جئتَ إلىٰ افغانستان؟

هنا لم أجد كلاماً أفضل من الصدق. فقلتُ: أنا هارب من واقعة مسجد «گوهر شاد» في مدينة (مشهد) وأُريد اللجوء إلىٰ حكومة افغانستان. ولا أظنّكما لم تسمعا عن المجزرة التي وقعتْ في المسجد.

قالا: نعم سمعنا، الله يلعن رضا شاه البهلوي الذي قتل المسلمين دون ذنب.

قلتُ: كنتَ تقول أنّ الشيعة روافض وكفّار، والذين قُتِلوا في المسجد كانوا شيعة!

قال: مهما كانوا فإنهم في مواجهة البهلوي هم علىٰ حقّ، لأنّهم ثاروا علىٰ الفساد ومن أجل الحجاب والعفاف، ونحن أيضاً أهل الحجاب وأصحاب غيرة، لا نتفق مع المجون والفحشاء.

سألني : ما مذهبك ؟

قلتُ : حنفي !

قال : إذن أنت على مذهبنا ، وقد ظننّا أنّك من الشيعة ، عفواً على إساءتنا لك في البداية .

قلت : الله يعفو عن الجميع .

ثمّ سألني مسائل دينية على ضوء المذهب الحنفي فأجبتُه ، إذ كنتُ قارئاً في كتبهم .

بعد ذلك دعاني لأستريح ، فنمتُ ولكن سرعان ما انتبهتُ بصوت أصدقائه في الخيمة ، فلم أفتح عيني ، وكنتُ اريد أسمعهم هل يتكلّمون عني بشيء .

بينما يتكلّمون عن الأغنام والمواشي ويقطعون الصوف سأله أحدهم : مَن هذا النائم ؟

فأجابه : لا أعرفه ، لقد ورد علينا صباح هذا اليوم وهو يقول انّه هارب من واقعة مسجد «گوهر شاد» ويريد اللّجوء إلى افغانستان .

قال صاحبه : ما هو مذهبه ؟

أجابه : يقول انّه حنفي ، ولقد سألتُه عن مسائل فأجابني وفق معتقداتنا .

قال : لا يخدعك كلام هؤلاء ، انّه من الروافض الكفرة في

(مشهد) .. يسبّ الصحابة ، أنت لا تعرفهم أنا أعرفهم جيداً ، انّهم لما يحتاجون إلينا يستعملون قانوناً عندهم يسمّونه (التقيّة) . وفي اعتقادي انّ من الأفضل أن نقتله وهو نائم ثم ندفنه . فإنّ قتل الروافض يُمحي الذنوب حتىٰ إذا كانت بعدد النجوم ، وهذا سبب الدخول إلىٰ الجنّة من غير حساب !

قال صاحب الخيمة : أيّها الأُخوة فإن كان الدخول في الجنّة بقتل هذا الرافضي فانّنا قد ضمنا دخولها منذ زمان . إذ ليس فينا أحد لم يقتل شيعياً حتىٰ الآن ، أنا منذ شبابي قطعتُ رأس (١٦) شيعياً ، وأنتم كذلك ، فليس من حُسْن الضيافة أن نقتل إنساناً نائماً ولم تثبتْ شيعيتُه . أنا لا أرضىٰ منكم هذا الأمر ، إنّ قَتْلَه يساوي عندي قتْل ولدي وسوف أنتقم له .

ثمّ انّني وجدتُ فيه صفات حسنة ، لو كانت في الشيعة هذه الصفات فإنّ قَتْلَهم لا يليق بنا أبداً . لقد حمل ابنتي الرضيع وقبّلها وعَطَفَ عليها أكثر منّي ، وأكرم ولدي (حسن) بمبلغ (١٥) تومان . أنا لستُ محتاجاً إلىٰ مال ، وأنتم تعرفون عدد أغنامي انّها (١٨٠) رأساً ، وثمنها «٣٠ ـ ٤٠» ألف تومان ، فـ(١٥) توماناً ليس بشيء ، ولكن الأخلاق والسلوك الإنساني في هذا الرجل جذبني إلىٰ محبّته .

هذا في الوقت الذي هو مجاهدٌ ضدّ رضا شاه البهلويّ من

أجل الحجاب الديني للنساء ، ليس مِن شكّ أنّ رضا شاه البهلوي خبيث كافر ، وما يرتكبه في ايران لا يتفق مع الشيعة ولا السنّة . بل حتىٰ اليهود والنصارىٰ لا يحبّون الفحشاء والمنكرات والزنا ، فالذين يحاربونه باسم الدّين سواء من الشيعة أو السنّة ، وسواء كانوا مسلمين أو كفاراً يستحقّون الإحترام والثناء أيها الاخوة .

بهذا الكلام أصبحوا يرغبون في مجالستي ، فطلبوا من صاحب الخيمة أن يوقظني ليتحدّثوا معي .

فقال لهم : انّه مُرهَق جدّاً ، لقد جاء ماشياً طوال البارحة ، ونام قبل قليل . اصبروا حتىٰ وقت صلاة الظهر نوقظه للصلاة والطعام .

وهكذا لمّا حان وقت الصلاة جلستُ ، فسلّمتُ عليهم ثم صلّيتُ كما يصلّون ، ثم أكلنا لُقَيْمات من الطعام الذي أحضره ، بعد ذلك أخذت أُمهّد لتوديعهم لئلّا أُجالسهم خوفاً من أن ينكشف بعض الأُمور فأتورّط مع الذين قد لعبتْ الأكاذيب في مخيلتهم ضدّ اخوانهم الشيعة بما يسخط الله تعالىٰ ولم ينزل به من سلطان .

قالوا : هلّا جلستَ وتحدّثنا ؟

قلت : أنا في عجلة وضيقٍ من الوقت ، لابدّ لي من الحركة

إلىٰ مدينة (هرات) لأُبرِق إلىٰ أهلي في ايران سريعاً وأُخبِرَهم عن وصولي إلىٰ افغانستان بسلامة!

طلبتُ مِن صاحب الخيمة أن يرشدني إلىٰ طريق (هرات) فقال: مِن هنا إلىٰ (غوريان) ثمانية فراسخ صحراء قاحلة، ليس فيها ماء ولادوّاب. فلابدّ لك من المشي ليلاً كيلا تعطش من شدّة الحرّ. ومنها إلىٰ هرات (١٥) فرسخاً وفي الطريق مياه وقرىٰ وأحياء، ثم قام وقال اعطني ملابسك الايرانية فلو أنّ شرطة افغانستان رأوك بهذا الزّيّ يعتقلونك أو يعيدونك إلىٰ ايران، فأعطاني بدلاً عنها زيّاً افغانياً، وقال يمكنك في هرات أن تشتري ما تشاء من الملابس الافغانية وتعطي هذه الملابس إلىٰ الفقراء. وأعطاني (١٥) خياراً ليعوّض عن الماء في الطريق الصحراوي.

شكرتُه كثيراً ثمّ خرجتُ من عنده وكان الوقت عصراً، وفي صباح اليوم الثاني وصلتُ إلىٰ منطقة (غوريان) وقطعتُ منها مشياً مسافة ليلتين حتىٰ وصلتُ ظهراً إلىٰ مدينة (هرات).

ومن جملة ما وقع لي في مروري علىٰ قرية (غوريان) انّي ذهبتُ إلىٰ خبّاز وطلبتُ منه خبزاً من دون ثمن!

فأعطاني نصف قرص وهو يقول: انسانٌ بلا عقل، يريد مني خبزاً خالياً ولا يذهب إلىٰ منزل رئيس القرية كما يذهب

إليه المسافرون ليأكلوا عنده مرقة لحم !

قلت له : أنا أكتفي بالخبز فقط ولا أحتاج إلىٰ أحد .

أكلتُ الخبز ودعوتُ له خيراً ثم أخذتُ دربي ، وبعد خطوات سمعتُه يناديني ، فوقفتُ وإذا به أعطاني ثلاثة أقراص من الخبز وسبع بيضات مسلوقات وقال : ظننتُك من المسافرين الذين يستَجْدُون الناس ، وقد عرفتُ من تصرّفك أنّك إنسان محترم . فاقبل مني هذا الطعام ولا تنساني من الدعاء .

أخذتُ منه ذلك وشكرتُه مرّة أُخرىٰ ودعوتُ له بالخير .

وبدأت رحلةُ السجون

بعد قَطْعِ البراري والصحاري مشياً علىٰ الأقدام وصلتُ مدينة (هراتَ) واكثر ساكنيها من شيعة اهل البيت عليهم السلام فذهبتُ إلىٰ أقرب حسينية فيها وعرّفتُ نفسي لأحد كبار علمائنا هناك، أخذني إلىٰ بيته مرحِّباً ، ولكن سرعان ما انتشر الخبر حتىٰ وصل إلىٰ محافظ المدينة فأحضرني عنده وقال : لماذا جئتَ إلىٰ افغانستان ؟

قلت : أنا هارب من الحرب التي وقعتْ في مسجد (گوهر شاد) ولاجيء إلىٰ دولتكم .

قال : يجب أن تكون محتجزاً عندنا حتىٰ أستعلم الأمر من العاصمة !

فاحتجزوني أربعين يوماً حتىٰ جاء أمر من العاصمة (كابل) بارسالي إليها ، ولما وصلتُ إلىٰ (كابل) وضعوني في زنزانة انفرادية ، ثمّ أبلغوني أنّ حكومة افغانستان وافقتْ علىٰ طلب لجوئي وإنّها لاتسلّمني إلىٰ حكومة ايران ، ولكن لا تسمح لي العيش في افغانستان حُرّاً بين الناس ، بل يجب أن أعيش في

السجن ، وذلك كيلا تتأثر العلاقات السياسية بين حكومتَيْ افغانستان وايران ، وكيلا أحرّض الناس في افغانستان علىٰ حكومتهم ، لأنّها تسلك سياسة مماثلة لسياسة الحكومة البهلوية في ايران . والسبب الثالث حسب قولهم أنْ لا أُسبّبَ بتواجدي في أوساط الشيعة مشكلة طائفية مع السنّة .

هذا ما أخبرني به معاون رئيس الشرطة الأفغانية الذي كان شيعياً وقال انّ الذي أخبرتُك به سرٌّ ، ثم أضاف : رجاءاً لاتعمل مشكلة مع حكومة افغانستان كيلا يسلّموك إلىٰ الحكومة الايرانية ، وقد تكون لقاءاتي معك في السجن قليلة ولكني أُراقب وضعك كي لا يصيبك أي ضرر في السجن ، فأحسبني ظهراً غيرَ مرئيٍّ لك ، وما يُدريك لعلّ الله يجعل لك في هذا الابتلاء خيراً كثيراً فتصبح شخصيّة شيعية مرموقة في ايران وافغانستان والعالم الاسلامي غداً !!

لم يكن لي بُدٌّ سوىٰ القبول بهذا الأمر الواقع . فسألني هل أنت قابل بهذا القرار ؟

فقلت له : أجل انّ الراعي الذي ينقذ ماشيةً مِن مخالب الذئاب حرٌّ في التصرّف معها بعد ذلك .

قال : كم نعيّن لك راتباً يكفيك في السجن ؟

قلتُ : انّ الضيف لا يقول لصاحب البيت أحْضِرْ لي هذا

وذاك ، صاحب البيت أي شيء يقدّم لي فأنا إنسان قنوع . وحتىٰ ان لم يمنحني شيئاً فأنا قابل ، لأني أُتقِن حياكة الجواريب ، فأسترزقُ منها، مضافاً إلىٰ انّي لا أشرب الشاي ولا أُدخّن وليست لي رغبة في اللّحم والسمن والرّز ، انّ أكثر ما آكله هو الخبز واللّبن الرائب ، وهذا أُوفّره بثمن الجواريب التي أُحيكها وأبيعها .

لقد قلتُ كلامي هذا لأنّي لا أُريد أحداً يمنُّ عليّ . وهكذا أسكنوني زنزانة إنفرادية ووضعوا جنديّين لمراقبتي ، واحدٌ يراقبني كيلا أهرب أو أتّصل بأحد ، والآخر يخدمني إذا احتجتُ شيئاً .

فكانا ينامان في الزنزانة معي ، وفي النهار يجلسان خلف الباب يراقباني . وكان رئيس السجن قد أبلغهما بالسماح لي اذا اردتُ الخروج إلىٰ دورة المياه في وقت كل فريضة ، ولكنّي كيلا تقع عليّ منّتُهما كنتُ أسبغ الوضوء صباحاً فأحتفظ به حتىٰ الليل ، عملاً بسلوك المظلوم المسجون الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم ﷺ حيث ورد انّه كان يصلي الفرائض كلّها في سجن هارون الرشيد بوضوء واحد .

وكان أفضل وقت لخروجي إلىٰ دورة المياه هو ساعة الفجْر (أي وقت السَّحَر) لذلك كانا مرتاحيْن مني كثيراً ، لأنّه الوقت

الذي لايوجد أحدٌ خارج الزنزانة يحدّثني أو أُحدّثه عن الممنوعات!

حتىٰ انهما في ذات يوم قالا: يمكنك في أي وقت أن تخرج إلىٰ ساحة السجن.

قلت: لا أحتاج الخروج... ولكنّي عند نزول الأمطار أخرج لأقف تحتها وأستمع إلىٰ صوت الرعد والبرق واغتسل بماء الرحمة، لأنّي أحبّ ذلك منذ صغري.

وكنتُ مقابل سماحهما لي بالخروج أعطيهما خمسة إلىٰ عشرة توامين إنعاماً، وكانا مسرورين بذلك جدّاً حتىٰ انّهما في منتصف الليل بمجرّد أن تمطر السماء كانا يوقظاني لأخرج تحت المطر!

لقد بقيتُ في هذا السجن أربع سنوات ولا يعلم عنّي أحد. وكنتُ خلالها أُؤلف أشعاراً، وحفظتُ مائة ألفِ بيتِ شعْرٍ، كلّها اختزنتها في ذاكرتي كاملة لأنّ القلم والورق كانا من الأشياء الممنوعات!

حشرات في مهمّة إنسانية

في الليلة الأُولىٰ لمّا أدخلوني الزنزانة ، رأيتُ فيها حشوداً من الحشرات التي يسمّونها في افغانستان بـ(خَسَكْ) وفي ايران بـ(جوجو) (ساس) (سَرَخْسَك) ويكثر منها في (مشهد) و (اصفهان) و (همدان) ، وهي حمراء اللّون ، كريهة الرائحة ، عظّتها تُحرِق بشدّة وتترك حكّة علىٰ البشرة ثم تنتفخ .

تلك الليلة بسبب هذه الحشرات ما استطعتُ أنام وكذلك الليلة الثانية بنهارها .

وفي الليلة الثالثة عند ساعة السَحَر قمتُ مناجياً ربّي عزّوجلّ وقلتُ في دعائي وكانت دموعي جارية : «إلهي أنا مستعدّ لقبول أيّة صعوبة في سبيل دينك ، فإنْ كانت في أذيتي بهذه الحشرات فائدة للدين لم أكن أطلب منك النجدة ، بل أصبر لوجهك الكريم . ولكن لا يبدو أنّ في ذلك فائدةً ونفعاً للدين ، لذا فإنّي ألتمسُ منك ياربّي وأُقسم عليك بمكانة محمّد وآل محمّد عندك أن ترفع هذا الأذىٰ عنّي» .

لشدّة الإرهاق والآلام الناتجة عن ضربة تلك الحشرات

وعن سَهَرَ ثلاث ليالٍ ويومين قد غلبني النوم ولا أذكر كيف . ولمّا انتبهتُ وجدتُ لا أثر للحكّة في بدني وليس على جلدي من انتفاخ ، ثم فتحتُ عينيّ أتفحّص حولي ، فرأيتُ الجدران الأربع سوداءاً بعد أن كانت حمراءاً من تلك الحشرات ، تأمّلتُ وإذا بها حشرات سوداء قد سلّطها ربُّ السماء على تلك الحشرات الضارّة الحمراء ، تشتغل في القضاء عليها وتصفّيها من الوجود . راقبتُ الحالة مدّة أربع ساعات إلى أن انتهت الحشرات السوداء من مهمّتها «الإنسانية» ثمّ رأيتُها بدأت عملية الإنسحاب بنظم بارع ، ولمّا خرجتُ صرتُ لا أجد بعد ذلك أثراً للحشرات الضارّة في زنزانتي أبداً .

صار يبيع فحماً !

كان مدير السجن رجلاً حاقداً عليّ ويكرهني بشدّة ، إقترحَ هذا الخبيث علىٰ وزارة الداخلية الأفغانية أنّ لدينا ثمانين معتقلاً سياسياً ممنوعي اللّقاء بأقاربهم ، ولا يمكننا منعهم من اللّقاء في هذا السجن، فالأفضل بناء سجنٍ بعيدٍ عن المدينة خاصٌ بهم لا يعرف عنهم أحد .

وكان ذات مرّة يقول للشرطة في السجن : انّه في السجن الجديد سوف يعذّب الشيخ الكافر الرافضي الايراني حتىٰ الموت !

أخبرني بذلك أحد الشرطة المتعاطفين معي بسبب الأخلاق الحسنة التي رأوها منّي طوال فترة الاعتقال . ولكن لم يكن بيدي حلٌ غير التوكّل علىٰ الله والنظر إلىٰ رحمته الواسعة .

ولما انتهىٰ بناء السجن الجديد ولم يبق علىٰ نقل السجناء السياسيّين إليه سوىٰ شهرٌ واحدٌ ، وقعتْ في (كابل) ـ العاصمة الأفغانية ـ عمليةُ نهبٍ واسعة من قصر ابن خالة المَلِك ،

راحتْ فيها كمّية كبيرة من الذهب والمجوهرات . وبعد بحث واستنفار استطاعت الشرطة أن تُلقي القبض علىٰ السرّاق الذين اعترفوا أنّ قائدهم هو فلان «مدير سجننا» وقالوا أنهم منذ (١٥) سنة يقسّمون كل ما يسرقونه إلىٰ ثلاثة أقسام ، فقسمٌ له وقسمان يوزّعونهما بينهم. ولمّا فتّشوا منزله عثروا علىٰ كمّيات كبيرة من المسروقات فأُدخِلَ في السجن الجديد الذي بناه لنا .

هكذا افتتحه باعتقال نفسه فيه ، وعُيّن مكانه (في السجن الجديد) ضابطٌ شيعي قد أَحْسَنَ التعامل معي إلىٰ حدٍّ كان يدعوني إلىٰ غرفته دائماً ويجلب لي طعاماً من منزله .

أمّا الرجل الحاقد (مدير السجن السابق) فقد كنتُ أراه يومياً يخرج من زنزانته ذليلاً وبيده الإناء التي يقضي فيها حاجته من البول والغائط ليسكبه في دورة المياه ، وبعد أشهر من هذه المذلّة حوكم سبع سنوات بالسجن ، ثمّ نُقِل إلىٰ السجن العام ، وبعد قضاء مدّته أُطلق سراحه مع الحرمان عن الوظائف الحكومية طول حياته ، فصار بعد ذلك يبيع فحماً في سوق (كابل) !

كلامٌ نافعٌ في أجواء المنع

لم يُسمَح للشرطيّين الّذيْنِ كانا يراقبانني ليلاً ونهاراً بأنْ يتكلّما معي ، كما كانا مأموريْن بعدم السماح لي بالكلام معهما خوفاً من التأثر بأفكاري .

ولكنّهما في الليل كانا عاطليْن ، ويزعجهما الفراغ سيّما ليالي الشتاء الطويلة ، وأحياناً أسمعهما يتبادلان بقصص خرافية لا معنىً لها ولا فائدة ، مثلاً أسطورة شابّ عَشِقَ شابة فقام من أجل الوصول إليها بعدّة خطط فاشلة وحيل شيطانية ، ثم كيف كانت النتيجة ؟!

لم يستغرق هذا النوع من قصصهم أكثر من نصف ساعة ، ثمّ يغطّان في السكوت المُمِلّ ، هذا ما جعلني أقول لهما : آسِفٌ إنّ القانون لا يسمح لي التكلّم معكما وإلّا فإنّي أحفِظُ قَصَصاً جميلة جدّاً .

قالا : تَعْساً في الذي سَنَّ علينا مثل هذا القانون ، قُلْ ماعندك مِن قَصص نقضي بها ليلتنا بهناء . نحن لا طاعة لنا لأصحاب المناصب الذين يكمّمون الأفواه ، نريد أياماً نُنهي الخدمة

الإجبارية بأي شكل كان حتىٰ نعود إلىٰ بيوتنا وأهالينا ، أنت متضايق من السجن ونحن متضايقان من البُعد عن الأهل ، أنت يُقال عنك معتقَل ولكن الحقيقة أنّك إنسانٌ حرّ ، تأكل خبزك ، وليس لك هَمٌّ زوجة وهموم أطفال ومسؤولية إعاشتهم ، عندك خادمان مثلنا نفرش لك ، ونكنس زنزانتك ، ونغسل ثيابك ، ونجلب لك ما تحتاجه من السوق ، ولا تحتاج أنْ تعظّم أحداً وتُنكّس رأسك لذي منصب أو تنحني له !

فهذا رئيس الشرطة (ماطره بازخان) الذي لا ينام الناس في (كابل) خوفاً منه ، نراه يأتيك علىٰ رجلَيْه ويسأل عن حالك ، بينما أنت جالسٌ لا تقوم له من مكانك ، فهل هناك حرية أكبر من هذه الحرية التي أنتَ فيها ؟

وامّا نحن فمِن أجل راتبٍ رسميّ لا يُغني مِن جوع يجب أنْ نلهثَ كالكلب نهاراً ونطأطيء رؤوسنا لخمسين (ديّوث) من أصحاب المناصب ، إجلالاً وتعظيماً !

نحن لا نتقيّد بهذه القوانين الحكومية ولسنا مع أحد ، لا مع السنّة ولا مع الشيعة ، فقط نريد أن تنقضي ساعات حياتنا بخير وسرور ، قُل لنا من القصص المفرِحة والمسلّية ، ولا تخشَ منّا، ثمّ انّنا تحت الخدمة ، فأيّة حاجةٍ حتىٰ التي هي ممنوعة من طرف الحكومة نُنجِزُها لك ما عدا الفرار ، فانّنا لا نساعدك

فيه ، إنْ كنتَ تريد «خمراً» أو «حشيشةً» وما أشبه ذلك أتيناه إليك ، إنْ كان لك صديقٌ تريده يأتيك أحضرناه عندك ، إنْ كانتْ لديك رسالة لأحد أوْصَلْناها إليه !

هكذا تكلّما وأنا بدأتُ لهما من قصّة (أمير أرسلان) الاسطورية ، وأنهيتُها في سبع ليال ، فلم يكونا سعيديْن مثل هذه الليالي أبداً ، وكأنّهما حصلا علىٰ ألف تومان من شدّة الفرح ، ولما انتهتْ القصّة سألاني بإلحاح أنْ أسْرِد لهما قصةً أُخرىٰ .

قلتُ : انّها كانت قصة اسطورية ، لا واقع لها ولا حقيقة ، قد اختلقها بيّاعُ كُتُبٍ رَشْتيّ ـ من مدينة رَشْت الايرانية ـ لأجل تجارته الدنيوية ، لكنّني أحْفِظ قصصاً قرآنية صادقة واقعية ما إنْ يسمعها أحد إلّا وإستهزء بالقصص الخيالية والاسطورية ، ثم اصبح لا يميل إلىٰ سماع مثل هذه الخرافات أبداً .

بهذا التمهيد شرعتُ أقُصُّ لهما قصص الأنبياء وختمتُها في خمسة عشرة ليلة . ثم انتقلتُ معهما إلىٰ قصصٍ من تاريخ الإسلام منذ ولادة النبي الأكرم محمّد بن عبدالله ﷺ وإلىٰ وفاته ، ولعلمي بأنّ الناس في افغانستان شديدو البأس ، يحبّون القصص الحربية أطلتُ قصص الغزوات وبطولات المسلمين الأوائل ، ثم نقلتُ لهما حوادث ما بعد وفاة رسول

الله ﷺ وما جرىٰ في فتح ايران وحرب الروم، وأسردتُ لهما قصص الإمام علي عليه السلام وشجاعته وخلافته وعدالته ومعارك (الجَمَل) و (صفّين) و (النهروان) المفروضة عليه، وأخيراً كيف استشهد في محراب الصلاة، ثم ما قام به ولده الإمام الحسن عليه السلام من بعده، ثمّ شرحتُ لهما واقعة كربلاء الدامية جذورها وظروفها وأهداف الإمام الحسين عليه السلام وعمدتُ الىٰ ذكر قصص المصائب التي حلّت بالحسين وعياله وأطفاله.

وهنا بكيا بدموع غزيرة قَلَّ ما بكاها بعض الشيعة في يوم عاشوراء، إذ أنّهم لكثرة ما سمعوا عن واقعة المظلومين في كربلاء أصبحتْ دموعُهم تجمُد أحياناً، وأحياناً أُخرىٰ بسبب نقل القصص الخرافية التي أدخلها أعداء الحسين عليه السلام في هذه الواقعة العظيمة إذ يتناقلها الخطباء علىٰ المنبر من دون دراسة وتحقيق فيشوّهون بها نقاء القضية الحسينية من حيث لا يريدون.

ولكن الشرطيّين مِن اخوتنا السنّة لمّا كانا يستمعان عن واقعة كربلاء لأوّل مرّة ومن دون الأكاذيب المدروسة ضجّا بالبكاء كالمرأة الثكلىٰ، وعندما نقلتُ مقتل الطفل الرضيع ابن الحسين عليه السلام وقصّة رضّ أجساد الشهداء بحوافر الخيول وضرب اليتامىٰ وصفْعهم بعد السَّبْي ... كاد الشرطيان يغشيان من شدّة البكاء.

واستمرتْ الليالي الطويلة هكذا ، وبعد قصّة كربلاء الدامية جئتُ إلىٰ حوادث ما بعد الواقعة من موت يزيد بن معاوية ، وخلافة مروان، وثورة مختار الثقفي ، وقصاصه العادل من قَتَلَةِ الطيّبين في كربلاء ، حتىٰ أبدلتُ بكاءَهما إلىٰ سرور ، ثم انتقلتُ في أحاديثي لهما إلىٰ تارٰيخ بني أُميّة وظلمهم والإنتفاضات الشيعية التي أدّت إلىٰ انقراض الدولة الأُموية ، وتحدّثتُ عن العباسيّين وذكرتُ لهما قصص «ألف ليلة وليلة» وكيف أَفْسَد العباسيّون بلاد المسلمين ثمّ انقرضوا ، وتكلّمتُ عن قيام الدولة العثمانية وعجزها في تحقيق العدالة الإسلامية والتي انتهت بسقوطها وتقسيم البلاد الإسلامية إلىٰ دويلات طائفية وقوميّة قامت أكثرها علىٰ أساس العمالة للإستعمار الاوروبي الذي غزا بلاد المسلمين .

استغرقتْ معهما هذه المجالس والدروس التاريخية مدّة ستة أشهر ، بعدها نقلوهما من عندي وجاؤا بشرطيْين آخريْن لحراستي ! وعند مغادرتهما قالا للشرطيْين الجديديْن ، هنيئاً لكما إذْ صِرتُما تراقبان هذا الملّا ، انّه يعرف قصصاً ممتعة ومفيدة للغاية ، سوف لاتملّانْ معه ، انّه أفضل من ملالينا ، استفيدا منه قدر ما تستطيعان ، لقد مرّتْ علينا ستّة أشهر وكأنّها يوم وليلة .

وكذلك بدأتُ مع هذيْن أيضاً قصصي من الليلة الاولىٰ ، وكانت القصة الأُولىٰ هي القصّة الاسطورية لأمير أرسلان وختمتُها بقصة سقوط الخلافة العثمانية ودخول الاستعمار إلىٰ بلادنا ، وبين البداية والنهاية ذكرتُ لهما دورة كاملة من تاريخ الإسلام مثل ما نقلتُها لزميليهما السابقيْن .

استمر عملي هذا وتبليغ حقيقة التاريخ الإسلامي للذين يتناوبون علىٰ مراقبتي في السجن مدّة أربعة أعوام متواصلة .

ولقد انتشر علىٰ الألسن بعد هذه المدة أنّ جمعاً كثيراً من الناس تشيّعوا علىٰ يد الشيخ بهلول ، ولكن الحقيقة لم يتشيّع علىٰ يدي مباشرةً إلّا شخصٌ واحد والآخرون انّما عرّفتهم علىٰ حقيقة المذهب الشيعي وحياة أئمة أهل البيت عليهم‌السلام وتعاليمهم العظيمة وذكرتُ لهم قبائح أفعال بني أُميّة وبني العباس وحاولتُ بذلك أنْ أُصحّح في أذهانهم الحقائق التاريخية ، لكيلا يعادوا المسلمين الشيعة ويفتروا عليهم بما ليس فيهم . فَعَرَف اخوتُنا السنّة هناك أنّ أكثر الإشاعات الكاذبة ضدّ اخوتهم الشيعة يروّجها أعداء المسلمين.

أمّا الفسق والفجور والانحرافات الأخلاقية وكذلك الانحرافات العقائدية فلا يشذّ عنها المسلمون سواء الشيعة أو السنّة . ففي العاصمة الأفغانية (كابل) توجد الدعارة في

المناطق السنية كما توجد في المناطق الشيعية أيضاً ، والصالحون ذوي الأخلاق الكريمة موجودون بين الشيعة والسنّة .

وكان يوجد في السجن ضبّاط من السنّة والشيعة يظلمون مَن تحت أيديهم من الجنود والشرطة والسجناء دون فرق بينهم .

.. إلاّ اذا تابَ وأصلح

لقد كان ضابط السجن منسوباً إلىٰ مذهب الشيعة ولكنّه لم يتورّع عن ارتكاب أيّة معصية وخاصة أخذ الرشوة ، حيث كان يأخذ من كل جندي أو شرطي خمسمائة تومان ـ وهو مبلغ كبير في ذلك اليوم ـ مقابل منحه رخصة يذهب إلىٰ أهله وقت الدوام . بينما الضبّاط المنسوبون إلىٰ أهل السنّة كانوا يكتفون برشوة أقل، لذلك كان الشرطة يسمّونه «شمر كربلاء».

جاءني هذا الضابط يوماً وقال : إنّي متورّط في مشكلة !

قلت : ما هي ؟

قال : طلبتْ الحكومة من أصحاب المناصب أن يشاركوا في حفل برفقة زوجاتهم وهنّ حاسرات سافرات ، إنّ غيرتي ترفض مشاركة زوجتي في هذه الحفلات ، وإن لم أُشارك فسوف أُطْرَد من الوظيفة !

قلت له : وهل عندك غيرة حتىٰ ترفض هذا الأمر القبيح ؟!

قال مستغرباً : بالطبع ولِمَ لا ؟

قلت : ليست عندك غيرة قدر حبّة شعيرة ، لأنّك إنْ كنتَ صاحب غيرة لَما أشْرَكْتَ مئات الجنود والشرطة في مواقعة زوجتك !

قال مدهوشاً : كيف ومَن الذي واقَعَ زوجتي ؟ ما هذا الكلام الذي تقوله ؟

قلتُ : كل الذين أخذتَ منهم رشاوي اشتريتَ بها طعاماً وأكَلْتَها ثم واقعتَ زوجتَك كأنّك أشركتَهم في المواقعة ، لأنّ المال الحرام الذي تأكله يجري أثره في روحك ودمك وينتقل عبر المواقعة إلىٰ ذرّيتك ، فيصبح أولادك بالشراكة ، والأمّ مشتركة بينك وبين الذين أكلتَ أموالهم بالحرام !

فأطرق الضابط برأسه إلىٰ الأرض ، ثم قال بخجل : أتوب الآن إلىٰ الله علىٰ يديْك ، أُدْعُ الله لي بالعفو والمغفرة ، فإني لا أعود إلىٰ أخذ الرشوة أبداً ، وإنْ سمعتَ بعد هذا أنّي أخذتُ رشوةً مِن أحد فإنّه لا يكون في افغانستان كلّها شخصٌ أسوأ منّي . قال هذا الكلام ومشىٰ .

وقد تأكّد لي بالفعل أنّه لم يعُد إلىٰ المعصية والرشوة حتىٰ تقاعَد عن الوظيفة الحكومية .

(٣١) عاماً من السجن .. لماذا؟!

واحدٌ وثلاثون عاماً كنتُ في افغانبستان ينقلوني من سجن إلىٰ سجن ومن منفىً الىٰ منفىً ، ومن أسباب طول مدّة الاعتقال كان الحرب العالمية الثانية ، ففي العام الأوّل من اعتقالي احتلّت ايطاليا أراضي الحبشة ـ اريتريا واثيوبيا ـ. وفي العام الثاني وقع انقلاب علىٰ الحكم الملكي في اسبانيا بقيادة (فرانكو) وحماية ألمانيا .

وفي العام الثالث هجمتْ اليابان واحتلّت الكثير من أراضي الصين ، واتفقتْ الروس والمانيا علىٰ تقسيم بولندا بينهما ، فأعلنتْ بريطانيا حرباً علىٰ ألمانيا دفاعاً عن بولندا .

واجتمعتْ ايطاليا والمانيا واليابان في (حِلْف دول المحور) بينما تحالفتْ فرنسا وبريطانيا والدول الاوروبّية الصغيرة الأُخرىٰ لمواجهة تحدّيات هذه الدول ، في الوقت الذي أعلنتْ امريكا حيادها رسمياً ولكنّها كانت تبيع أسلحة متطوّرة إلىٰ المتفقين الاوروبيّين .

تصاعدتْ حدّة هذه الحروب حتىٰ احتلتْ المانيا كلاً من

فرنسا وايطاليا وبلغاريا واليونان واسبانيا ، بينما احتلّتْ اليابان الأراضي الفلبينية ، وأظهرتْ عدائها لأمريكا واعتدتْ على جزر شرق الهند .

وبعدها بسنة واحدة هاجمتْ المانيا الأراضي الروسية ، فاتحدتْ بريطانيا والروس لردع ألمانيا .. في مثل هذه الأوضاع قامت الحكومة الأفغانية المحايدة بتجميع أتباع الدول الأجنبية في سجن واحد لكيلا يقوموا بعمل تتورّط فيه افغانستان فتفقد حيادها وتُجَرُّ إلىٰ الحرب مرغمةً .

ولأني كنتُ من المعتقلين القدماء فقد شملني هذا القانون بصفتي من دولة أجنبية أيضاً ، ولكن مع دخول القوّات الروسية والبريطانية إلىٰ ايران أزاح البريطانيون رضا شاه ونصبوا مكانه إبنه محمد رضا ، وبذلك انتهىٰ نفي آية الله العظمىٰ السيد حسين القمي من العراق فعاد لزيارة (مشهد المقدسة) محفوفاً باستقبال الشعب الايراني وباحترام عظيم ـ كما سمعتُ الخبر فيما بعد ـ وتحرّك بعض المؤمنين من داخل افغانستان للإفراج عنّي ، وبهذا التطوّر احتملتْ الحكومة الأفغانية أيضاً أنّ علماء ايران سوف يتحركون للإفراج عنّي ، وانّ الشاه الجديد سينضمّ إليهم ويطالبني من الحكومة الأفغانية . لذلك بذلتْ بي الحكومة احتراماً واهتماماً

أكبر . إلّا انّ آية الله القمي ما لبث حتىٰ انتقل إلىٰ رحمة الله سريعاً فانتقلتْ المرجعية إلىٰ آية الله العظمىٰ السيد البروجردي في قم ، وآية الله العظمىٰ السيد محسن الحكيم في النجف ، وكان علماء الشيعة في ذلك الوقت منكمشين علىٰ أنفسهم لا يميلون إلىٰ تحريك قضيّتي . لذلك فاحتمال الافراج عنّي زال عن ذهن المسؤولين في الحكومة الافغانية فعادتْ كالسابق غير مهتمة بالإخلاء عن سبيلي ، والواقع أعتقد أنّ الله تعالىٰ لم يرَ صلاحاً في خروجي من السجن في ذلك الوقت ، وكان الخير في بقائي معتقلاً لمدّة أطول كما تبيّن لي فيما بعد ، وهكذا فإن مدة سجني قد سجّلت رقماً قياسياً في تاريخ سجون العالم رغم غياب المساندة الإعلامية وتجاهل الأوساط المعنيّة .

الإنفراج النسبي .. ما هو السرّ ؟!

مع اشتداد الحرب بين ألمانيا والروس فرّ (٢٥) روسياً وبولندياً إلىٰ افغانستان طالبين اللّجوء السياسي ، فزجّتهم الحكومة في سجن وزجّتني معهم بصفتي أقدم معتقل سياسي عندها !!

من هذه المرحلة انتهىٰ سجني الإنفرادي ، فصِرتُ مع الآخرين في سجن عام .

هذه كانت الأسباب الظاهرية والظروف الموضوعية لنقلي من سجن انفرادي إلىٰ سجن عمومي . وأمّا السرّ الحقيقي فهو امران معنويّان :

الأوّل : هو انّ الشرطي الذي كان علىٰ باب زنزانتي صاد ذات مرّة طيراً فحبسه في قفص ووضعه في زنزانتي ، فرأف قلبي لهذا الطير المسكين فاشتريتُه منه بـ(١٥) تومان وأطلقتُ سراحه ليتنعّم بالحرية التي خلقها اللّه لذوي الأرواح .

الثاني : كانت ليلة ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وكنتُ متألّماً من طول اعتقالي ، ما استطعتُ أن أنام

في تلك الليلة من شدّة الضيق النفسي والتألّم، فأنشدتُ أبيات شعرية كثيرة في مناقب ومصائب المظلومة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وجرتْ دموعي بحرارة ثمّ طلبتُ من الله تعالىٰ حرّيتي أوخروجي من السجن الإنفرادي، فصلّيتُ الفجر ونمتُ بعدها وإذا بي أرىٰ أُمّي في المنام قد وردتْ زنزانتي للقاء بي .. فقالت: ياولدي لا تحزن، لقد طلبتُ لك من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أن ينقلوك من هذا السجن.

ففي ظهر نفس اليوم نقلوني من ذلك السجن الانفرادي إلىٰ السجن العام مع اللاجئين الأجانب، وكان سجناً كبيراً وفي وسطه حوض وأشجار، وكان الاجتماع بالمعتقلين مسموحاً، ولم نكن من ناحية المرافق والحمام في ضيق وصعوبة.

صداقة وتحالف

صادقتُ في هذا السجن واحداً من أبناء السنّة الأفغان إسمه (جَنّتْ گُل) وآخر من روسيا كان يُتْقِن اللغة الفارسية اسمه الأصلي (انْدِرِلْ) ولكنّه فيما بعد غيّر اسمه إلىٰ (اسلام الدين) وكان عالماً في الديانة المسيحية ، كنّا معاً في كل شيء، وكان كلّ واحد منّا يتكلّم عن دينه ومذهبه للآخر ، فأنا أتحدّث عن الإسلام والتشيّع ، والأخ (جنت گل) يتكلّم عن الإسلام والتسنّن ، والأخ الروسي يتكلّم عن المسيحية مجرّداً عن العصبية ، وكنّا علىٰ اتفاقٍ أنّه إذا كان ضابط السجن شيعياً أقوم أنا باستعطافه لتحسين المعاملة معنا جميعاً ، وانْ كان سنّياً يقوم (جنت گل) باستعطافه لصالح الجميع ، وان كان ممّن يعشق الاوروبّيين يقوم الأخ الروسي بهذه المهمّة الإنسانية .

بهذا التعاون الوثيق عشنا نحن الثلاثة مدّة أربع سنوات في ذلك السجن من دون مشكلة أو نقص في الخدمات وغيرها ، فكانت أيام هذه السنوات أحلىٰ أيام السجن .

كان ضابط هذا السجن شيطاناً من الدرجة الأُولىٰ ! سعىٰ كثيراً ليفرّقنا ، فمثلاً جاء ذات ليلة إلىٰ حجرتي وقال : أيّها الشيخ أنت شخصية معروفة في العالم الإسلامي ، ويودّك رئيس الشرطة وجميع أصحاب المناصب وأنا أودّك أيضاً ، لقد قمتَ بثورة في ايران من أجل الدين وحجاب المرأة المسلمة ، أنت في السجن درجتك مثل درجة المجاهدين في بداية الإسلام ، أخلاقك حميدة يعرفها ويشهد لك الجميع بها، أنا واثق من انّك لا ترتكب عملاً خلافاً للقانون فتسبّب لنا مشاكل ، ولكن هذا السارق الافغاني (جنت گل) وذاك الروسيّ الكافر أخشىٰ أن يرتكبا عملاً يُصدّعنا . أرجو منك إخبارنا فور ما ترىٰ منهما تصرّفات مشبوهة .

قلت له : أنتم من أجل الحصول علىٰ معلومات عن السجناء لديكم من الأموال والجواسيس ما يحقّق لكم بُغيتكم، فلا تحتاجون إليّ وإلىٰ أمثالي ، أنا غير مستعد لقبول الوظيفة التجسّسية ولا عندي وقت لهذا العمل ، فلا تطلبوا مني هذا الأمر .

خرج وبعد ساعة ذهب إلىٰ حجرة (جنّت گل) وقال له : أنت من وطننا ودينا ومذهبنا وقومنا ، نحن واثقون منك إنّك لا ترتكب عملاً مخلّاً لقانون السجن . ولكنّي أخشىٰ من هذا

الشيعي الرافضي الايراني وذاك الروسي الكافر أن يخطّطا للفرار أو لعمل يجلب لنا مشاكل في السجن ، أُريد منك إن رأيتَ منهما تصرّفاً مشبوهاً أن تخبرني فوراً .

فقال له (جنت گل) الذي كان إنساناً فقيراً يحتاج إلىٰ مال : أنا أقبل هذه الوظيفة مقابل (ستّين تومان) كل شهر . وافقه ضابط السجن وخرج من عنده ، ودخل حجرة الروسي بعد ساعة فقال له : أنت أوروبي ، متحضّر تفهم القانون ، أعرِفُ جيداً أنك لا تخالف قوانيننا ، ولكني أخشىٰ من هذا العالم الرافضي الايراني وصديقه (جنّت گل) الوحشي الصحراوي أن يلوذا بالفرار أو يرتكبا عملاً مخالفاً للقانون ، فنكون مسؤولين . أنت راقبهما جيداً ، فإن رأيتَ مايبعث الشك أخبرني فوراً .

فقال له الرجل الروسي : لا مانع من ذلك ولكن مقابل أن تسمح لي كل (يوم أَحَد) بالخروج إلىٰ المدينة للتسلّي ثمّ أعود إلىٰ السجن، وليكن معي شرطي في الذهاب والإياب إذا أحببت . كذلك وافقه الضابط وخرج من عنده . ولمّا اجتمعنا نحن الثلاثة نقلنا لبعضنا ما قاله الضابط لكلّ واحد منّا ، فلعنّاه وزدنا تماسكاً .

والآن انظروا عاقبة هذا الضابط المنافق إلىٰ أين انتهتْ ، فقد

كان مسؤولاً عن سجن آخر أيضاً فيه مائتا معتقَلٍ ، يـمارس عليهم الضيق والفتن والنميمة ، حتىٰ انه كان وراء العديد من النزاعات بين المعتقلين وقد أدّىٰ بـعضها إلىٰ كسـر الأيـادي والأرجل والرؤوس ، وبعدها يعمل لهـم عـقوبات ، ولأجـل التخفيف عليهم يطالبهم برشاوي ، وبهذه الخطّة الشيطانية كان يجمع مالاً كثيراً وهو يتظاهر التديّن والتصوّف أمام المعتقلين المغفّلين .

هل تريد أن تعلم كيف غدتْ عاقبتُه ؟

فقد مات ميتةً حقيرةً .. إذ كان مدعوّاً ليـلة جـمعة لحـفل زواج ، فأفرط في الأكل والشرب من طعام وفواكه وحلاوة أُصيبَ في مكانه بالقولنج وألم البطن ، ولم تستمر أنفاسُه إلّا ساعات ، حيث أخذوا جنازته في الصباح وحملوها إلىٰ جهنم وبئس المصير ، وكان موته عيداً للسجناء ، وبهجةً وسروراً .

فوارق السجون الثلاثة

بعد أربع سنوات من البقاء في هذا المعتقل المعروف بسجن (التوقيف السياسي) في العاصمة (كابل) نقلونا جميعاً إلىٰ سجن كبير إسمه (محبس دهمزنك) وكان فيه ما يقارب ألفا وخمسمائة معتقَل . وكان سبب الانتقال إلىٰ هذا السجن هو محاولة فرار ثلاثة أشخاص ، حيث اُلقي القبض عليهم ، والسبب الآخر هو انّ الحكومة أرادت ذلك السجن لجمع من المعتقلين السياسيين الجُدُد ذوي المستويات العالية .

خلال أربع سنوات في السجن الإنفرادي الأوّل ، وأربع سنوات من السجن العمومي الثاني لم أعمل إلّا في تأليف الشعر والقصائد وحياكة الجوارب والملابس وتوزيعها علىٰ الفقراء ، وأحياناً كنتُ أنتهز الفرص لتدريس القرآن الكريم وتفسيره للمعتقلين ، بينما في هذا السجن الثالث صرت مدرِّساً لأربعين معتقل تقريباً ، كنتُ اُدرّسهم علم (الصرف) و (النحو) و (المنطق) و (فقه الشيعة) و (فقه المذهب الحنفي) ، وكان يشترك في الحضور بعض الشرطة ورؤسائهم أيضاً

أمثال (خـواجـه مـحمد نـعيم) رئـيس شـرطة افـغانستان، و (عبدالخالق) رئيس شرطة السـجن ، و (مـحمد عَـلَم خـان) الرئيس العام للبوليس .

مرّة زادت يقيني بالله

في هذا السجن الكبير كان حائط طويل ورفيع يفصل السجن إلىٰ قسمين، قسم ينام فيه السجناء في الليل ، وقسم فيه ورشة نجارة يزاولون فيها العمل وقت النهار ، وكان الطريق بينهما يمرّ عبر باب كبير ، وبالطبع لم يُسمَح في اللّيل أن يدخل السجناء الىٰ هذا القسم ، لأنّه كان فيه ممر مائي ينتهي إلىٰ خارج السجن ، فربما استغلّه أحد للفرار في الظلام، لذلك كان يقف علىٰ الباب شرطي مسلّح من أوّل الليل حتىٰ الصباح . أمّا أنا فحيث كنتُ أحياناً أحتاج لأغتسل من أجل الصلاة قبل طلوع الشمس ، ولأنّ الحمّام لم يُفتَح بابُه إلّا بعد طلوع الشمس ، كلّمتُ رئيس السجن ورئيس الشرطة الذيْن كانا يحضران دروسي أن يسمحا لي بالدخول إلىٰ قسم المعمل للاغتسال في ذلك الماء في أي وقت من الليل ، فقالا للشرطي اسمح للشيخ أن يدخل في أي وقت يشاء فانّ الشيخ ليس أهلً للفرار !

كان ماء تلك القناة بارداً جدّاً ، حتىٰ سألني رئيس السجن

كيف تغتسل فيه ؟ قلتُ : من أجل الواجب الشرعي أتحمّل البرودة .

وأما القصة العجيبة ، فانه ذات ليلة كنتُ نائماً إذ سمعتُ صوت هِرّة من وراء باب حجرتي ، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أطالت أنينها فعطفتُ عليها ، فقمتُ وفتحتُ الباب لأرىٰ ما الأمر وممّ تتألّم هذه الهِرّة .

فما أن وقع نظرها عليّ حتىٰ رأيتُها تشير برأسها إلىٰ حاجة، وكأنّها تقول إتّبعني أيّها الشيخ ! فتقدّمتْ ومشيتُ خلفها إلىٰ أن دخلتْ المعمل فدخلتُ معها باجازة الشرطي . فتابعتُ الهِرّة بين آلاف قطع الأخشاب هناك ، إلىٰ أن دلّتْني علىٰ هرّتها الصغيرة التي كانت ساقطة بين تلك الأخشاب ، هناك وقفتْ تنظر إليّ ، فعرفتُ أنّها تطالبني بإنقاذ تلك الهِرّة .. هذه القضية زادتْ في يقيني بوجود الله تعالىٰ ، فلولا الإله الكريم مَن كان يُلْهِم هذه الهِرّة المسكينة في تلك الساعة من اللّيل لتأتي وراء باب حجرتي تستنجدني لإنقاذ صغيرتها دون أن تذهب لإيقاظ أحدٍ غيري ، فلو كانت تذهب لغيري لما كان أحد يُسمَح له الدخول إلىٰ المعمل ، فلقد أرسل الله هذه الهِرّة إلىٰ مَن يُسمَح له الدخول ، أليس كذلك ؟!

وهل ينتبه الآخرون ؟

كان رئيس السجن متعصّباً ضدّ الشيعة ولا أقول انه سنّي ، وان كان منسوباً الىٰ السنة ، فهو لم يكن يعتقد بالدين أصلاً وأبداً ولا يهمّ بعدئذ انتسابه إلىٰ مذهب من المذاهب . هذا الرئيس الفاسد جاء بصبيّ في ليلة عاشوراء وألبسه ملابس البنات ودعىٰ السجناء للتفرّج علىٰ رقصه والاستماع إلىٰ الأغاني والموسيقىٰ .

في هذا السجن الكبير كان ما يقارب ثلاثمائة شيعي وألفاً ومائتي شخصٍ من أهل السنّة . فالشيعة لم يحضروا الحفل ولم يتجرّؤا أن ينهوا عن ذلك المنكر .

إلّا أنّ واحداً من السجناء السنّة وكان عبر وسائط ذي معرفة بالمَلِك ورئيس الوزراء تقدّم إلىٰ رئيس السجن ينهاه عن هذا الفعل القبيح ، فقال : هذه ليلة عاشوراء ، ليلة الحزن والعزاء ، لايجوز لك القيام بهذه الأفعال .

فردّ عليه الفاسق : أنا لستُ شيعياً رافضياً حتىٰ أضربَ علىٰ صدري وأهتف حسن .. حسين !

فقال له الرجل السنّي المحترم : انّ الحسين ليس نبيّ الشيعة ، بل هو ابن نبيّ الإسلام . فكل مسلم يجب عليه احترام يوم استشهاده الفجيع .

قال الرئيس الفاسِق : إبتعدْ ولا تتكلّم ، قبل ألف عام تَقاتَلَ إثنان مِن العرب ، فَقَتَلَ أحدُهما الآخر ، ما علاقتنا بهما ، نحن قومٌ أفغان مِن أشرف القوميّات الآرية ، ما قيمة العرب الأحياء حتىٰ تُعطي قيمةً للعرب الأموات !

قال هذا وانصرف ليقضي تلك الليلة بالعربدة وشرب الخمر واللّهو واللّعب ، وقبل الفجر تعب فأخلد إلىٰ النوم حتىٰ طلوع الشمس .

في الساعة الثامنة صباحاً حينما اصطفّ السجناء وأخذ يعدّهم تبيّن أنّ أربعة مِن أهم السجناء السياسيين انتهزوا مُجون رئيس السجن وسُكْر الشرطة في البارحة ولاذوا بالفرار.

فاتصل فوراً بقائد البوليس العام ومسؤول المخافر الحدودية لأفغانستان فأطلعه علىٰ الخبر ، ولكنّ القائد أمره حالاً أن يفرز السجناء في جهة والشرطة والمأمورين في جهة مقابلة وقال انه سوف يأتي بنفسه ليحقّق في الحادث . وهكذا أوقفوا ما يقرب من ألفَي معتقلٍ في جهة وأربعمائة مأمور

حكومي في الجهة الثانية . واما أنا فاحتراماً لمكانتي جعلوني في بداية صف المعتقلين ، وكان الفاسق رئيس السجن في بداية صفّ المأمورين مقابلي وجهاً بوجه!

دخل القائد العام وجاء يخاطب الشرطة والجنود قائلاً : أيّها الأُخوة ، لا تقلقوا فإنّ الله سوف يسرّح الجميع من الخدمة «العسكرية» .

فهتف الجنود : عاش القائد .

ثم التفت نحونا وقال : أيّها الأُخوة لا تكتئبوا فإنّ الله يُطلِق سراح الجميع وتنعمون بنعمة الحرية .

فهتفنا له : عاش القائد .

هنا تقدّم نحوي وسأل عن حالي وخصّني بالاحترام ، لأنّه كان يَحضر دروسي . ثم التفت إلىٰ رئيس السجن وسأله : ماذا كانت واقعة البارحة ؟

قال مرتبكاً : حسب ما أخبرتُكم سيّدي فإنّ أربعةً من السجناء فرّوا من السجن ، (وأخَذ يذكرهم بالإسم) .

قال له القائد مستهزءاً : كل الذين فرّوا أربعة فقط ؟!

أعاد رئيس السجن كلامه ، وأكّد نعم ياسيدي . فكرّر له القائد تساؤله التحقيري مرّة أُخرىٰ . ثم قال ليس هذا شيء ذو أهميّة لتخابرني عليه . لماذا يفرّ أربعة ؟ لماذا لا يفرّ أربعون ؟

لماذا لايفرّ أربعمائة ؟ ولماذا لايفرّ السجناء كلّهم ؟ والحال انّ رئيس السجن قضىٰ ليلة عاشوراء بالعربدة والخمر والرقص والغناء ، ودعا أفراده للتفرّج أيضاً ، فلا أحد منهم في برج المراقبة ، هل تظنّ السجين مجنوناً لاينتهز مثل هذه الفرصة للفرار ؟ في الحقيقة الذين لم يفرّوا كان ينقصهم العقل والغيرة!

والتفت هنا إلىٰ السجناء وقال : يا ناقصي العقول والغيرة لماذا بقيتُم ولم تفرّوا ؟

أنتم رأيتم رئيس السجن ثوراً ليس له عقل ، فلماذا لم تهربوا ، أليس الثور لا يمكنه الحفاظ علىٰ السجناء ؟!

نطق رئيس السجن الذي كان مرتعشاً وقال :

سيّدي لم نتهاون في الأمر ، ولا أقول انّ معلوماتكم خاطئة، نعم كنّا في البارحة كما تعلمون ولكن هذا شيء مقدّرٌ عند الله، وفي كل الدول الكبرىٰ تقع مثل هذه الحوادث ويفرّ السجناء سيّدي .

غضب القائد بشدّة فضرب يدَه علىٰ السيارة التي كانت بجانبه وضرب رجْلَه علىٰ الأرض بقوّة . وصرخ بوجهه : لاتقل هذا أيّها (...) بل قُل ما أقوله أنا ، قُل إنّ أشخاصاً جاؤوا وأرْشَوْك برزمة نقود ، وأنت ألقيتَها في جيبك ، ثم قالوا لك إشغلْ السجناء والجنود باللّهو واللّعب ليهرب هؤلاء السجناء .

قل أيّها الخائن أنّهم دَهَّنوا شاربك !

وهنا أمر السجناء أن يقطعوا شاربه ويسحبوه مِن مقدّمة شعر رأسه ، ويخلعوا زيّه العسكري . ثم أمر ستّاً من الجنود لِيجْلدوه ، فطرحوه أرضاً وشرعوا في جلده أمام الحضور .

ففتح السجناء أفواههم عليه بالشتائم ، فواحد يقول له : أيّها ... هذه قوّة سيف العبّاس . والثاني يقول له : أيّها ... تعادي الإمام الحسين ، خُذْ نصيبك الآن .

لقد جَلَدوه حتىٰ بال في نفسه وخرج برازُه !

فقال أحد المرافقين للقائد : سيّدي لقد بَلَّثْ سرواله ، وهذا لا يليق بسمعة البلد . كفاه عقوبةً .

فأمر القائد بوقف الضرب وتقييده بالسلاسل ورميه في إحدىٰ الحُجر المظلمة في السجن ، ثم أمر باعطائه كل يوم خبزتيْن يابستيْن، ولا يحقّ له أن يخرج في اليوم إلّا مرّة واحدة مِن أجل دورة المياه .

ولكنه بعد يومٍ واحد نقلوه إلىٰ محكمة وصَدَرَ فيه حكمٌ بالسجن لمدّة سبع سنوات والطرد من الوظائف الحكوميّة ، ولم يمرّ علىٰ سجنه أربع سنوات حتىٰ مات في السجن ، والباقي بيد الله الناظر في عمله غداً .

نعم هذه عاقبة مَن يستهزء بالله وبالرسول والعترة الطاهرة والمقدّسات الدينيّة ، فهل ينتبه الآخرون ؟!

والدي مضىٰ شهيداً

بعد عشر سنوات من واقعة (مسجد گوهر شاد) في مشهد المقدسة واعتقالي في افغانستان بلغني خبر أنّ والدي الذي كان عالماً كبيراً في مدينة «گناباد» اعتقلته الحكومة البهلوية بسببي ، ولكنّه استطاع أن يدافع عن نفسه في المحكمة قائلاً : «لقد سبق لي أنْ قلتُ لكم قبل خمس سنوات (يعني قبل حادث المسجد) أنّ ولدي الشيخ بهلول مجنون وعدوّ لحكومة بهلوي في نفس الوقت ، وشخص مثل هذا اللّاأبالي خارج عن إرادتي ، ولا يمكنني السيطرة عليه ، كان يمكنكم إعدامه أو ابقاؤه في السجن كيلا يثور عليكم ، والآن أنتم المسؤولون عمّا حدث ولستُ أنا» .

هذا الكلام جعله يعود إلىٰ البيت ، وكان لتلاميذه ـ وهم من الأُدباء والشعراء وبعض المدرّسين وهم ذوي المكانة عند بعض المسؤولين الحكوميين ـ دورٌ جميل في إطلاق سراحه، إلّا أنّ الشاه رضا خان الذي كان حاقداً عليّ بشدّة ولم تصل يده ليبطش بي وكان يخشىٰ من مكانة والدي الدينية

والاجتماعية رغم بُعده عن الأُمور السياسية فقد طلب واحداً من مدينتنا «گناباد» وكان معتقلاً في طهران لقضية سـياسية .. فواعده باطلاق سراحه ومنحة قدرها (خمسة آلاف تومان) ـ وهو مبلغ كبير قياساً لذلك الوقت ـ علىٰ أن يأتي إلىٰ المدينة ويدسّ سُمّاً إلىٰ والدي .

جاء هذا المضلِّل إلىٰ المدينة وبعد أيـام دعـىٰ والدي الىٰ وجبة فطور الصباح في بيته ، فأطعمه سمّاً ، فمضىٰ أبي شهيداً في عصر ذلك اليوم عن عمر يناهز التسعين سنة . والعجيب أنّ القاتل لم يدم عمره بعد جريمته النكراء ، فقد مات بعد أبي بسنوات قليلة وهو شابّ ، فلم يسعد في حياته .

أُمّي ، أُختي .. الوداع

بعد وفاة والدي ـ طاب ثراه ـ حيث كانت أُمّي امرأة شجاعة وذات عقل راجح كتبتْ إلىٰ قائد البوليس العام لأفغانستان مايلي :

«إلىٰ حضرة قائد الجيش ورئيس البوليس العام لمخافر افغانستان:

بعد واقعة (مسجد گوهر شاد) في مشهد عام (١٣١٤) للهجرة الشمسية افتقدتُ ولدي الشيخ محمد تقي بهلول الذي كان قائد الثورة . وليس لديّ عنه خبر حتىٰ الآن . أسمعُ من الناس انّه في افغانستان ، فإن كان هناك في أي مكان سواء مسجوناً أو طليقاً فإنّه ليس بخارج عن سيطرتكم .

أرجو أنْ ترحموا أُمّه التي مات زوجها ولم يكن لها سوىٰ بنت واحدة وهذا الابن ، ابحثوا عنه وأخبروه أن يبعث لنا بأخباره واسمحوا له أن يكتب إلينا رسالة إن كان مسجوناً» .

فلمّا وصلتْ هذه الرسالة إلىٰ القائد الذي كان من الذين يحضرون عندي في دروس الفقه والأدب العربي جاءني

بفرح وسرور يقول : قرّت عينُك ، بل قـرّت عـينك وعـيني معك، فهذه رسالة من أُمّك .

ناوَلَني الرسالة ، واختنقتُ بعَبرتي دون إظهار الموقف ، ثم أخذتُ أكتب جوابها ودموعي تحجب ناظري إلىٰ الورقـة ، ومهما كان فقد كتبت الجواب وسلّمته إليه فأرسلها فوراً إلىٰ أُمّي في ايران . منذ ذلك اليوم عاد الارتباط بيني وبين والدتي المحترمة عبر الرسائل فقط إلىٰ أن فارقت الحياة ، ثمّ استمرتْ رسائلي إلىٰ أُختي الوحيدة ، ولمّا فارقت هي الحـياة أيـضاً ، واصلتُ مراسلتي مع ابـنتها الكـبيرة التـي لا زالت عـلىٰ قـيد الحياة، وكاد أن يكون لخبر ووفاة أُمّي وأُختي ثقل كبير عـلىٰ قلبي لولا أن ربط الله تعالىٰ عليه بتذكّري آية المصيبة ﴿ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** ﴾ وتدبّري فيها .

من الأسباب المعنوية

لعودة الإرتباط بيني وبين أُمي بعد إنقطاع دام عشر سنوات سببٌ معنوي تقرؤه في القصّة التالية :

كان في السجن مكاناً خاصاً لاستراحة بعض السجناء السياسيين الأكثر احتراماً ومكانةً ، وهو مكان هادئ وذو منظَر مُمْتِع . وكان بين هؤلاء السجناء شاب إسمه «يونس» يهوي تربية الحَمام ويهتم بها كثيراً في نفس المكان ، وكان قد عمل لها أقفاصاً فوق المظلّة التي يستريح تحتها السجناء ، مما كان يسلبهم الراحة والهدوء .

فجاءني السجناء يوماً وطلبوا أن أنصح الشاب بأن يترك هوايته التي سلبت الآخرين حقوقهم . فجئتُ إليه ناصحاً وباسلوب جميل ومؤدّب ، ولكنّه رفع صوته في وجهي وقال: الجميع حُرٌّ في السجن، كل السجناء يمكنهم أي عمل يشاؤون ، وليست لأحد علىٰ أحد سلطة ، ومَن لا يعجبه فليرفع شكواه ضدّي عند رئيس السجن .

وأنا بحكم مكانتي في السجن طلبتُ من رئيس السجن أن

يعالج الموقف باللّتي هي أحسن . ولكني بعد قليل سمعتُ بهجوم الشرطة علىٰ وَكْر الطيور فكسّروا عشّها وأقفاصها ، وكانت فيها ثلاثون حمامة .

أدّتْ هذه القضية التي وقعتْ في الثالث من يوم عيد الفطر إلىٰ زَعَل الشاب منّي فأصبح مغتاظاً حتىٰ قطع سلامه عليّ ، واستمر زعَلُه إلىٰ أوّل شهر ذي القعدة ، وحيث كنتُ عازماً علىٰ صوم أربعين يوماً إلىٰ العاشر من شهر ذي الحجّة لأنّي ألتزم في هذه المدّة ببعض العبادات والنوافل والأدعية ، وحيث أنّ من شروط قبول العبادة عند الله تعالىٰ هو إخلاء القلوب من الأحقاد والبغضاء قرّرتُ أن أُصالح الشاب ، فكلّما أقترب إليه كان يبتعد عنّي يمنةً ويسرة ، بعد هذه التصرفات وَسْوَسَتْ لي نفسي الأمّارة بالسوء أن أنصرف عن المصالحة معه ما دام هكذا يتهرّب منّي ، وممّا وسوس الشيطان في صدري انّه : أنت عالمٌ معروف قائد ثورة الشيعة في إيران ، لماذا تصغّر نفسك وتذهب إلىٰ شاب ليست له أدنىٰ قيمة لتعتذر منه ، عِلْماً انّه كان هو المقصِّر !

ولكنّ الله تعالىٰ مدّني بالتوفيق لأتغلّب علىٰ هذه النفس الأمّارة بالسوء وأقمع وساوس الشيطان الذي يرجم الإنسان بالتكابر علىٰ الحقّ .

فأخذتُ أنتهز ساعةً مناسبة للمصالحة ، ولكنها أتتْ بعد أشهر ، وهي ساعة من آخر شهر شوّال إذ حاصرتُه في ممرّ يؤدي إلىٰ المرافق ، فلم يستطع الإنفلات يمنةً أو يسرة ، فعانقتُه أوّلاً وقلتُ له :

أخي أنا لا أُريد عداءً معك ، لقد كان أمراً ومضىٰ ، وأنت كنتَ جاهلاً بحقوق الأُخوّة وحقّ الجار ، وأنا الآن مستعدّ لاعطائك ثمن الطيور التي ذبحها الشرطة دون موافقتي ، بل انّ أصل عملهم لم يكن بطلب منّي وإنّما جاء بأوامر رئيس السجن . والآن تعال لنتصافّ القلوب . فقبّل الشاب يدي وقال: أنا لستُ زعلاناً منك أبداً، ولا أُريد ثمن طيوري ، وقد تُبتُ إلىٰ الله من عملي ، ولم يكن تهرّبي منك بدافع العداء والتكبّر ، وإنّما كنتُ أخجل من النظر إلىٰ وجهك ، وما دمتَ هكذا أثبتّ لي محبتك فإني أشكرك شكراً جزيلاً وأكون خادماً لك ما دمتُ حياً .

عشرون يوماً بعد هذا الموقف الأخلاقي وجهادي لهواي ومصالحتي مع الشاب (يونس) وصلتْني أولىٰ رسالةٍ من أُمّي العزيزة، فتبيّن أنّ فكرة كتابة الرسالة قد طرأت علىٰ بالها في الدقائق التي كنتُ أُجاهد نفسي وأُريد التصالح مع الشاب . وهذا يعني انّ الصلح حتىٰ مع العدوّ وسيلة لبلوغ الأهداف

وقضاء الحوائج ، وليس الدّعاء أفضل من المصالحة بين الأُخوة في الدين وكنس الأحقاد من القلوب ، ولذلك فانّ «سارة» زوجة النبي إبراهيم ﷺ ما حملتْ إلّا بعد أن نبذتْ الحسد والغيرة وصالحتْ مع هاجر زوجة إبراهيم الثانية .

ولكن لا يخفىٰ انّ المقصود من المصالحة إذا كان العداء في امور شخصية يتخاصم لأجلها إخوة في الدين ، أمّا المصالحة مع أعداء الدين فإنّها عداوة مع الله تعالىٰ .

أربعُ مهامٍّ لا أملُّ منها

منذ كنتُ في السابع من عمري حيث عرفتُ الله تعالىٰ والتزمتُ بالصلاة والصيام والعبادات الدينية كنتُ أحبّ القيام بأربع مهامّ ولا أمِلّ منها إلىٰ هذا العمر الذي اقترب إلىٰ المائة ، تلك هي : «التدريس» و «الموعظة» و «حضانة الأطفال» و «رعاية المرضى» .

ومن الناحية العملية كانت أُختي قد أعطتْني بنتها لأقوم بحضانتها يوم كان عمرها ستة أشهر ، إذ مات إثنان من أطفالها وكانت حاملاً بالرابع ، فقمتُ بهذه التجربة الناجحة ليلاً ونهاراً، وقرأت في مجال حضانة الأطفال وتربيتهم كتاباً من تأليف أحد دكاترة الروس قدّمه لي عمّي الذي كنتُ اختلف معه في الفكر والسلوك ، لأنّه كان متأثّراً بالشيوعية ومتخرجاً من مدارس موسكو ، حتىٰ كنتُ أُسمّيه «أبا لهب» إلّا أنّه كان ذو أخلاق طيّبة رغم عقائده الفاسدة . (وفي الحديث : خُذ الحكمة ولو من لسان مشرك) .

وكنتُ في أيام شبابي آخذ الأيتام المتروكين لدىٰ أبواب

المساجد أو الأطفال الذين عجز آباؤهم من تحمّل مسؤوليتهم بسبب المرض أو ضيق المعيشة .. فأقوم بحضانتهم وتربيتهم .

بعد الحوادث التي جرت عليّ في ايران ، والانتقال من سجن إلىٰ سجن في افغانستان أصبحتُ لا أرىٰ وجوه الأطفال أكثر من ثمان سنوات ولكن في هذا السجن العمومي الكبير عندما كانت زوجات وأهالي المعتقلين يأتون يوم الجمعة للقاء بأزواجهن وأبنائهن كنتُ آخذ أطفالهن المزعِجين كيلا يعكّروا جوّ اللقاء بين السجناء وأهاليهم ، فلما ينتهي وقت اللقاء يأتون ويستلمون الأطفال ، وكان بعضهم نائماً وبعضهم يلعب ويمرح ، كانت هذه الخدمة بالنسبة إليهم ثمينة ، وبالنسبة لي أثمن وأغلىٰ بالنظر الىٰ راحتي النفسية والثواب الأُخروي .

بُهلول العاقل !

جيء إلىٰ السجن برجل يُدعىٰ (مَلِك قيس) وكان متّهماً بمحاولة انقلاب علىٰ ظاهر شاه ملك افغانستان ، من أجل تأسيس جمهورية بدلاً عن المَلَكيّة .

وكانت عملية اعتقاله بصورة ذكيّة ، حيث انّهم أكملوا عنه المعلومات الخاصة ثم دعاه محافظ منطقته إلىٰ الحضور في حفل زواج كبير ومنه أُقتيد إلىٰ السجن ، وبعده تمّ احتجاز عائلته ومقرّبيه مباشرة ، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً وثمانية عشرة امرأة ، فوزّعوهم علىٰ السجون قسم الرجال وقسم النساء ، أمّا زعيمهم (ملك قيس) فجعلوه في زنزانة إنفرادية .

قبل أن أعرف هذه الأنباء ظننتُ أنّ الأمر يتعلّق بي ، لأنّي المعتقل السياسي الوحيد الذي كانت عليه قضية كبيرة ، فكنتُ أقول لنفسي لعلّهم يريدون إعدامي ، لذلك قمتُ وأسبغتُ الوضوء وصلّيتُ ركعتين استعداداً للرحيل إلىٰ عالَم الآخرة .

ولكن في الساعة العاشرة ليلاً رأيتُ من ثُقْب زنزانتي يحملون شخصاً مغطّىٰ بلحاف فرموه في زنزانته وأقفلوا

عليه، ثم وَضَعَ الشرطي سريره عند باب الزنزانة ليراقب مَن يتصل به أو العكس .

فعلمتُ أنّ القضية هي اعتقال زعيم الانقلاب وجماعته وليس أكثر . ثمّ عرفتُ انّ أسلحته صودرتْ وكانت بالآلاف من البندقيات الروسية وعدد من المدافع والدبابات السوفياتية الصنع .

مضتْ ثمانية ليال حتىٰ فتحوا باب زنزانته وسمحوا له باللّقاء بمَن يريد مِن المسجونين ، ثمّ أحضروا ولجماعته أهمّ ما يحتاجونه من أثاث المنزل وسجّادات وفرش وحتىٰ المدفئة لأنّ الجوّ كان بارداً .

وأخذ كل واحد منهم علىٰ عاتقه دعوة جماعته علىٰ مائدة العشاء، فاشتغلتْ العزايم والمطابخ وافترشتْ الموائد في كل ليلة بأنواع الأطعمة .

وبما انّي كنتُ محترماً لدىٰ السجناء كانوا يقدّمون لي دعوة علىٰ كل مأدبة حتىٰ وصلني الدور فكانت عليّ دعوتُهم ، قلتُ لهم : أنا لا أرمي مالي في هذه الموائد التي لا تخلو من الاسراف والمزايدات التافهة ، ولكني بدلاً عن ذلك واحتراماً للضيوف أعطي ألف تومان ـ وهو مبلغ كبير في السجن في ذلك الوقت ـ لتوزيعه بين السجناء الفقراء من العوائل

المحرومة ، وهذا ما قمتُ به فعلاً . فتح لي هذا الموقف في قلب (ملك قيس) زعيم تلك الجماعة منزلة خاصة ، فقال في إحدىٰ مجالسه : انّ من بين جميع السجناء يمكنني القول بأنّ هذا السجّين هو بهلول العاقل ، والباقي بما فيهم أنا لسـنا إلّا مجانين .

تدريسٌ وحضانة .. تبليغ وانتشار

من بين جماعة (ملك قيس) زعيم الانقلاب الفاشل في افغانستان كان ستّ شباب جامعيين ، قد تخلّفوا عن دروسهم الجامعيّة بسبب احتجازهم في السجن ، فلكيلا يبقوا في السجن عاطلين جاءوا عندي وطلبوا أن أُدرّسهم الأدب العربي (النحو والصرف والبلاغة) .

فبدأتُ معهم الدروس ، ومضتْ أيام حتىٰ لاحظتُ علىٰ أحدهم شرود الذهن .. كلّما أشرح له الدرس لم يستوعبه بتاتاً. فقلتُ له : أنّك كنتَ وقّاد الذهن ، كيف أصبحتَ اليوم تشبه الثور ؟!

قال : ياسماحة الشيخ .. انّك لا تعلم ما في قلبي ، انّ الهموم والغموم التي استولت عليّ لو كانت تستولي علىٰ افلاطون لحوّلته إلىٰ ثور أَبْلَدَ مني !

قلتُ له : ما الخبر ؟ خيراً ان شاء الله .

قال : انّ زوجتي ماتتْ في سجن النساء وبقيتْ طفلتي «راضية» وحيدةً وعمرها سبعة أشهر ، ولا أحد من نسائنا في

السجن تتمكّن حضانتها والاهتمام برعايتها إذ كلّ واحدة منهنّ صاحبة أطفال ، لقد طلبتُ من مدير السجن أن أذهب ـ وبمرافقة شرطي ـ إلىٰ سجن النساء لأنقل طفلتي إلىٰ دور الحضانة فلم يقبل ، لذلك فأنا حيران شارد البال ، لا أدري ماذا أصنع ؟ لقد أصبح النهار في عيني ليلاً مظلماً ، وأنا الذي كنتُ في السابق أُدرّس غيري الرياضيات الصعبة وقواعد الجبر صرتُ الآن لا أتمكّن من ضرب عدد الستّة في عدد الثمانية !

قلت له : هل يقبل مسؤولو السجن أن ينقلوا الطفلة إلينا ؟

قال : لعلّهم يقبلون ، ولكني لا أستطيع حضانتها والاهتمام بحاجات طفلة رضيعة .

قلت : أُطلب الطفلة وسلّمها لي ، فإني وبمشيئة الله تعالىٰ سوف أُربّيها ولا أطلب منك أُجرةَ ذلك ، وما أطلبه منك هو أن تأخذها مني (١٥) دقيقة يومياً فقط أوقات الصلاة ، وهذا ليس بشكل دائم لأنّي أحياناً قبل وقت الصلاة أجعلها تنام .

وهكذا أتىٰ بالطفلة وربّيتُها من سبعة أشهر إلىٰ ثلاث سنوات ، بعدها شمل تلك الجماعة عفوُ الملك وخرجوا من السجن ، وأنا ودّعتُ الطفلة فذهبتْ معهم .

يقال انّ ساعة دخول هذه الجماعة وزعيمها (ملك قيس) إلىٰ مدينتهم احتشدتْ الجماهير هناك للاستقبال ، فألقىٰ

(ملك قيس) كلمة فيهم واستغرقتْ ثلاث ساعات يتحدّث لهم عن مشاهداته في السجن ، وذكر فيها قصّتي بإعجاب وإكبار ممّا جعلني معروفاً في أوساط اخوتنا السنّة في تلك المدينة وكان هذا طريقاً جيّداً لتبليغ وإنتشار قصتي في المدن الأخرىٰ .

الشطرنج والسيجارة

إثر قرار شاه محمود رئيس الوزراء بتوزيع السجناء السياسيين إلىٰ أنحاء افغانستان صَدَرَ قرارٌ بابعادي إلىٰ أي مكان اختاره من افغانستان للمعيشة تحت مراقبة الحكومة .

فسألوني أين تختار لمعيشتك المؤقتّة ؟

قلت : أي مدينة تختارونها لي .

فأرسلوني إلىٰ محافظة (مزار بلخ) وكان المحافظ رجلاً يبغض الشيعة ولا يتحمّل علماءهم ، لذلك كتب إلىٰ رئيس الشرطة ما يلي :

«ضَعْ الشيخ في السجن لمدّة شهرين حتىٰ تتعيّن له قطعةُ أرض بعيدة عن المدينة ليزرع فيها» .

فأخذوني إلىٰ رئيس الشرطة وإسمه (خواجه نعيم) وكان سابقاً رئيس شرطة العاصمة (كابل) وقد درس عندي فترة اعتقالي في سجن (كابل) .

فما أن رآني وفتح رسالة المحافظ إنهال عليه بالشتائم ثم أمر الشرطي أن يأخذني إلىٰ بيته ، وقال لي استرحْ في بيتي

حتىٰ أعود ، فأنا وزوجتي خادمان لك ، ولو أنّي من السنّة ولكنّي سيّد من ذرية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وزوجتي كذلك سيدة ، وأنا أحبّ أجدادي وأحبّ كل مَن يحبّهم ، وخاصة أنت الذي عرفتُك عالماً فاضلاً وعابداً زاهداً ومجاهداً ، ولك عليّ حق التعليم ، ففي (كابل) ما كنتُ أستطيع أن أُقدّم لك خدمة لأسباب قانونية مفروضة عليّ ، ولكنّي هنا يدي مفتوحة رغم انّ المحافظ يعاديني كثيراً ويفتش عن فرصة يوقعني في مهلكة ، ولكني آخذ حذري ولي معه معركة حامية ، فسوف أرفع عليه تقارير مرفقة بوثائق تُدينه في أخذ الرشاوي وممارسة الفساد الأخلاقي ومخالفات قانونية . لذلك فإني أطلب منك أنْ لا تقوم بأي عمل بعيد عن مشورتي لئلّا يستغلّه المحافظ لمآربه ضدّي . انّ كبار المسؤولين في البلاد من الملك والوزراء والمحافظين حمير فسقة ، وأملي من الله تعالىٰ أن يسرع في سقوطهم ، ولو كنتُ صاحب قرار في أفغانستان لجعلتُ الإذاعة بيدك لكي توعظ الناس وتفيدهم وتصنع من حمير هذا البلد بشراً !

مضتْ شهور علىٰ إقامتي عند رئيس الشرطة ، حتىٰ ذات صباح أراد أن يخرج من منزله أوّل الوقت لزيارة صديقه رئيس بلدية المدينة إذ كان قادماً من العاصمة (كابل) فطلب

مني أن أُرافقه لتغيير الجوّ. فوافقتُ علىٰ طلبه وخرجنا بعد أن اتصل بإدارة الشرطة انّه يتأخر نصف ساعة عن الدوام.

دخلنا علىٰ رئيس البلدية، فأخذا في أطراف الكلام وشرب الشاي، ثم قال له رئيس البلدية: ما رأيك أن نلعب (الشطرنج) ساعة؟

وافقه رئيس الشرطة فأحضَرَ طاولة الشطرنج وأخذا يغوصان في اللّعب من ساعة إلىٰ ساعات، انتهيا من الشوط الأوّل بربع ساعة قبل أذان الظهر وكانت الغلبة لرئيس الشرطة.. فكنت جانباً اسمعهما يقولان: لقد فاتنا وقت العمل، فلنتّصل بالإدارة لئلا ينتظرنا أحد. فاتصلا وقالا سوف نأتي بعد الظهر بساعتين.

وبعد الظهر لما أراد رئيس الشرطة أن يودّعه وطلب منه رئيس البلدية طلب منه أن يجلس للغداء، فجلسا وأكلا غدائهما بعد الصلاة، وأنا ذهبتُ إلىٰ مسجد مجاورٍ للصلاة ثمّ رجعتُ إليهما ولم آكل لأنّي كنتُ صائماً.

استأذن رئيس الشرطة أن يخرج إلىٰ العمل ولكن صاحبه قال: لقد غلبتَني في الشوط الأوّل ولا أسمح لك بالخروج قبل أن أغلبك في الشوط الثاني.

فبدءا يواصلان اللّعب حتىٰ الساعة الخامسة عصراً،

واتّصلا في الأثناء بالإدارة انّهما اليوم لا يأتيان للعمل، ثم قاما إلىٰ صلاة العصر.

وأعاد رئيس الشرطة محاولته للخروج، فَمَنَعَهُ صاحبُه بحجّة أنّ وجبة العشاء حاضرة، فوافقه وبقي، وأنا استأذنتُه للصلاة في المسجد، ولمّا رجعتُ وجدتُهما يستعدّان للأكل وأنا فطرتُ من تلك المائدة المتنوّعة الأطعمة بقطعةِ خبز وبيضتيْن مسلوقتيْن فقط. ثم أخذا يواصلان في لعب الشطرنج حتىٰ ساعتين بعد منتصف اللّيل، وأنا انتهزت الفرصة وذهبتُ في زاوية من الحجرة نمتُ لمدّة أربع ساعات كعادتي الثابتة، فلما جلستُ قبل الفجر للعبادة والتهجّد وجدتُهما لا زالا معتكفيْن علىٰ الشطرنج، بعد قليل انتهيا من اللعب فخرجتُ مع رئيس الشرطة في ذلك الوقت متجهين إلىٰ بيته، في أثناء الطريق قلتُ له ساخراً: لقد عجبني عزمُك، إذ قلتَ شيئاً وعملتَ شيئاً!

فقد قلتَ انّك تذهب إلىٰ لقاء رئيس البلدية لمدة نصف ساعة وتعود إلىٰ الادارة، ولكنك ذهبتَ صباح الأمس ورجعتَ الآن بعد ساعتين من منتصف اللّيل! ما أطول هذه النصف ساعة!!

ثم أضفتُ له: انّ صاحب هذا النوع من العزم لن يتوفّق في

حياته ولا ينال نجاحاً وتقدّماً يا أخي .

فَسَكَتَ ولم يردّ علىٰ كلامي خجلاً . فزِدْتُه قائلاً : أيّها الرئيس لقد أحسنتَ في حقّي إذ لم تُرسلْني إلىٰ السجن وجعلتَني ضيْفاً عندك في البيت ، وأنا مقابل إحسانك هذا أودّ أن أُحسن إليك بنصيحة مفيدة لك ، أنصحك أن لا تلعب الشطرنج ولا تمدّ يدك إلىٰ سيجارة، لأنّ هذيْن العمليْن متنافران مع طبيعة الإنسان ، ويؤديان به إلىٰ ضعف العقل والأعصاب وجلب الخسران ، علىٰ عكس الدعايات التي تُبثُّ لتسويقهما بين الناس . وهذا عيب كبير فيمن يريد الحفاظ علىٰ أمن المحافظة وإدارتها ، فإن لم تتجنّبهما فسوف لا تتقدّم في الحياة ، ولا تغلب مناوئيك .

لقد واعدَني أن يتجنبهما ، ولكنّه عملياً لم يتجنّب ولم يفِ بوعده. حتىٰ دخل شهر رمضان من نفس العام ، ففي ليلةٍ لعب الشطرنج حتىٰ الصباح دون أن ينام ساعة ، ثمّ صلّىٰ الصبح ونام ساعتين ثم ذهب إلىٰ عمله في مركز الشرطة وأعصابه متهاوية ، ولأنّه كان مُدْمِناً علىٰ التدخين ولم يستطع إشعال سيجارة بسبب الصيام أصبح مرهقاً في محلّ عمله غاية الإرهاق ، صادف ذلك اليوم أن جيء إليه بسارق ، فأخذ يَجْلِدَه لينتزع منه اعترافات حتىٰ فَقَدَ توازنه بسبب السهر مع

الشطرنج وعدم التدخين ، فأفرط في ضربه كثيراً حتىٰ مات الرجل تحت سياطه ، فعلم المحافظ الذي كان يتربّص له الدوائر ، فأعطىٰ لأمّ المقتول ثلاثة آلاف من النقد الأفغاني لتذهب إلىٰ العاصمة (كابل) وترفع شكوىٰ ضدّه ، فأخذوه إلىٰ سجن التوقيف والمحكمة ، وهناك قرّر أن يلتحق بركب المعارضة للحكومة ، ولكنّه إنكشف أمره فزاد في الطين بلّة إذ اعتقلوه وحُكِم عليه بالسجن لمدة (١٤) سنة ، وبعد إنقضاء هذه السنوات أصبح عاطلاً يدور في شوارع (كابل) وقد التقيتُه بعد فترة طويلة في أحد الشوارع علىٰ سبيل الصدفة فقلت له : ياحضرة الرئيس ! هل تأكدتْ لك صحة نظريّتي بأنّ (الشطرنج) و (السيجارة) عاملان لفشل الإنسان ، فلو لم تسهر مع الشطرنج لم تكن مرهقاً في ذلك اليوم ، ولو لم تدخّن السيجارة لما فقدتَ توازنك وضربتَ السارق إلىٰ حدّ الموت، ولو لم يمت تحت سياطك لما كنتَ تُعزَل عن منصبك ، ولو لم تُعزَل لما كنتَ تنفعل وتفكّر في الإنقلاب تفكيراً ارتجاليّاً فينكشف أمرك وتدخل السجن (١٤) عاماً وتذوق أنواع التعذيب ، وأخيراً لو لم تلعب الشطرنج وتدخّن لما كنتَ الآن تمشي عاطلاً باطلاً . بينما كان يمكن أن تكون وزيراً لو كنتَ عملتَ بنصيحتي .

فأقرّ علىٰ ما قلتُه له وقال : لقد كنتُ طوال هذه السنوات أُفكّر في نصائحك لي .. والآن صرتُ ملتزماً بها ، فلا أُدخّن ولا ألعب الشطرنج رغم انّ التزامي جاء متأخراً بعد تلك الخسائر، ولكنّي آمل أن يفيدني في أمر آخرتي .

ودّعته ولا أدري عنه الآن شيئاً ، أرجو أن لا يكون قد قُتِل في الحوادث الأخيرة في افغانستان .. فإنّه لم يكن إنساناً سيّئاً ساعة لقائي الأخير به .

أنا و أرض المنفىٰ

من محافظة (مزار بلخ) أبعدوني إلىٰ مدينة (خلم) التابعة لها ، وعيّنوا لي عشرة (جريب) أرضاً زراعية لأعمل فيها ، وتبعد عن المدينة (١٢) فرسخاً (٦٦ ـ كيلومتراً تقريباً) .

وحيث لم يكن عندي بيت فقد اسكنني احد الشيعة في منزله ، وكان ابناء الطائفة الشيعية في هذه المدينة يدعونني في كل ليلة عندهم ، فأصبح رئيس البلدية علىٰ مَفْرَق طريقيْن ، امّا يمنعني من اللقاء بالشيعة وكان يلزمه إعطائي بيتاً مستقلاً ، وهذا كان شيءٌ مُكْلِفٌ له ، وامّا يتركني بينهم ، فاختار الطريق الثاني ، ولكنّه عبر جواسيسه كان يحذّر الناس من اللقاء بي ، ويخوّفهم بأنّه إنسان سياسي خطير وراؤه مشاكل فلا تقربوه . ولكن أكثر الناس لم يديروا بالاً لكلام الجواسيس حولي .

فمثلاً (السيّد أفْضَل) وهو طبيب القرية وزوجته المؤمنة (وعمرهما كان تسعون سنة) جاءهما جاسوس يطالبهما بقطع العلاقة معي . فردّ عليه السيّد : ما أنت إلّا جاسوس حقير ، فلو يطالبني رئيس البلدية الذي أرسلك إليّ أو الذي فوقه لما

رأيتم مني تلبية حتىٰ لو أردتم أن تعدموني أو تسجنوني .

حقّاً لقد ودّني الناس هناك مودّة عظيمة حتىٰ الأُخوة السنّة ، حيث كنتُ أحضر صلاة الجمعة معهم ، وشاركتُ الناس سنّةً وشيعة في مجالس الأفراح والأتراح ، وكنتُ أذهب لعيادة مرضاهم ، واحتضن أطفالهم ، وأُعالج مرضاهم ، وأقضي حوائجهم ، حتىٰ أصبح رئيس البلدية قد تخلّىٰ عن بغضه لي وصار يدعوني إلىٰ بيته .

وإليك مثالين من سلوكياتي مع الناس :

المثال الأول : بعد شهر واحد علمتُ أن زوجة صاحب الدار الذي سكنتُ عنده لما تُوفّيتْ كان عمر طفلتها سبعة أيام، فاضطر الرجل أن يعطيها إلىٰ امرأة تقوم برعايتها مقابل خمسين من النقد الأفغاني شهرياً .

فقلتُ له أنا أقوم برعاية طفلتك وتربيتها من دون مقابل . فأعطاني طفلته فقمتُ بالرعاية الكاملة دون الأُمور الأُخرىٰ التي حوّلتُها إلىٰ عمّتها وهكذا إلىٰ أن أصبح عمرها سنتين ، إذ وقعتُ من سطح البيت فصرتُ طريح السرير في المستشفىٰ فترة غير قصيرة ، وكم تألّمتُ بعد خروجي من المستشفىٰ لما سمعتُ خبر وفاة الطفلة .. فبكيتُ لها شديداً وكتبتُ في رثائها رسالة عزاء الىٰ الأطفال مع أشعار جميلة أتمنّىٰ أن يوفّقني الله تعالىٰ لطباعتها .

المثال الثاني: ماتت امرأة وخلَفتْ ولداً في اليوم الرابع من عمره، وكان أبوه لا يتمكن من رعايته، فقرّر أن يهبه لعائلة فأخذتُه منه وربّيتُه حتىٰ بلغ عمره سنتين واسمه (قاسم)، وهذا ولمّا كبُر وصار عمره (١٨) سنة وأخذ شهادة المدرسة الثانوية (ديبلم) في الامتحان الوزاري فقد زارني في سجن (جلال آباد) الذي سيأتي الكلام عنه، وأهداني هناك مائة من النقد الأفغاني، ثم غاب عني حتىٰ قبل ثلاثة أعوام أعني سنة (١٤٠٨هـ تقريباً) إذ بعث لي ثلاثة آلاف تومان مع رسالة من المانيا، تبيّن انّه يدرس هناك قيادة الطائرة، وليس عندي خبر عنه الآن.

وأمّا الأرض الزراعية التي عيّنتْها لي الحكومة لأعمل فيها فكنتُ قد أجّرتُها للزرّاع، لأنّي لم أكن زارعاً. واسترجعتْها الحكومة بعد أن نفتْني إلىٰ منطقة (درّه كوه لقمان).

إدفَع باللّتي هي أَحْسَن

مدينة (درّه كوه لقمان) منفاي رقم ثلاثة ، ففي اليوم الأوّل من دخولي المدينة اجتمع إثنان من كبار علماء السنّة وأحد الاقطاعيين في مسجد الجامع واتّفقوا علىٰ كتابة رسالة إلىٰ المحافظ يطلبون إخراجي من المدينة قبل أن (أُفْسِدَ) الناس فيها !

ولكنّهم تردّدوا هل يرسلوها أم لا ؟

حيث قال بعضهم انّها قد تجلب لهم مشاكل مع الحكومة ما دامت هي التي اختارت هذه المدينة لنفي الشيخ ، ولكنّ الله تعالىٰ مهّد بحوادث أدّتْ إلىٰ تأليف قلوبهما معي ، وإليك التفصيل :

مرضتْ إبنة أحدهما ، وكانت ثيّباً ، فلما كنتُ معروفاً بين الناس بعلاج المرضىٰ طلب منّي أبوها أن أفحصها ، والحقيقة أنا لستُ طبيباً ولكنّي كنتُ أعرف أشياءً عن الطبّ عبر المطالعة والممارسة بالإضافة إلىٰ استعانتي من الطبيب السيد أفْضَل .. (الشيعي الذي كان صديقي في المدينة السابقة) .

فبالنظر إلىٰ كونها متزوجة سابقاً علمتُ من دون الفحص المباشر أنّ مرضها هو (اختناق الرحم) فقلتُ لوالدها : إنّ علاجها أنْ تتزوّج .

قال : مَن يتزوّج هذه المريضة ؟

قلتُ : عندك أربعون طالباً من الشباب العزّاب ، فإن لم تزوّجها فسوف تموت خلال عام إلىٰ عام ونصف ، خاف والداها فقالا : تصرّف كما تشاء .

فذهبتُ واخترتُ من بين طلبته أجملهم خَلْقاً وأحسنهم خُلْقاً وفي الوقت نفسه أفقرهم مالاً ، وكان الذي اخترتُه يدرس عندي ايضاً فسألته : لماذا أنت أعزب لم تتزوّج ؟

قال : مَن يعطي الفقراء ابنته ؟

قلت : تزوّج إبنة أُستاذك الحاج ملّا أمان الله .

قال : انّها إبنة (ملك) أين أنا منها !

قلت : فإن ترغب فيها فسوف أُدبّر لك الأمر ؟

قال : ماذا يريد الأعمىٰ من الله سوىٰ عينين !

وهكذا وفّقني الله وتمّ حفل الزفاف بعد خمسة أيام ، وقد حضر العرس ألفان من الناس وأكلوا جميعاً من وليمة الزواج .

وبعد مدّة قصيرة حملتْ المرأة وأصبحت بصحّة حسنة وصار أبوها فرحاً إلىٰ درجة أعلن في حضور طلبته ذات يوم : انّني

أشكر الله على أنّ عالماً مثل هذا الشيخ جاء إلىٰ مدينتنا ، فإذا توفّيتُ فهو يقوم بتعليمكم .

وأمّا العالم الآخر واسمه (ملّا نعيم شاه) فقد أُصيب بمرض (الحرقة) فلأنّ الأطباء قالوا انّه مرض مُعدِي هَجَرَهُ طلبته وأصحابه فأصبح جليس الدار ، وكانت معه زوجته وطفلتان ، واحدة عمرها سنتان والأُخرىٰ أربعة أشهر ، وزوجته لشدّة سترها لو كانت تموت جوعاً لم تخرج من بيتها إلىٰ السوق .

فلمّا علمتُ بهذا الأمر أخذتُ أخدم الملّا وعائلته أربعين يوماً ، بدءً من رعايته ومعالجته ومروراً بشراء حاجات المنزل وانتهاءً إلىٰ حضانة طفلتيْه ، وساعدني في توفير الدواء صديقي السيد أفضل ، ولمّا شوفي صار يحبّني إلىٰ حدّ كان يقول : أتمنّىٰ لو كانت عندي إبنة زوّجتُك إياها !

فرجع يدرّس طلبته وبعد انتهائه من الدرس جاؤا يقبّلون يده ، فقال لهم : لا تقبّلوا يدي ، إذهبوا وقبّلوا قَدَمَ الشيخ بهلول الذي أنقذ حياتي ، أنتم ياعديمي الغيرة قد هربتم وتركتموني وحيداً ، فقد اشترىٰ حياتي هذا الشيخ الشيعي واشترىٰ حياة عائلتي ، فلولاه لما كنتُ اليوم موجوداً لأدرّسكم .

وأمّا الرجل الثالث الذي كان ثرياً مِن الإقطاعيين ، فقد تعرّضتْ زوجة إبنه إلىٰ مخاض وعُسْر ولادة كادت أن تموت،

فذهبتُ إلىٰ طبيب شيعي اسمه الدكتور محمد كاظم في مستشفىٰ المدينة وطلبتُ منه أن لا يتردّد في أي عون لها. فنهض وجاء معي إلىٰ بيت الرجل وقمنا بالواجب الديني والإنساني حتىٰ أنجبتْ ولدها سالماً وأصبحتْ هي سالمة أيضاً، وصرتُ إلىٰ أربعين يوماً أزورهم وأُقدّم لهم خدماتي الإنسانية، بذلك كسبتُ الرجل فصار لي صديقاً حميماً.

وخلاصة الكلام انّ تغيير هؤلاء الرؤوس أدّىٰ إلىٰ تغيير أتباعهم، فاستبدلوا عداءهم معي إلىٰ إخاء ومحبّة حتىٰ عندما أرادت السلطة إبعادي من المدينة بعد أربع سنوات بكوا جميعاً وحزنوا بشدّة. وهذا هو قول ربّنا تعالىٰ:

﴿ ولا تستوي الحسنةُ ولا السيّئةُ إدفَعْ باللّتي هي أحسَن فإذا الذي بينَكَ وبينَه عداوةٌ كأنّهُ وليٌّ حميم وما يُلَقّاها إلّا الذينَ صَبَروا وما يُلَقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم وإمّا يَنزِغَنّكَ مِن الشيطان نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ انّه هو السّميعُ العَليم ﴾[1].

(١) سورة فصلت / ٣٤ - ٣٦.

فاعتبروا يا أُولي الأبصار..

في الفترة السابقة لمّا كنتُ في سجن (كابل) تعرّفتُ علىٰ سياسي من اخوتنا السنّة ، كان مديراً للمطبوعات في وزارة الخارجية الأفغانية في زمان الملك (أمان الله) ، وأصبح في زمان الملك (ظاهر شاه) معتقلاً سياسياً لمدة (١٤) عاماً .

جاءني هذا الرجل بعد الإفراج عنه وقال : يافضيلة الشيخ رغم أنّي سُنّي وأنت شيعي فانّي أُحبّك كثيراً لعلْمِك وأخلاقك . أُريد أن أنصحك بنصيحة ، فإنْ عملتَ بنصيحتي سعُدتَ في افغانستان وإلّا فسوف تُلاقي صعوبات وربما الموت!

قلتُ : هات ما عندك فإني أستمع إلىٰ القول فأتبع أحسنه ، وانّ العمل بنصيحتك أو عدم العمل بها أمر يعود إليّ .

فقال : أوّل ما دخلتَ البلاد خافتْ منك الحكومة الأفغانية إلىٰ درجة وضعتْك في زنزانة إنفرادية ، وبعد أربعة أعوام نقلتْك إلىٰ سجن الولاية إذ لم يصدر منك ما يزعجها . وبعد أربعة أعوام أُخرىٰ نقلتْك إلىٰ السجن العام ، لأنّك أثبتَّ حُسْنَ

السلوك ، وأعطتك إذناً بإلقاء دروس في السجن للمعتقلين وحتىٰ أصبحتَ إمام جماعة للمعتقلين الشيعة ، وبعد أربعة أعوام ثالثة حيث لم تر الحكومة منك عملاً يهدّد مصالحها أبعدتْك إلىٰ هذه المدينة ، والآن فانّك تختار مستقبلك بنفسك ، يمكنك أن تكون وفياً للملك فعسىٰ أن يَدخُل حبُّك في قلبه فيزوّجك ابنته وينصبك وزيراً ، ويمكنك أن ترتكب عملاً يقترن مع إعدامك أو إرجاعك إلىٰ سجنٍ أصعب مما قضيتَه في السنوات الماضية !!

قلتُ : في رأيك أيّ أعمالي كانت حَسَنة وأيّها كانت سيئة ؟

قال : كل ما فعلتَه هذه المدّة كان حَسَناً وموافقاً مع الدين والعقل ، ولكن الحكومة الأفغانية لا تحبّذ بعض أعمالك !

قلت : وما هي تلك الأعمال التي لا تحبّذها الحكومة ؟

قال :

١ ـ إنفاق ما عندك للفقراء ، وربما اقترضتَ وأعطيتَهم !

٢ ـ رعايتك للمرضىٰ !

٣ ـ حضانتك للإطفال !

٤ ـ تدريسك للطلبة من دون أُجرة !

ذلك لأنّ الحكومة التي لا تعتقد بالله لا تصدّق انّك تعمل هذه الأُمور قربة إلىٰ الله ، بل انّها تظنّ بأنّك تقوم بها لأجل

كسب الناس حتىٰ تدخل في منافسة الحكومة . وخاصة تدريسك وتربيتك للأفراد فهو بالإضافة إلىٰ انّه يبعث شكوكاً لدىٰ الحكومة فإنّه يجعل العلماء الذين يتقاضون أجوراً في التدريس يعادونك ، فأقلّ مايفعلونه بك هو تحريض الحكومة للوقوف بوجهك .

فإذا كنتَ تسمع نصيحتي فإني أقول لك : أُترك هذه الأعمال كلّها من هذه الساعة ، واعتكف للعبادة والصلاة والقرآن والدعاء بعيداً عن الناس . وبعد فترة من عزلتك تكون قد كسبتَ ثقة الحكومة وأبعدتَ عن نفسك شكوكها ، بعدئذ لعلّها تمنحك رئاسة دار المعلّمين في قسم الآداب ، فتصبح لك من الطلبة ما تشاء ، أو تجعلك رئيساً لدار المساكين ، فهنالك تساعد الفقراء قدر ما تُحبّ ، أو تصبح رئيساً لحضانات الأطفال فتعطف علىٰ أطفالٍ أكثر ، وربما صرتَ رئيس المستشفىٰ فتقدّم خدمات أفضل للمرضىٰ !

فالخلاصة انّ الحكومة ترىٰ فيك كفاءة عجيبة ولكنّها خائفة منك، فلابدّ لك من عملٍ تُطَمئِنَها به . فإذا اطمئنّت أنّك لا تهدف منافستها أعطتْك مناصب عالية تحت إشرافها . فغيِّر طريقتك واعمل بنصيحتي قبل الندامة !

قلت : ما هو الضمان لأن أكون حيّاً بعد تركي لأعمالي

الخيرية فترة من الزمن علىٰ أمل أن تمنحني الحكومة المناصب التي تقولها؟! بالطبع ليس عندك لي ضمان بالبقاء إلىٰ ذلك الوقت ، لأنّ الأعمار ليست بيدك إنّما هي بيد الله تعالىٰ . فلعلي غداً أو بعد شهرٍ أو شهرين أو بعد ستة أشهر أو بعد سنة أخذتْني المنيّة وحملتُ الأماني كلّها إلىٰ قبري !

إذن ليس من الصواب أن أترك العمل الصالح الذي يمكنني القيام به الآن علىٰ أمل شيء لا أدري هل أصل إليه في المستقبل أم لا ؟

فالخلاصة أنا لا أُغيّر طريقتي ، وسوف أُواصل فعل الخير ولا أخشىٰ مِن أي شيء لأنّي متوكّل علىٰ الله ومفوّض أمري إليه .

فكما تعرفني انا لستُ من المعارضة لحكومة أفغانستان ولكن الحكومة التي تمنعني من فعل الخير وتعاديني علىٰ هذا الأساس فإني لا أهابها ولن أخشىٰ ، فلتفعل ما تشاء ، أنا ما خشيتُ من رضا شاه البهلوي ، فمَن تكون الحكومة الأفغانية حتىٰ أخاف منها ، فإن كنتَ صديقي وتنصحني بإخلاص اتركني علىٰ حالي متوكّلاً علىٰ الله ، وان كنتَ جاسوساً للحكومة إذهب وأخبِرها بما سمعتَه منّي الآن !

قام الرجل وعينُه تدمع وهو يقول : ودّعتُك الله ، كُن علىٰ نواياك الخيّرة ، والله يحفظك .

وهنا أقول ربما كانت نصيحة الرجل صحيحة !

فلو كنتُ أعمل بها لما أرجعوني إلىٰ السجن مرّة أُخرىٰ ، ولعلّي أصبحتُ في رتبة عالية دنيوياً ، ولكن فكرتي كانت أصحّ ، لأني حينما رفضتُ نصيحته وكانت نيّتي خالصة لله رغم إرجاعي الىٰ السجن لمدة (١٤) سنة أُخرىٰ ، وتحمّلي الأذىٰ كثيراً من جديد فإنّ الله تعالىٰ زاد في عمري وتخلّصتُ من العيش في أجواء الحكومة الفاسدة ، فأنا الآن أشعر براحة وحرية ، بينما انتهتْ تلك الحكومات وانعدم رجالها الذين عادوني وآذوني .

وان كنتُ أعمل بنصيحته وأترك فعل الخير وأصل إلىٰ رئاسة بعض الدوائر الحكومية لعلّ عمري كانَ يصبح قصيراً ، فلم أتنعّم بما وعدوني من الدنيا ورئاسة المناصب ، لأنّ الأكل من هذه المصادر المشبوهة له أثرٌ وضعيٌّ خطير ، كما حصل لعالم شيعي نزل إلىٰ رغبة الحكومة فعُيِّن بعد مدّة سفيراً لها في سوريا ، فلما ركب الطائرة متجهاً إلىٰ دمشق اصطدمتْ الطائرة بجبل فسقطتْ واحترق كل مَن فيها وتحوّل العالِمُ إلىٰ رماد علىٰ الرياح ، (فاعتبروا ياأُولي الأبصار) .

أمورٌ سبقتْ زواجي

قلتُ في المواضيع الآنفة الذكر إنّ أهم عمل كنتُ أقوم به في محافظة (مزار بلخ) ومدينة (خلم) هو التدريس ومساعدة الفقراء ومعالجة المرضىٰ ورعاية الأطفال المحرومين. ولم تمنعني عن ذلك تهديدات الجواسيس ونصائح أصدقائي الذين لم يدركوا عمق أعمالي ولم يمتلكوا بُعد نظر في الحياة.

ففي شتاء العام الأوّل مِن سكني في المدينة إنتشر مرضٌ يسمّيه الأطباء (المحرقة) وهو مرض معديّ، فقمتُ برعاية ثمانين مريض من الفقراء وأنقذتُهم من الموت، وبسبب ذلك انتقل المرض إلىٰ جسمي فكافحتُه بنظام غذائي خاص كنتُ أتّبِعُه عملاً بحديث الإمام الرضا عليه السلام فشوفيتُ بعد (٢٣) يوماً ثم رجعتُ إلىٰ رعاية المرضىٰ وعلاجهم.

هذا المرض كان يقضي علىٰ الأشخاص الممتلئين أكثر من قضائه علىٰ ضعفاء البنية، ولذلك ساعدتْني بُنيتي الضعيفة علىٰ الشفاء أيضاً، والأكثر من ذلك أنّني لم أبتلِ بمرض الهذيان الذي يُصاب به سائر المرضىٰ. وقد تأثرتُ وحزنتُ

كثيراً بموت ثلاثةٍ من المرضىٰ أيام مَرَضي .

وقبل أن أنتقل إلىٰ القصة التالية ، فإني أذكر لك النظام الغذائي الوارد في حديث الإمام الرضا ﷺ وقد علّمه المأمون العباسي قائلاً :

«إذا كنتَ صائماً فليكن أكلُك من إفطار إلىٰ إفطار ، يعني في اليوم تأكل وجبةً واحدة ، والسحور تكتفي بشربة ماء فقط ، وفي غير شهر الصيام تأكل ثلاث وجبات خلال يومْين بالترتيب التَالي : تأكل أوّل الصباح ، وفي المساء ، ثم في اليوم الثاني تأكل في وقت الظهر فقط ، وهكذا في الأيام التالية تستمر علىٰ نفس الشاكلة» .

التزم المأمون بهذا النظام الغذائي فلم يمرض مدّة عشرين سنة ، وأنا التزمتُ به مدّة (٦٣) سنة ولم أمرض إلّا مرّات قليلة وبأمراض بسيطة لا تحتاج إلىٰ دواء ولا إلىٰ طبيب . (وفي المثل إسأل المجرّب ولا تسأل الطبيب) .

نعم .. في الأيام التي كنتُ فيها مشغولاً برعاية المرضىٰ رأيتُ عند خروجي من المنزل أوّل الصباح امرأةً بثياب خَرِقة مرقّعة ، سألتني : أين منزل الشيخ الايراني المُبعَد من سجن (كابل) ؟

قلتُ : ماذا تريدين منه ؟

قالت : سمِعتُ أنّه يعالج المرضىٰ الفقراء ، وأنا امرأة فقيرة وأُم لأربع بنات وولدٍ واحد . ولدي شابٌ فاسق دوّار في المقاهي لا يأتي البيت إلّا حينما يريد أن ينهب شيئاً لقماره . وأمّا زوجي فهو إنسان متديّن يعمل في مزرعة الزهور ليؤمّن قوتنا ، ولكنّه مرض قبل خمسة أيام وهو الآن مغمىً عليه في البيت ولا يمكنني وبناتي القيام بأي عمل له ، جئتُ لأخبر الشيخ لعلّه بالدعاء أو الدواء يتمكّن من معالجة زوجي .

قلت لها: أنا الشيخ ، تقدّمي لنذهب إلىٰ البيت وأرىٰ حال زوجك.

ولما جئته وشاهدتُ حاله قلتُ لها : إجلسي عنده ولا تعملي شيئاً سوىٰ طرد الذباب الذي يؤذيه ، وأنا أذهب لجلب ما أتمكّن به لعلاجه .

ذهبتُ وطرقت باب منزل (مير أكبر) الذي كان لاصقاً بالبيت ، وهو من أكبر الأغنياء الذين ساهموا ببعض أموالهم في علاج الفقراء.

قالوا : مَن الطارق ؟

قلت : ياالله ، ودخلتُ البيت علىٰ مَكْث ، فما أن رآني حتىٰ سَلَّمَ فأجبتُه .

قال : أهلاً وسهلاً بك ياشيخ فهذا الشاي والحليب والطعام

والفطور حاضر .

قلتُ بشيء من الوجه المكفهرّ : هذا الفطور لكَ ، لماذا لاتعرف حال جارك أيّها المسلم ؟!

قال : ياسماحة الشيخ لماذا أنت غاضب ، ما الخبر ؟

قلت : إلبس ثيابك وتعال معي لترىٰ ما الخبر ، مسكتُ يده وأحضرتُه علىٰ رأس جاره المريض وقلت له : هذا المريض وهذا أنت ، والباقي يرتبط بضميرك وإيمانك ، فأنت تَعْلَم المطلوب منك .

فنقل المريض إلىٰ داره وطلب له طبيباً واهتمّ بعلاجه حتىٰ شوفي الرجل وعاد إلىٰ عمله في المزرعة .

وبعد ستّة أشهر جاءت المرأة نفسها وهي تبكي .

قلتُ لها : ألم يُشفَ زوجك ؟

قالت : لقد شوفي ولكن هذه المرّة ولدي مصابٌ بذات المرض .

قلتُ : فليذهب إلىٰ النار ، أرجو أن يأخذه الله في أقرب فرصة فانّه إنسان فاسق !

قالت : لو كان يموت لكان في موته سروري ، ولكنّه لم يمُت ياشيخ ، فهو ثقيل علىٰ عاتقنا ولا يجوز لنا قتله ولا إخراجه من المنزل .

قلت : مهما يكن فإني لا أصرف وقتي لعلاج إنسان يلعب القمار ، إذهبي عنّي . فابتعدتْ قليلاً ، ولكنّي سمعتُ صوت بكائها ، فقلتُ في نفسي انّ الأولاد سواء كانوا فسقة أو مؤمنين أعزّاء علىٰ قلب الأمّ.

فناديتُها : لا تغتمّي فانّي أحْمِل همّ ولدك أيضاً . فقمتُ وذهبتُ معها فرأيتُ ولدها مصاباً بالحُمّىٰ يمكن علاجه بعدد من الأقراص . فاشتريتُ له (١٢) قرصاً ، وقلت لها : انّ مرض ولدك لا يحتاج إلىٰ طبيب ، فليبلع هذه الأقراص ثلاثة في اليوم صباحاً وظهراً ومساءاً ، وليحترز من أكل الفلفل والحمضيات (ما عدا الليمون وعصير البرتقال) وليتجنّب من (الخلّ) بشكل خاص . وهكذا شوفي ولدها بعد أيام قليلة .

مضتْ أشهر فجاءتْ مرّة ثالثة وقالت : لقد عالجتَ زوجي وولدي فإني أرجوك أن تعالج إبنتي ياشيخ .

فبعثتُ إلىٰ الطبيب ليذهب إلىٰ علاجها ويخبرني بالنتيجة ، ذهب الطبيب وفحصها ثم أخبرني أنّها مصابة بمرض السلّ وانّ علاجها يستغرق وقتاً طويلاً ، فإن تأذن لي أنقلها إلىٰ المستشفىٰ . فأذنتُ له ونقلها إلىٰ المستشفىٰ وبعد عشرين يوماً أخبرني الطبيب انّها شوفيت من مرض السل ولكنّها مصابة بمرض ناتج من تأخيرها في الزواج ، وإن لم تتزوّج

فليس هناك نفع لجهودنا ، انّها مصابة بنزيف الدم من الرحم ، فمن كلّ خمسة أيام لاترىٰ الدم الاّ يوماً واحداً ، وهـذا أمـر يؤدي بها إلىٰ الموت وليس لهذا المرض علاج غـير الزواج والحمل لكي يتوقّف الدم .

فأخبرتُ والديْها بالموضوع .. فبكيا وقالا :

انّها أفضل بناتنا ، ولقد تناوب ثـمانية أشـخاص يـطلبون يدها، ولكنّنا رفضنا طمعاً في الدنيا وانتظاراً للـزوج الثـريّ ، والآن مع هذه الحال مَن يتزوّجها ، لا أحد . فليس أمامنا إلّا أن نتركها لقضاء الله وقدره .

لقد تأثّرتُ ببكائهما وآلمني حالُ البنت ، وكنتُ يومئذ في الأربعين من عمري وأنا لم أتـزوّج ، والمـعروف انّ مـرض السل يسري إلىٰ مَن عمره أقل من خمسين سنة ، رغم ذلك كلّه قلتُ لهما إيثاراً : انّي أتزوّجها إن كنتما وهي راضون .

قالا : هي ونحن كلّنا خَدَمٌ لك وتحت أوامرك ، هذا فَخْرٌ لنا، وهي قالت لنا مرّات ومرّات إن كان لهذا الشـيخ امـرأة كـنتُ خادمةً لها فكيف إذا أصبحتْ زوجة له !

وهكذا بعد خمسة أيـام أصـبحتْ هـذه البـنت المـريضة زوجـتي وكـان اسـمها (شـيرين) وقـد ذهب عـنها مـرضُها وأصبحتْ حاملاً بخير وسلامة .

سبب النفي الثاني

لماذا نفتني الحكومة من مدينة (مزار) إلىٰ مدينة (لقمان) ؟
للإجابة علىٰ هذا السؤال ، بالإضافة لاستيعابك المواضيع السابقة ينبغي أن تقرأ ما يلي :

في مدينة (مزار) قبرٌ منسوب إلىٰ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

ولكني حسب التحقيق الذي قمتُ به حول حقيقة هذا القبر عبر ثقاة المؤمنين هناك فإنّ القبر هو لسيّدٍ علوي اسمه (علي) واسم أبيه (أبو طالب) وقد شهد عندي أشخاص من المعمَّرين أنّهم فترة تنظيف الحرم والضريح في سنوات قديمة رأوا مكتوباً علىٰ حجر القبر : «هذا قبر علي بن أبي طالب من آل علي بن أبي طالب عليه السلام» .

يُعتَقد أنّ هذا السيد كان من الذين خرجوا بقيادة زيد بن علي بن الحسين (السجّاد عليه السلام) وإبنه يحيىٰ بن زيد في الجهاد ضدّ بني أُميّة ، فهاجر من المناطق العربية إلىٰ بلاد العجم ، واعتُقِل في مدينة (مزار) وقُتِل ودُفِن فيها .

واليوم أصبح له حرم كحرم الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف ، فيه ضريح وقبّة وصحن كبير ، والناس يزورونه بكثرة .

والذي نشر فكرة أنّ هذا القبر قبر الإمام علي هو السلطان حسين الغزنوي ، حيث كان يريد بها أن ينصرف الناس في افغانستان عن الذهاب إلىٰ النجف الأشرف في العراق لزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام ، حيث كما يُنقَل في التاريخ انّ الطريق إلىٰ العراق كان غير آمن لكثرة السرّاق وقطّاع الطريق ، فمن المئة زائر يعود منهم ثلاثون شخصاً ، والباقي امّا يموت من البرد أو الحرّ الشديد أو يقُتَل علىٰ يد السرّاق .

ففكّر السلطان بتلك الفكرة كي يتوجّه الناس إلىٰ هذا المكان . ويقال أنّ السلطان حسين الغزنوي كان يُكرِم العلماء ويُحسِن السلوك مع الرعيّة ، ولقد ساهم في طبع كتب علماء عصره كالشيخ الجامي ، وملّا حسين الكاشفي صاحب (تفسير الحسيني) و (روضة الشهداء) و (أنوار سهيلي في شرح كليلة ودمنة) . وملّا سعد التفتازاني صاحب كتاب (المطوّل) ، وقد ذكروه في كتبهم بالخير .

والمتولّون علىٰ الحرم منذ ثلاثمائة عام إلىٰ مائة عام سابق كانوا مؤمنين صالحين ، وبهم أصبح هذا الحرم والمزار مكاناً

للعبادة والتهجّد آناء اللّيل والصلاة والقرآن والدعاء والتقرّب إلىٰ الله عزّوجلّ ، ولكن بعد وفاتهم تولّىٰ الحرم رجال فسقة .

فترة نفيي إلىٰ هذه المدينة كان متولّي الحرم واسمه (نورجان) مخزن كل العيوب والرذائل ، من الخيانة والنهب وشرب الخمر والزنا وحتىٰ اللواط لم يفته ! وكذلك كانت عائلته وأفراد أُسرته ، وكانت أُمّ زوجته تشبه أم زياد ابن أبيه !

رغم أنّ المرسوم الحكومي كان يقضي بمنع دخول النساء ليلاً في الحرم ، إلّا انّ هذا المتولّي الفاسق كان يأخذ رشوة من الداعرات ومالاً من أهل الهوىٰ ليقضوا معاً ليالي الحرام في حجر ذلك المكان المقدّس ، وهذه تجارة ما ورائها في الحرام من تجارة . ولقد جاهدتُ ضدّه في كل خطاباتي وأنشطتي وحرّضتُ الشيعة عليه وانضمّ معنا المؤمنون من اخوتنا السنّة فتحالف المتولّي الذي وجد نفسه أمام خطر مع الشيخ عبدالله وهو أحد العلماء الفسقة الملقَّب عند الناس بـ(عبيدالله بن زياد) فاجتمعوا مع أمثالهم وكتبوا عريضة إلىٰ الحكومة في (كابل) مضمونها :

«إنّ الشيخ بهلول الذي أحدث فساداً كبيراً في ايران وسبّب سفك دماء في مسجد (گوهر شاد) بذريعة المعارضة للسفور الإجباري ، يقوم الآن بذات الأعمال في مدينة (مزار) ضدّ

حكومة افـغانستان . حـيث يـمنع البـنات مـن الذهـاب إلىٰ المدارس الحكومية ويسبّ حالقي اللّحىٰ ولابسي القبّعات ، ويحرّم اللّعب بأوراق اليانصيب ، ويندّد بدور السينما ، ويرىٰ قانون الزواج الحكومي خلافاً للشريعة ، ولم يكتف بهذا بل انّه يسبّ الصحابة ، ويشبّه ملك افغانستان بهم !

فقد أقام فتنة ومشاكل بين الناس في هذه المدينة ، وإن لم تضع الحكومة حدّاً له فسوف يسبّب مجزرة أكبر ممّا سبّبها في مسجد (گوهر شاد) بإيران» !

حينما وصلتْ هذه العريضة إلىٰ العاصمة (كابل) كان العقيد داود شاه ـ الذي أصبح فيما بعد رئيساً للـجمهورية ـ وزيـراً للداخلية .

العقيد داود شاه رغم انّه كان أنظف من الملك محمد ظاهر شاه وعائلته الشبيهة بعائلة البـهلوي فـي ايـران ، إلّا انّـه كـان متعصّباً ضدّ الشيعة أكثر من غيره ، ولو كان يتمكّن من شرب دم الإنسان الشيعي لما تردّد ، ومِن فضْل الله عليّ أنّي في فترة رئاسته للجمهورية لم أكـن فـي افـغانستان ، ولو كـنتُ لمـا خرجتُ منها حيّاً !

هذا العقيد لمّا قرأ العريضة قال : بهلول الذي كان معتقلاً في (كابل) ، بأمْرِ مَن نُقل إلىٰ مدينة مزار ؟

قالوا : انّ العقيد شاه محمود خان عمّك رئيس الوزراء الجديد أطلق سراحه من السجن وأبعده إلىٰ هناك .

قال : إنّ عمّي ظَلَمَ عقلَه في هذا القرار . انّ بهلول يجب أن لا يبقىٰ في مدينة يسكنها ألفا عائلة شيعية ، بل يجب أن يكون معتقلاً دائماً . وعلىٰ فرضِ إطلاق سراحه يجب أن لا يُبعَد إلىٰ مدن شيعية ، انّه نارٌ تحت رماد ، ولقد قلتُ لعمّي الكبير العقيد محمد هاشم خان قبل سبع سنوات انّ هذه النار يجب إخمادها ، ولكنّه غفل عنها مع الأسف .

وهكذا أصدر أمراً إلىٰ رئيس شرطة مدينة (مزار) للقبض عليّ ، وإرسالي إلىٰ العاصمة (كابل) . ومنها أبعدوني إلىٰ أطراف مدينة (لقمان) في المحافظة الشرقية ، حيث لا أحد من الشيعة هناك .

حوادث الطريق إلىٰ المنفىٰ

في الساعة الثامنة ليلاً، كنتُ وزوجتي التي مضتْ علىٰ حملها خمسة أشهر مدعوّانِ في منزل إبنة خالتها إذ طُرِق الباب وكان شرطي وراءه يقول: انّ رئيس الشرطة يريدك الآن. فلما ذهبتُ أبلغني بقرار النفي والانتقال.

علمتُ أنّ طريقاً صعباً انفتح أمامي من جديد، وكان من عادتي أن أهيّىء نفسي للحوادث الأصعب كي تهون عليّ الحوادث الأقل صعوبة.

فعندما رجعنا إلىٰ المنزل أخبرتُ زوجتي بالأمر، وقلتُ لها ربما أُعدَم أو أُسجَن سجناً مؤبّداً. وأنتِ مخيَّرة بين ثلاثة أُمور:

١ ـ إن تريدي الطلاق، طلّقتُكِ كما طلّقتُ زوجتي الإيرانية في خطورة حوادث الجهاد ومهمة التحريض علىٰ الشاه رضا خان البهلوي.

٢ ـ أن تَبقي مع والديك ريثما يتبيّن مصيري.

٣ ـ إذا تحبّي مرافقتي إلىٰ (كابل)، من ناحيتي لا مانع لديّ.

فقالت: انّ زوجتك الإيرانية التي اختارت الطلاق فقد

إختارتْ لنفسها . وأنا لا أُعاتبها لأنّي أعرف حبّك لها . وأمّا أنا فلا أطلب الطلاق ولا العودة إلىٰ بيت أبي وأُمّي . إنّما أُرافقك وأُدافع عنك إلىٰ حيث أستطيع ، كما دافعتْ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عن الإمام علي عليه السلام وكما وقفتْ إبنتها زينب (عليها السلام) مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام وان لم تأخذني معك فسوف ألتحق بك ماشيةً أو راكبة حتىٰ أعلم ما يحدث لك . وانّ سعادتي هي في أن أُضحّي بنفسي في طَريقك .

قالتْ هذا ثم قامتْ تودّع أباها وأُمّها وأُختها وتستعد للسفر معي .

طلب منها رئيس الشرطة أن تبقىٰ عند أهلها وقال لها : انّه لايكون لكِ زوجاً ، فمصيره الإعدام أو السجن المؤبَّد !

فردّتْ عليه : انّكَ لا زلتَ طفلاً ، تريد أن تعلّمني الطريق .

فذهب رئيس الشرطة يقنع أباها بصدّها عن الإلتحاق بي .

فقال أبوها : انّها تحت قيادة زوجها ، فهي تحبّه إلىٰ درجة إن منعتُها ردّتْ عليّ بما ردّتْ عليك .

فتقدّم رئيس الشرطة نحوي وقال : إقنعها بعدم الإلتحاق بك ، انّها حامل والطريق جبليٌ وَعِر ، فإنها تطيعك إن أمرتَها بعدم المجيء .

قلت : أنا أجزتُ لها أن تبقىٰ ولكنّي لا أُجيز لنفسي أن أجبرها علىٰ شيء ، فربما إذا بقتْ تموت عليّ غصّةً وبكاءاً ، وأنت تعرف أنّها كانت مصابة بمرض السلّ والآن رغم تحسّنها فانّها تحمل الأرضية لعودة المرض وانّ من أهم أسباب عودة هذا المرض هو التوتر والقلق النفسي .

فسكت الرجل ثم أحضروا سيارة صغيرة ركبتُ أنا وزوجتي وأُختها الصغيرة (٧ سنوات) وشرطيّان ومعاون الرئيس .

والسبب في مجيء أُختها الصغيرة كيلا تكون زوجتي تتألّم في الغربة وكان ذلك بإقتراح من أبيها وأُمّها .

انطلقتْ بنا السيارة بكل سرعة ممكنة رغم الطريق الوعر والمخاطر الجبلية ، ومن دون مراعات لزوجتي الحامل ولم يحترم السائق طلبي له بتقليل السرعة ، كان معاون الرئيس وقحاً للغاية وشرساً في تعامله ضدّ الشيعة ، فلم يكن بيدي غير الإمساك بزوجتي لأدفع عنها أكثر الضرر من تلك المطبّات ، ومع ذلك فقد نزفتْ دماءاً وكاد يسقط جنينها ، ولكن بفضل الله والأدوية التي جلبتُها معي سيطرتُ علىٰ النزيف ولم يسقط الجنين حتىٰ وصلنا إلىٰ العاصمة (كابل) خلال يوم وليلة .

فأخبروا وزير الداخلية (داود خان) بوصولنا فأمر بإرسالنا فوراً إلىٰ مدينة (جلال آباد) وهكذا بعد ستّ ساعات وجدنا أنفسنا فيها .

وكان المحافظ (عبدالله خان) من الأخوة السنة المسالمين مع الشيعة لعلاقته الطويلة بهم عندما كان يسمح لزوّار كربلاء العبور إلىٰ باكستان ، وان كان ذلك نظراً للهدايا التي كانوا يجلبون له لدىٰ العودة، فقد كانوا يقدّمون له الزيت والفواكه والملابس الفاخرة .

فلمّا رآني بين يديْه رحّب بي وسألني عن حالي وقال :

ياسماحة الشيخ لماذا لا تكفّ عن الكلام الذي يؤدّي إلىٰ نفيك . ألم تعرف أنّ في هذا البلاد لا أحد يشتري منك كلام الحقّ ، ما يعنيك أفعال المتولّي في حرم المزار الذي يتاجر بالفاحشة في أعراض الشيعة . فلماذا عارضتَه وجلبتَ لنفسك المشاكل . ألم تكفيك (١٢) سنة في سجن (كابل) ، أنا أُحبّك وأعرف سوابقك وكلامي معك نابع من هذا الإحساس .

والآن أنا مجبور حسب الأمر أن أرسلك منطقة جميلة رغم أنّ أهلها سيّؤو التصرّف ، ولكنّي قدر الإمكان أسعىٰ أن لاتتضرّر منهم . ولا تقلق فان الحياة لاتبقىٰ هكذا دائماً ، فإنّ مع العسر يسراً .

قال هذا الكلام لي ولزوجتي ثم أرسلنا إلىٰ مدينة (لقمان) التابعة له إدارياً ، وهكذا أصبحنا بعد يوم واقفيْن بين يدي رئيس البلدية في هذه المدينة واسمه (محمد عثمان خان) وكان متكبراً مغروراً يبغض الشيعة ، فاستهزأ بي أمام الحاضرين بكل وقاحة قائلاً : أنت المُبعَد إلينا من مدينة (مزار) ؟

قلت : نعم .

فقال : انّ الله يعلم نواياك الخبيثة ضدّ الحكومة وما كنتَ تريد القيام به في هذه البلاد ! .

قلت : انّ الله يعلم النوايا عند كل إنسان ويجزيهم عليها في الدنيا والآخرة ، ونحن راضون برضا الله .

فتقدّمتْ زوجتي التي كانت واقفة خلفي وهتفتْ في وجهه قائلة : (عثمان خان) ، إعرف نفسك ولا تتجاوز عن حدّك ولا تفتخر بقشرة قبّعتك ، ليس من حقّك أن تهين زوجي ، مئة شخص مثلك يجب أن يكونوا خَدَماً له ، انّ زوجي يعرفه جميع أهل الإسلام .

فردّ عليها : إنّكِ امرأة ولا يجوز لكِ التدخّل بين كلام الرجال ، أُسكُتي .

قالت : أجل أنا امرأة ، ولو كنتُ رجلاً لضربتُك علىٰ قمّة

رأسك وجعلتُ مخّك منثوراً على أنفك أيها الحمار الأحمق.
مَن أنت وبأي حق تستهزء بعالم شيعي كبير.

وهنا لكي أقطع الطريق على تطورات غير محمودة العواقب، قلتُ لزوجتي: نعم الحقّ مع رئيس البلدية، لا يحقّ للمرأة أن تتكلّم!

قالت: لماذا أسكتُ ولا أُدافع عني وعنك، هو الذي بدأ وأنا من واجبي الدفاع، عليه أن ينفّذ ما أمروه ولا يأتي بشيء من نفسه، أنت مظلوم وتتكلّم بهدوء ولا تردّ على هؤلاء الكلاب، المحافظ الذي أعلى منه منصباً يقبّل يدك وهذا الطفل يهينك ؟!

بهذا الكلام عَلِمَ رئيس البلدية أني ذو مكانة عند المحافظ فاعتدل في مجلسه وقال بأدب: ليس بيني وبينكم عداء ولا أُريد النزاع معكما، كانت كلمة وانتهتْ، الآن آمُرُ أن يحضروا لكما طعاماً وبعد ذلك سوف ينقلونكما إلى المكان المقرّر.

فقالت له زوجتي: نحن لا نحتاج إلى طعامك النجس الحرام. أرْسِلْنا إلى المكان المقرّر، ولا نريد رؤية وجهك!

فجاؤا بسيارة وأخذونا إلى أطراف المدينة في منطقة تسمّى (لقمان) وكانت تبعد عنها ثمان فراسخ ـ (٦٤) كيلومتراً تقريباً ـ.

إقامة سعيدة ولكنّها ...

كان مسؤول منطقة (لقمان) رجلاً واعياً من الأُخوة السنّة واسمه (حافظ رمضان)، كان حافظاً للقرآن ويصلّي الليل ويحترم كل عالم حتىٰ علماء اليهود والنصارىٰ والأديان الأُخرىٰ، إذ كان يعتقد للعلم في حدّ ذاته قيمة ويقول العلم ميراث الأنبياء وكل مَن يحمله فهو جدير بالاحترام.

فلما أدخلوني عليه أخبروه أنّي من علماء الشيعة رحّب بي واحترمني كثيراً، وبعد أن علم أنّي حافظ للقرآن ومجاهد ضدّ رضا شاه البهلوي في قضيّة السفور ونزع الحجاب بالإكراه عن النساء المسلمات وانّي لاجيء إلىٰ افغانستان وكنت (١٢) سنة في السجن ومنفياً إلىٰ مدينة (مزار) لفترة وأخيراً بسبب موقفي مع متولّي الحرم نُفيتُ إلىٰ منطقته قد زاد في احترامه لي وقال: أنت ضيف عندي مادمتَ في هذه المنطقة، نحن الرجال نأكل مع بعضنا والنساء مع بعضهن، وسوف أفرغ لك حجرة في بيتي تسكن فيها مع زوجتك.

ولكني رفضتُ ذلك قائلاً انّ الاختلاط العائلي قد يسبّب

نفوراً بين النساء في المستقبل ، وهذا يؤثّر علىٰ صداقتنا سلباً ، وأنا لا أُريد أن أُفرّط بك كصديق حميم .

وافقني علىٰ هذا الرأي فرتّب لي حجرة في قرية قريبة إلىٰ داره تبعد عنها (ربع كيلومتراً) .

وكان رئيس هذه القرية البالغ من العمر ثمانين سنة مأموراً لمراقبتي من ناحية ، والنظر في حوائجي من ناحية ثانية ، ولم يكن متعصباً في القضايا الطائفية بل كان حَسَن التصرّف مع الجميع وكانت لديه زوجة و (١٦) ولداً ، ستّة من زوجته الفعلية وعشرة من زوجته المتوفاة .

وكانتَ زوجته طيّبة للغاية ، فقد أحسنتْ التعامل مع زوجتي وأصبحتْ بينهما صداقة وثيقة ، وأمّا زوجة حافظ رمضان فقد كانت اسبوعياً تزورنا مع بناتها مرّة أو مرتين ، وأحياناً كنا نزورهم بدعوتهم لنا .

وحافظ رمضان هذا الإنسان المحترم كان أيضاً يزورني أوقات فراغه وكان يحدّثني ضدّ رضا شاه البهلوي وبعض رجال الحكومة الافغانية السالكين علىٰ ذات الخط المنحرف . وكان يقول عن أعضاء الحكومة الأفغانية انّهم سرّاق غاصبون للسلطة ، ونحن أيضاً سرّاق مجتمعون حولهم !

والغريب في هذا الرجل هو انه حينما كنتُ أقرأ له أشعاراً

عن مصائب الإمام الحسين والإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء وبقية الأئمة الطاهرين من عترة النبي الأمين محمّد ﷺ كان يبكي أكثر من بعض الشيعة.

وذات مرّة ذكرتُ له بالمناسبة ما جرىٰ بيني وبين زوجتي مع رئيس البلدية (محمد عثمان خان).

فقال: ياسماحة الشيخ أنت لا تعرف هذا الشخص، أنا أعرفه جيداً. فقد اغتصب رجلٌ باكستاني أمّه وهرب بها إلىٰ باكستان، وكان أبوه يبحث عنها فحصل عليها بعد أربع سنوات ومعها (محمد عثمان هذا) وعمره سنتان! فهو ولد زنا، وكان منذ صباه يلبس ملابس البنات ويرقص في الأعراس وكان يُلاط به، وقد رفعتْه المدارس الحديثة للحكومة إلىٰ هذا المنصب، وصرنا نحن مجبورين للسلام علىٰ مثل هؤلاء السفلة وتعظيمهم، فأنا حينما أذهب إليه في أمر إداري يذوب نصف لحمي، وفي الأكثر أُحاول إنجاز الأمر عبر مساعديه لأتجنّب رؤيته. انّه بذيء اللّسان مع الجميع ولكنّه يخاف منّي فيحفظ لسانه عند الكلام معي، لأنّه يعلم جيّداً أنّ والدي المرحوم رئيس قبيلة كبيرة علىٰ الحدود مع باكستان، وكان تحت امرته (١٥) الف مقاتل مسلح، فلم يخضع للحكومة الأفغانية ولا الباكستانية، ولازالت عشيرتنا هناك.

وأخيراً .. لقد عشتُ ثلاثة أشهر مع هـذا الرجـل الطـيّب وكانت إقامتنا هناك سعيدة ولكن لو لم يتغير منصبه ويُنقَل من تلك المنطقة لكنّا سعداء طول الأيام الباقية ، فقد جيء برئيس بلدية آخر اسمه (محمد افضل) كان شاباً شيوعياً ولا يعرف احتراماً لأهل الدين ولاقيمة لأهل العلم ، فهو وان لم تصدر منه إساءة لكنّه لم يُحسِن ولم يقدّم لي أيّة خدمة ، ممّا أدّىٰ إلىٰ موت الجنين في بطن زوجتي لعدم وجـود الطـبيب والدواء والغذاء المطلوب ، وبعد سقوط الجنين بعشرين يوماً ماتت زوجتي وسيأتي تفصيل هذه الحادثة الأليمة .

الإخلاص للرزّاق الواحد

إمام جماعة تلك القرية كان يدرس عندي ، قال لي ذات مرّة إنّ مقامك العلمي لا نقاش فيه ، ولكن حبّذا من الناحية العبادية راعيتَ نظرة الناس ، لأنّهم لا يستحسنون خروجك من المسجد قبل طلوع الشمس ، فلو جلستَ مصلّياً وتالياً للقرآن حتىٰ طلوع الشمس كان الناس أكثر اعتقاداً فيك ، ولأعطوك من أموال الزكاة والخيرات ما يملئ خزانتك !

قلت : أنا عصيتُ ربّي كثيراً ، ولكنّي لم أشرك به ، فالذي تقوله رياء والرياء شِرْك ، أنا غير مستعد لعبادةٍ من أجل كسب الناس !

فسكت الرجل ، وبعد وفاة زوجتي جائني قائلاً : إنّك رفضتَ نصيحتي تلك والآن أنصحك بشيء آخر .

قلت : تفضّل .

فقال : انّ في قريتنا مَزارع ذات فواكه متنوعة وكثيرة ، وأنت إنسان معروف لا يمتنع أصحاب المزارع إذا أخذتَ من فواكهم شيئاً . خاصة انّ زوجتك المرحومة كانت خدومة

لنساء القرية وما رأىٰ أحد منها إلّا خيراً . فلماذا تشتري فواكه وأنت يمكنك الحصول عليها من دون مقابل ؟!

قلت : هذه النصيحة كالسابقة مرفوضة عندي لأنّي (إنسان أحبّ الإعتماد علىٰ نفسي ولا أنظر إلىٰ ما بأيدي الناس ، فإن كان عندي ثمنُ الذي أرغب في شرائه اشتريتُه وإن لم يكن عندي الثمن فهو الرزّاق الكريم) .

هذا الكلام بيني وبين الرجل السنّي (إمام الجماعة) سمعه صاحب الدكّان الذي كنّا واقفيْن بالقرب منه .

فلما ذهب الرجل دنا منّي صاحب الدكّان وقال : لقد سمعتُ كلامك مع إمام جماعتنا ، عجبتْني همّتُك العالية وعلمتُ فقرك وقناعتك ، فما دمتَ لا تأخذ شيئاً من دون مقابل فإني أطلب منك أن تأخذ كل حاجاتك منّي علىٰ الحساب ، تسدّد لي عند الاستطاعة .

قبلتُ اقتراح الرجل فصرتُ أشتري منه اذا كان لديّ مال ، ولما لم يكن عندي اشتريتُ منه علىٰ الحساب إلىٰ حين اليسر.

فذات مرّة كنتُ أتحاسب مع صاحب الدكان وكانت الديون بلغت (٦٠٨) من النقد الأفغاني ، وكان شخصٌ جالساً في المحل أيضاً وأنا لا أعرفه ، فكان قد سأله بعد ذهابي : مَن هذا

الرجل الذي تثق فيه وتعطيه حاجاته ديْناً إلىٰ هذا المبلغ الكبير؟

فقال له صاحب الدكان : شيخ اسمه بُهلول ، مُبعَد من مدينة (مزار شريف) ، أصله ايراني ، كان قائد ثورة في مدينة (مشهد) ضد الشاه رضا خان البهلوي ، وقضىٰ بعد لجوئه إلىٰ افغانستان (١٢) سنة في سجن (كابل) ولقد ماتت زوجته قبل أشهر والآن يعيش وحيداً .

فأعطىٰ الرجل إلىٰ صاحب الدكان ألفاً من النقد الأفغاني وقال له : خُذ من هذا ديون الشيخ والباقي منه إحسْب له ما يأخذه منك وأعطِه كل ما يحتاج ، فإني سأواصل تسديد ديونه باستمرار .

وبينما كنت في المسجد جالساً بعد صلاة الظهر ، وكان الناس يخرجون جلس عندي ذلك الشخص وسلّم قائلاً : أنا شيعي قادم من (كابل) للبحث عنك ، أشكر الله تعالىٰ حيث رأيتك ، اني أعمل سائق شاحنة أنقل القمح بين (كابل) وهذه القرية ، فبين كل شهر أو شهرين آتي إلىٰ هنا ، وإلىٰ يوم إقامتك فيها سوف أكون دائم السؤال عنك والتفقّد لحالك وسوف لن تحتاج إلىٰ أحد غيري ، فلا تفكّر في مؤونتك ومصاريفك .

ومن الجدير بالذكر انّ أهم سببٍ لوفاة طفلتي في بطن أُمّها ووفاتها من بعدها بعشرين يوماً هو فقرنا ، وقد كانت تسألني المرحومة : انّ طفلنا سوف يصل قريباً وليس عندنا له ملابس ؟!

فكنت أقول : إنّ ملابس أطفال الجيران الذين كبروا سنطلبها منهم.

إلّا أنّ زوجتي تألّمت من هذه الحالة ولكن كان عليها أن تصبر وكانت صابرة بالفعل .

ومرّة قبل الولادة بعشرة أيام كانت جيوبنا خالية من أقلّ النقود . فقالت : إذا وُلِدَ الطفل الآن ونحن ليس بيدنا مال ، ماذا يكون الحلّ ؟

قلت لها : لا تقلقي فإنّ الله كريم .

وبعده بيوم واحد وصلنا (١٢٠) من النقد الأفغاني من صديق لي في مدينة (قندهار) ففرحتْ زوجتي ، وكانت جارتنا زوجة رجل فقير حاملاً أيضاً وفي أيامها الأخيرة . قلتُ لزوجتي : ما دام ربُّنا قد أكرم علينا بهذا المال .. فمن الشكر لله تعالىٰ أن تُعطي هذه الجارة نصف هذا المبلغ ، إلّا أنّ زوجتي وبسبب الحاجة الماسّة إلىٰ شراء حاجيات متعدّدة امتنعتْ من العمل بإقتراحي . واني لأخشىٰ أنّ هذا الإمتناع كان سبباً في

وفاتها ووفاة طفلتها بينما بقيت الجارة وطفلتها على قيد الحياة. ولكنّي بعد ذلك أعطيتها (أي الجارة) مئةً من خمسمائة من النقد الأفغاني التي كان قد منحني وزير الصحّة لتكاليف دفن زوجتي وكنتُ أحمل طفلتها أحياناً كثيرة وأحسبها كطفلتي التي ودّعتْ الحياة قبل أن تفتح عينها على صعوبتها .

شريكة حياتي وساعة ما أصعبها ؟!

كانت زوجتي ذات أخلاق حسنة وعطف وحنان بالِغيْن ، وخلال أشهر من إقامتنا في منطقة (لقمان) كسبتْ محبّة أهل المنطقة ، وبالإضافة إلىٰ نساء القرية كانت نساء القرىٰ المجاورة يأتين إليها لحُسْن سلوكها وأخلاقها ، وكُنّ يستغربن كيف وافق أهلها في زواجها معي ، وكُنّ يقُلن لها أنّ أباكِ لم يجِد لكِ شاباً تتزوّجينه فأعطاكِ لهذا الشيخ المعمَّر الفقير ؟!

فكانت تقول لهنّ : لا تنظروا إلىٰ شكله ، فأنا لا أليق أن أكون له إلّا خادمة . إنّ أبي كان يفتخر لخدمته !

فلمّا يسألنها : كيف ؟

كانت تتحدّث لهن عن تاريخي وسلوكي ومواقفي وأفكاري ، هكذا أصبحتْ زوجتي تؤثّر علىٰ أهل تلك المنطقة والقرىٰ ، مما جعل رئيس البلدية الجديد (محمد أفضل ـ الشيوعي) يحذّر الناس من التقرّب إليّ . ولكن الواعين منهم لم يذعنوا لتحذيراته ، وأمّا الجبناء فكانوا يبتعدون بالطبع .

وبعد شهر واحد حان موعد زوجتي لتضع حملها ، فرغم مساعدة ثلاثٍ من النساء (الجارات) إلّا انّـها بسبب ضعفها الصحي وأمراضها السابقة ومشاكل الطريق وعدم وجود طبيب متخصّص ولا دواء قد تألّمتْ لمدّة ثلاثة أيام ألماً شديداً الىٰ أن وضعتْ المولودة ميتة ، ثم انتقلت إلىٰ رحمة الله بعد عشرين يوماً من الصبر علىٰ تلك الآلام العسيرة .

لستُ بصدد أن أنقل عواطفها النبيلة التي جسّدتها لي في كلمات آخر العمر ولكن أنقل شذرات من تلك الكلمات التي أبكتْني بشدّة، إذ قلتُ لها : انّي آسف علىٰ ما حصلتْ لكِ ياعزيزتي ، لقد كنتُ أُريد إسعادكِ ولم أقصد إبعادكِ عن أبيك وأُمّك لتموتِ غريبة في هذه البقعة من الصحراء الجبلية .

قالت : لقد حصلتَ أنت علىٰ ما نويتَه من زواجي معك وهو إنقاذ حياتي ، ولكنّي أنا لم أحصل علىٰ كامل ما نويتُه في هذا الزواج ، اذ عندما كنتُ في السابعة من عمري سمعتُ عن ثورتك في ايران ضدّ (رضا شاه) والمجزرة التي صنعها في مسجد (گوهر شاد) ، وتمنّيتُ آنذاك لو كنتُ في صفّ المجاهدين وأنال درجة الشهادة .

ولمّا جئتَ طالباً يدي للزواج غمرني السرور وقلتُ لنفسي لعلّ جهاداً آخر قد وفّقني اللّه له فأكون شاهدةً معك وشهيدة

في طريقك، والآن أنا سعيدة بأني بلغتُ أُمنيّتي وهي جزء من نيتي وأعْلَمُ أنّ ثوابي ليس أقلّ من ثواب شهداء مسجد (گوهر شاد) في مشهد المقدسة ، وإني أُريدك أن تحسبني في عداد أُولئك الشهداء ، فلما تدعو لهم لا تنساني من الدعاء أيضاً ، ولقد كنتُ طالبة من الله عزّوجلّ أن يرزقني موتاً وأنا مظلومة ، ولقد استجاب لي ، وأنت لا تقلق من بعدي فإنّ هناك فتيات كثيرات يفتخرن الزواج معك إن كنتَ راغباً .

هنا تدهورتْ حالتها وبينما كانت تبكي وتتألم وتلعن الظالمين طلبتْ مني أن أقرء لها سورة (ياسين) و (الصافّات) ، وحينما وصلتُ في تلاوتي إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ألم يَرَوْكم أهلَكْنا قبلَهم مِن القرونِ أَنّهم إليهِم لا يَرْجِعون . وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ لديْنا مُحْضَرون ﴾[1] قالت بصوت ضعيف : لو كان الظالمون يؤمنون بهذه الآية لما فعلوا بنا هذا الظلم .

ولمّا ختمتُ لها هاتيْن السورتيْن طلبتْ منّي أن أقرء دعاء (العديلة) وبعد قراءتي لهذا الدعاء وبينما تغيّرتْ عينُها من وضعها الطبيعي اخذتْ تقول «شكراً لله الذي وفّقني وفديتُك بنفسي»

(١) سورة ياسين / ٣١ ـ ٣٢.

فَقبّلتْني وفاضتْ روحُها إلىٰ الرفيق الأعلىٰ. تلك كانت من أصعب الساعات علىٰ قلبي. ولكنّي هدئتُ بسرعة لأنّي تذكرتُها بأنّها في جنّات النعيم وأنا في عذاب الدنيا فهنيئاً لها وصبراً لي.

غسلتُها وكفّنتُها ودفنتُها بمساعدة امرأة مؤمنة، ثم رأيتُ بعيني كيف استجاب الله دعاء هذه المرأة المظلومة فأنزل الله لعنَته علىٰ أُولئك الظَلمة عندما حدث انقلاب (الترَكي) في افغانستان وأعدمهم جميعاً.

مع الناس في قضاء حوائجهم

بعد وفاة زوجتي بخمسة أيام كنتُ خارجاً ذات مرّة من المسجد وإذا بي أسمع صوت بكاء طفل، فهرعتُ إثر الصوت حتىٰ رأيتُ طفلاً مربوطاً في جهة من سريره ورأسه معلّق خارج السرير فأنقذتُه من الموت المحتوم ولما جاءت أمّه، قلتُ لها: لماذا تغفلين عن الطفل، فلو كنتُ أتأخّر عليه دقيقة لكان ميتاً.

قالت: ماذا نصنع، لابدّ لنا من الذهاب إلىٰ المزرعة لقطف المحاصيل والثمار لنبيعها ونعيش بثمنها، فنترك الطفل في سريره متوكلين علىٰ الله.

خرجتُ وفي تلك الليلة بعد الصلاة في المسجد أعلنتُ للملأ أنّ زوجتي قد انتقلتْ إلىٰ رحمة الله، فأنا مستعدّ لحضانة أطفال النساء اللّواتي يخرجن إلىٰ المزارع.

صرتُ ملتزماً بهذا العمل الخيري التطوّعي فترة، حتىٰ ذات يوم جاءت امرأة وقدّمت لي طفلها وكنتُ مرهقاً ونعساناً في تلك الساعة، فاعتذرتُ لها وقلتُ أُريد الآن أن أذهب لأنام.

فأخذتْ طفلها ، وذهبتُ أنا إلىٰ النوم فما وضعتُ رأسي وغلبني النوم حتىٰ فزعتُ بضربةِ نَخْلٍ . علمتُ انّ ذلك تنبيهٌ لي من الغيْب كيلا أردّ حوائج الناس . لذلك قمتُ فوراً وأسرعتُ أبحث عن تلك المرأة ، فوصلتُ إليها في الطريق وأخذتُ منها طفلها ، وذهبتْ هي إلىٰ المزرعة .

إيّاكَ والإهانة

ذكرتُ سابقاً أنّ أُخت زوجتي وكان عمرها (سبع سنوات) قد جاءت معنا ، وبقيتْ عندي بعد وفاة زوجتي مدّةً حتىٰ أتتْ أُمّها وأخذتْها ، ذات ليلة قالت لي هذه الطفلة أُريد آكل لحماً . ولكن لم يكن عندنا سوىٰ الخبز اليابس .

قلتُ لها : عزيزتي كلي هذا الخبز واصبري إلىٰ اليوم التالي ، ولكنّها أصرّت انّها لا تستطيع أكل هذا الخبز اليابس ، فاضطررتُ لأن أذهب إلىٰ رئيس بلدية القرية أطلب منه مرقة لحم لها ، وعندما دخلتُ عليه وذكرتُ له طلبها تعصّب ونهرني قائلاً : اذهب إلىٰ مسؤول المطبخ فلماذا تأتي عندي !

تألّمتُ مِن إهانته ، فلم أذهب إلىٰ مسؤول المطبخ ، رجعتُ إلىٰ غرفتي وقلتُ للطفلة : ليس بيدي حلّ سوىٰ أن تكتفي بأكل الخبز اليابس أو تنامي علىٰ الجوع لعلّ الله غداً يرزقنا شيئاً غيره .

نامتْ الطفلة المسكينة ، وفي أوّل الصباح جاء أحد الجيران بحليب بقر طازج فأكلنا الخبز اليابس مع الحليب وكان طعاماً لذيذاً .

وفي الساعة الثامنة صباحاً جاء إتصال من المحافظ الىٰ رئيس البلدية يأمره أن يهيء مقدمات الضيافة والخدمات اللّازمة له ولمرافقيه القادمين إلىٰ المنطقة لإستطلاع آراء الناس فيها حول الانتخابات (البرلمانية) للمجلس الوطني الافغاني .

ولمّا حضر المحافظ والوفد المرافق إلىٰ مبنىٰ البلدية سأل من رئيس البلدية : أين الشيخ بُهلول ، أُريده يحضر معنا .

فبعث رئيس البلدية مَن يخبرني بالحضور ، فلمّا دخلتُ علىٰ المحافظ رحّبَ بي ترحيباً حارّاً وقرّبني إليه وعزّاني في وفاة زوجتي ، ثم قرأ القاضي بهذه المناسبة بعض آيات من القرآن الكريم، واعتذر لي المحافظ علىٰ التقصير ثم أخبرني عن الهدف من مجيئه ، وقال : كثيراً كنتُ أسمع عنك ، وهو ما جعلني شديد الشوق لرؤيتك وكذلك أعضاء الوفد المرافق كانوا يحبّون اللقاء بك ، وانّي أطلب منك أن تكون في مجالسي علىٰ يميني خلال جولتي التي تستغرق اسبوعاً واحداً في هذه المنطقة ، وتكون معي علىٰ جميع الموائد صباحاً وظهراً وعشاءاً .

قلت : انّ أكلي في اليوم وجبة أو وجبتان ولا آكل كثيراً ، وأنا في أكثر الأيام صائم ، والفرق بين أكلي وأكلك كالفرق بين

أكل القط وأكل الحصان ، أنا آكل لبناً وفواكه وأنت تأكل الرُزّ مع اللّحم ! فالأفضل أن تُعذرْني من مرافقتك !

قال المحافظ : حضورك معي في المجالس مهم ويمكنك أن لا تأكل اللحم ، بل كُل من اللبن والفواكه ، والوجبة التي لا تأكل بسبب الصوم أو ما أشبه أُجلس جانباً . انّني أُريد أن أسمع إلىٰ توجيهاتك النافعة وليس الهدف مجرد الأكل .

فوافقتُ علىٰ ذلك ، فصرتُ علىٰ الموائد جالساً بجانبه والطفلة المسكينة (أُخت زوجتي المرحومة) كانت تجلس بيني وبينه ، فهي تأكل اللحم والدجاج والأطعمة اللذيذة وأنا علىٰ التزامي بأكلي الخاص ، وهو اللبن (الرائب) والفواكه . وامّا رئيس البلدية الذي كان قد أهانني وأوجع قلبي في تلك الليلة فقد أصبح في هذه المجالس خادماً للضيوف ، بيده الإبريق يسكب منه الماء علىٰ أيدينا وعلىٰ يد الطفلة قبل الأكل وبعده !

الجنّة ممنوعة حتىٰ وصول البراءة !

بعد ثلاثة أشهر من وفاة زوجتي المظلومة كنتُ ذات ساعة أتذكّر معاناتها ، فبكيتُ وطلبتُ من الله تعالىٰ أن يُرِيَني حالها في البرزخ هل هي من أهل الجنّة ؟

نمتُ ورأيتُ شخصاً جاء وأخبرني بأنّ زوجتك تنتظرك في خارج الحجرة . خرجتُ وإذا بها جالسة وعليها عباءة خضراء اللّون تسرّ الناظرين . تذكرتُ حينها بأنّها ميتة فكيف أراها الآن وهي في الحياة ؟!

سلّمتُ عليها وسألتها : لقد مُتِّ وقُمْنا بدفنِك ، كيف رجعتِ إلىٰ الحياة ؟ قالت : أنا قادمة من الجنّة الآن لأنّكَ طلبتَني ، بالإضافة إلىٰ أنّ لي منك حاجة !

قلتُ : بأيّة وسيلة جئتِ إلىٰ هنا ؟

قالت : مع تلك الطائرة الصغيرة البيضاء .

فنظرتُ إلىٰ الساحة الأمامية فرأيتُ طائرة صغيرة بيضاء اللّون .

فقلت لها : ما أجمل طائرتكِ ؟

قالت : انّها ليستْ شيئاً يُذكَر قياساً لطائرات أهـل الجـنّة ، فإني لما أُقْرِنها بتلك الطـائرات أخـجل مـمّا عـندي ، فـانّها طائرات ليس في الدنيا مثلها .

قلتُ : حسناً خبّريني عن حاجتك ؟

قالت : حينما حـوسبتُ بـعد مـوتي لم يكـن لديّ عـمل يوجب عذابي سوىٰ غيبة الناس ، إذ كنتُ أستمع للغيبة فـي المجالس وأحياناً أُشارك المغتابين بكلام فيه غيبة ولربما كان بعضه دفاعاً عن أبي أو أُمّي وفي الفترة الأخيرة من حياتي كان دفاعاً عنك . بهذا السبب صدر حكم بـحشري مـع الأرواح العاصية لأبقىٰ معها في العذاب إلىٰ يوم القيامة ، وفجأة سمعتُ نداءً يقول : بما أنّ أعمال هذه المرأة كانت صالحة كلّها ما عدا اغتيابها للناس ، وبما أنّها تحمّلتْ في الدنيا أذىٰ كثيراً ، فـلا تُحشِروها مع تلك الأرواح ، بل خذوها إلىٰ أرواح المؤمنين لترتاح هناك ، ولكن خذوا منها تعهّداً بأن تجلب رضا الذين اغتابتهم .

وهكـذا نـقلوني إلىٰ حـديقة كـبيرة وفـيها آلاف الأرواح المؤمنة والطيبة وقالوا لي من هذه الساعة إلىٰ يوم القيامة عندك فرصة لجلب رضىٰ الذين اغتبتيهم في الدنيا . فـإن حـصلتِ علىٰ رضاهم فإنّكِ تدخلي الجنّة يوم القيامة . وان لم تحصلي

علىٰ رضاهم فانّ لكِ محاكمة طويلة في ذلك اليوم ، وربما تدخلي النار لمدّة معينة .

والآن رجائي منك ياشيخ أنْ تطلب لي العفو من أهالي مدينتي (مزار بلخ) الذين تلتقيهم ، ولمّا خرجتَ من سجن النفي إذهب إلىٰ المدينة وأطلب منهم العفو لي واحداً واحداً ، ليبرؤا ذمّتي ، فما عدا هذا ليس عندي معك حاجة واني أستودعك الله ، إذ لابدّ لي من الإسراع في العودة ، لقد انتهتْ الرخصة .

هذا ورغم أنّي لم أتوفّق للذهاب إلىٰ مدينتها (مزار بلخ) حيث نقلتني الحكومة إلىٰ سجن (كابل) ، إلّا أنّني أبلغتُ أهالي مدينتها بالموضوع ودعوتُ لها كثيراً .

(١٤) سنة ، في سجن آخر

بعد ستّة أشهر من وفاة زوجتي في قرية (لقمان) تغيّر رئيس القرية الذي كان يحترمني ويودّني ، فنُصِبَ مكانه شاب كان يخشىٰ هروبي ، فلكي يخلّص نفسه من المسؤولية وتبعاتها كاتَبَ المحافظ بمشورة مع رئيس البلدية ما مضمونه:

«انّ الشيخ بهلول الايراني ، بعد وفاة زوجته إذ أصبح وحيداً نخشىٰ أن يهرب إلىٰ الباكستان (لأنّ الحدود قريبة) لذلك نقترح التفكير في نقله من هنا !» .

سبق أن ذكرتُ أنّ المحافظ كان إنساناً واعياً ومؤيداً للعلماء وذا علاقة طيّبة بالشيعة في افغانستان ، فهو بمجرد ما وصلتْه الرسالة فكّر أن يقدم اقتراحاً للعقيد (عَلَم خان) رئيس الاستخبارات وشرطة افغانستان في العاصمة (كابل) وكان وكيل وزير الداخلية أيضاً بنقلي إلىٰ العاصمة (كابل) ومَنْحي وظيفة التدريس في (دار العلوم العربية) للاستفادة من طاقتي بشكل رسمي وطبيعي ، وإعطائي حياة اعتيادية وقانونية بعد سنوات طويلة من السجن والعناء .

فأرسل رسالة تحمل هذا الاقتراح ، نقلوني علىٰ اثرها إلىٰ (كابل) وسلّموني بيدِ العقيد ، وكان إنساناً متنوّراً كالمحافظ ، وكان ممّن دَرَس عندي قبل سنوات في سجن (كابل) الكبير حينما كان مسؤولاً عن السجناء فيه . فاحتضنني وعزّاني في وفاة زوجتي وقال انّه مسرور بلقائي . واستضافني في بيته حتىٰ يتمّ القرار الحكومي بشأني. قضيتُ أربعة أشهر في بيته (ضيفاً) وكانت أياماً سعيدة حيث تعرّفتُ خلالها علىٰ الناس في (كابل) .

في هذا الوقت كان داود شاه (الملعون) مستقيلاً عن وزارة الداخلية ليسعىٰ في الوصول إلىٰ رئاسة الوزراء . فلما عَلِم بحُسْن ضيافة (محمد عَلَم خان) زاد حقدُه عليّ ، وحيث لم يكن ذو منصب رسمي آنذاك كي يُصدِر أمراً في حقّي إتصل بالملك (محمد ظاهر شاه) وقال له : انّ (محمد عَلَم خان) رجل خائن متحالف مع الشيعة، فهو قد استضاف الشيخ بُهلول في بيته ، يزوره رجال البلاد يومياً فيخطب فيهم بما يهدّد وجودنا ويخرّب علاقتنا مع الحكومة الإيرانية . أنا الآن ليست بيدي سلطة رسمية ، لذلك أطلب من جلالة الملك أن يُصدر أوامره اللازمة لدفع هذا الخطر الكبير !

فاتّصل الملك هاتفياً بـ(محمد عَلَم خان) قائلاً : لماذا نقلتَ

بُهلول إلىٰ (كابل)؟ أرسلْه فوراً إلىٰ سجن (جلال آباد المركزي) حتىٰ إشعار آخر.

فاضطر (محمد عَلَم خان) أن ينفّذ الأمر، وهكذا أصبحتُ معتقلاً في سجن (جلال آباد) مدّة (١٤) سنة أُخرىٰ!

ذلك من فَتحِ الله

في الليلة الأُولىٰ جاءني مدير السجن في زنزانتي وقال : انّك خلال اليوم الواحد لا يحقّ لك الخروج إلّا مرّة واحدة إلىٰ دورة المياه .

قلت له : مرّة واحدة تكفيني ولستُ بحاجة إلىٰ أكثر !

وكان غرضه من هذا التهديد والمضايقة أنْ أدفع له رشوة ليسمح لي بالخروج أكثر من مرّة ، ولكنّه فشل .

وبعد ساعتين جاءني (باشي السجن) وهو رجل معتمَد عند المدير يقوم له بعمل الواسطة في كلّ الأمور ، وله بعض الصلاحيات أيضاً كتغيير الحُجَر للسجناء ، أو التخفيف عليهم في العمل ، وما أشبه ذلك ، وهو يستلم (رشاوي) مقابل كل خدمة .

فقال لي : هل تعرفني ؟

قلت : لا .

قال : أنا ذلك المسافر الذي جئتُك في مدينة (مزار) حينما كنتَ في بيت (خواجه نعيم خان) رئيس الشرطة فطلبتُ منك

مساعدة فأعطيتَني مئة من النقد الأفغاني . أنا لا أنسىٰ إحسانك، انّني كنتُ حينذاك جندياً لا أملك شيئاً والآن انتهت مدّة جنديّتي واشتغل هنا . وقد رجعتُ بالمال الذي أعطيتَني إلىٰ وطني وتزوّجتُ . ثم حدثتْ لي قضية فحُكِم عليّ بالسجن لمدّة (١٢) سنة ، مضتْ عليّ في السجن ثلاث سنوات وبقيتْ تسع . والآن أعملُ واسطات في السجن مقابل (شيء !!) من هذا وذاك والجميع هنا راضونْ عنّي !

وبالفعل هكذا وجدتُه خلال عشرة أعوام قضيتُها معه في ذلك السجن .

والخلاصة انّه قال لي : لماذا في هذا الجو الحار تجلس في الغرفة ولم تخرج إلىٰ ساحة السجن في الهواء الطلق ؟

قلت : انّ مدير السجن منعني من الخروج إلّا مرّة واحدة في اليوم وذلك فقط إلىٰ دورة المياه لإسباغ الوضوء .

فَشَتَمَ مديرَ السجن وقال لا يحقّ له ذلك .

قلت : لا تشتم ، فهذا يجلب لي ولك ضرراً .

قال : مَن هو هذا الحقير ، أنا أشتم مَن هو أكبر منه ، انّه يومياً يرتشي مني خمسين إلىٰ مئة من النقد الأفغاني ، انّه مقابل خدمتي هذه لايستطيع أن يردّ لي طلباً ، تعال معي إلىٰ الساحة.

فما وصلنا إلىٰ الساحة حتىٰ رآني مدير السجن الذي كان

جالساً عند الحوض يستمع للمذياع .. فنهض وتقدّم نحوي معترضاً : ياشيخ لماذا خرجتَ ؟

فقال له صاحبي : أيها المدير تكلّم بأدب إنّك لا تعرف هذا الشيخ ... فأخذ يتكلّم له عنّي ، حتىٰ صافحني مدير السجن وقال : تفضّل إجلس عندي لنسمع أخبار المذياع .

ثم تكلّمنا ساعة . وقال : أنا أحبّ العلماء وما كنتُ أعرفُك . والآن حيث عرفتُك فأنا خادم لك . صحيح انّني لا أستطيع إطلاق سراحك ولكن يمكنني رفع الأعمال الشاقّة عنك في السجن ، فخُذ كامل حريتك وتكلّم مع مَن تشاء مِن السجناء وفي الأوقات الخالية سوف أُجالسك بنفسي .

وذات يوم .. كنتُ نائماً حيث طرق المحافظ حجرتي في السجن وكانت الساعة العاشرة صباحاً .. وبعد السؤال عن الأحوال والتأسف لما حصل لي في العودة إلىٰ السجن قال : لقد كنتُ مع رئيس الشرطة ومدير الاستخبارات (العقيد محمد عَلَم خان) قد خطّطنا لمستقبل حياتك وإنقاذك من السجون والمنافي ، ولكن الملعون (داود خان) باتصاله مع الملك أفشل خطّتنا ، ولكنّي أُوصي مدير السجن أن لايمنعك مما تحتاجه . ويمكنك في هذا السجن أيضاً أن تقوم بإلقاء دروسك التربوية علىٰ السجناء كما كنتَ في سجن (كابل)

الكبير ، وإنّي أرجوك أن تواصل في هذا العمل البنّاء وتُخرِج المعتقلين من ظلام الجهل .

قال المحافظ كلامه هذا وودّعني .

والباشي بعد هذا اللقاء قال لمدير السجن : ألم أقُل لك البارحة أنّ هذا الشيخ ذو مكانة ومحبوبية حتىٰ عند كبار المسؤولين ؟

ولو لم أُخبرك بهذا الأمر وكنتَ تسيء التعامل معه لكنتَ الآن معزولاً عن منصبك .

وهكذا أصبحتُ في هذا السجن محترماً ومسموع النصيحة ، وذلك فتح آخر من فتوحات الله .

محاولتان فاشلتان لإغتيالي

لقد تمكّنتُ من جمع تلاميذ يتراوح عددهم بين الثلاثين والأربعين من السجناء أنفسهم ، وكان يحضر دروسي بعض شخصيات مدينة (جلال آباد) بإجازة من المحافظ ومدير السجن ، وكان بعض الناس يبعث أولاده إلىٰ السجن وقت إلقائي للدروس .

وقد أثار هذا الأمر أحقاد بعض المتعصّبين ، فخطّطوا للقضاء عليّ، وذلك عبر بقّال السجن الذي كنتُ أشتري منه اللّبن الرائب كل يوم ، والبقّال واحد من السجناء أيضاً ، فقالوا له أن يدسّ السّم في اللّبن ويستلم منهم عشرين ألف من النقد الأفغاني .

فذات يوم حينما جئتُ لأشتري منه اللّبن قال لي : انّه أعدّ لي لبناً أفضل ممّا يبيعه للآخرين ، سوف تأكله وتَدْعو لي ياشيخ !

أخذتُ اللّبن وذهبتُ فأكلتُه مع خبزٍ حتىٰ آخره ، بل ولقد لحستُ الإناء أيضاً من شدّة الجوع !!

ولم تكن إلّا دقيقة تقريباً حتىٰ تقيّئتُ ذلك كلّه وأُصبتُ

بإسهالٍ شديد .

أراد تلاميذي أن يهجموا علىٰ الدكّان وصاحبه ويحطّموا كل شيء أمامهم . ولكنّني منعتُهم وقلتُ : لا يبدو انّه المسبِّب ، فلربما أنا مصاب بالوباء الذي كان شائعاً في تلك المنطقة !

حضر الطبيب وبعد تحليل اللبن المستفرَغ ثبت انّه كان مخلوطاً مع سمّ الفئران .

طلب منّي مدير السجن أن أرفعَ علىٰ البقّال شكوىٰ لمعاقبته . ولكنّي قلتُ : انّ أئمتنا : لم يعلّمونا ذلك ، فالإمام الحسن عليه‌السلام دُسّ إليه السم سبع مرّات ولكنّه لم يأمر بمعاقبة المسبِّبين . وعلىٰ فرض انّي رفعتُ شكوىٰ ، ماذا يمكنكم فعله ، فأنا لم أمُتْ بعد لكي تقتلوه، وحتىٰ لو متُّ فإنّ القوانين الاوروبية المطبَّقة في بلاد المسلمين اليوم ليست قرآنية لكي يُعدَم القاتل ، وأنا أيضاً ليس عندي وارثٌ يطالب بالقصاص من بعدي . فغاية الأمر تضاف سنوات علىٰ مدّة سجنه الإحدىٰ عشر عاماً ، وإطالة مدّة سجنه تلحق ضرراً بزوجته وأطفاله ، وهذا شيء لا أرتضيه .

ولكن مسؤولي السجن استغلّوا القضية فأخذوا منه مالاً كيلا يرفعوا عليه قضية ، وهو بدوره طالَبَ الذين دفعوه للجريمة أن يفوا بذلك المال ، ولكنّهم رفضوا بحجّة أنّك فشلتَ في القضاء علىٰ (الشيخ الكافر) !

وكانت النتيجة أن مات البقّال بمرض السل بعد أن تألّم منه مدّة عامين وصرف كل ما جمعه من مال علىٰ علاجه ولم ينفع، وصرتُ أنا أبعث من السجن إلىٰ زوجته وأطفاله الأربع الفقراء مالاً وخبزاً وألبسة .

ومحاولة أُخرىٰ لاغتيالي ، إذ جيء في السجن بمعتقل ارتكب قتلاً ، وهو بطل مصارعة افغانستان ، وكان عليه السجن لمدّة سبع سنوات تخفيفاً من المَلِك نظراً إلىٰ مكانته في عالَم الرياضة .

كان هذا البطل (البهلوان) ذو جسم قويّ ، طويل القامة ، ورأسه كبير يشبه رأس الـ(كوسج) !

فبعد فشل المحاولة الأُولىٰ ، قال أُولئك المتعصّبون لهذا الرجل : إضرب الشيخ برأسك ضربة يموت فيها ، فإنّنا بعد ذلك نمنحك مالاً كثيراً .

وهكذا جاءت فرصته ليجرّب محاولته ، في ذلك اليوم كان خارجاً من (دورة المياه) وكنتُ أنا داخلاً فتلاقيْنا في الممر ، رأيتُه اتجّه نحوي فشعرتُ منه شرّاً ، حاولتُ التخلّص بشكل أو بآخر ولكنّه مسكني وضرب برأسه رأسي فانفلق رأسي وسقطتُ علىٰ الأرض ، وطرح نفسه جانباً ليتظاهر لِمَن يأتي ويرىٰ بأنّ تصادماً حصل ، وانّه مصاب أيضاً ولا ذنب له . إلّا انّه سرعان ما انكشف أمرُه، وأنا كالسابق عفوتُ عنه .

والنتيجة أنّي شُفيتُ وهو بعد أربعة أشهر مات بمرض الحُصْبة ، ورغم أنّي ذهبتُ لعيادته وقدّمتُ له قصارىٰ جهدي لعلاجه ، لكنّه رفض أن يلتزم بنصائحي وأدويتي فمات والتحق إلىٰ حيث ذهب الأعمىٰ الموصلي الذي ضَرَبَ بعصاه المسموم قَدَمَ الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام .

الظالم والمرتشي إلىٰ أين ؟

كان في السجن بعضُ (الحُجَر) تُعطىٰ للسجناء الذين لا خوف عليهم من الفرار أو لأسباب تعود إلىٰ مكانتهم الإجتماعية أو السياسية .

لقد كانت إحدىٰ هذه الحُجَر من نصيبي ، بصفتي شخصية سياسية معروفة ومعتقل قديم في افغانستان ولأني ضيف فيها!!

بعد أربع سنوات من اعتقالي في هذا السجن تغيّر رئيسه وجيء بشخص يُدعىٰ (علي أحمد خان يغماني) ، وكان كبير أهل زمانه في الإرتشاء !!

ففي الأيام الأُولىٰ من تنصيبه في رئاسة السجن الذي كان يحوي علىٰ ثلاثمائة معتقل .. أخذ يتجوّل في تلك الحُجر ويطلب من كل معتقل فيها دفع مائة تومان شهرياً ، حتىٰ وصل عندي وقال : هل هذه حجرتك ؟

قلت : نعم .

قال : انّ الإقامة في هذه الحجرة لها قوانينها ، فهل أنت موافق مع القوانين ؟

وكان مقصوده من القوانين دفع ذلك المبلغ له شخصياً ، وقد عرفتُ ماذا يريد ، لذلك قلتُ له : انّ القوانين التي تتكلّم عنها إذا كنتُ ساكناً في الحجرة بأمرك ، ولكنّي قبل مجيئك كنتُ هنا .

قال : إن لم تلتزم بقوانيني فسأخرجك منها إلىٰ الصالة العامة للسجناء .

قلت : إعمل ما بدىٰ لك .

ذهب وهو يترقّب الفرصة المناسبة لإيذائي والإنتقام منّي . وبعد شهرين جاءت الفرصة التي تصوّرها مناسبة ، إذ حدث فرار من إحدىٰ تلك الحُجَر ، حيث نقب منها أربعٌ من السجناء تحت الأرض إلىٰ خارج السجن ، ولكنهم حين الفرار اُلقي عليهم القبض . فرفع رئيس السجن تقريراً إلىٰ رئيس الشرطة وأشرك إسمي في قائمة الذين حاولوا الفرار ! قائلاً : بما انّ الشيخ شيعي فقد خانه الفارّون !

جاء رئيس الشرطة في منتصف الليل وطرق باب حجرتي وأخذ في التحقيق معي ، ولكني أنكرتُ علاقتي باُولئك الأشخاص رغم إصراره علىٰ إلصاق التهمة بي تأثّراً بتقرير رئيس السجن .

قال : انّ رئيس السجن أخبرني بأنّك كنتَ معهم :

قلت : انّ رئيس السجن قبل شهريْن طلب مني أن أخرج من الحجرة لكي يعطيها لمن يدفع له مائة من النقد الأفغاني شهرياً ، فخالفتُه وهو كان يترقّب فرصة لينتقم مني ، فأدرج اسمي في هذه القضية .

قال : لا يحقّ لك اتّهام رجل موظّف في الحكومة ، وانْ لم تُثبِت إدّعاءك هذا فسوف تدفع الثمن غالياً ، أُخرُج من الحجرة .

قلت : أثبِتُ لك بدليل عقلي وقانوني انّك لا تستطيع إخراجي من الحجرة ، سواء ثبت اتّهام رئيس السجن لي أم لم يثبت ، فإنّك بالمكابرة والتهكّم أيضاً لا تستطيع إخراجي من الحجرة ، إعرف حدودك ولا تتجاوزها فإنّ علاقتي تصل إلىٰ كبار المسؤولين في الدولة !

قال : الأفضل أن تخرج إلىٰ الصالة العامة لأن التدريس فيها أسهل لك أيضاً .

قلت : أنا أعرف الخطة بينك وبين رئيس السجن ، تريدان أنْ تتقاسما بينكما المائة من النقد الأفغاني في الشهر ، ولكنّي عازم علىٰ إفشال خطتكما ، ولقد عشتُ في هذا السجن أربع سنوات فلتكن أربعين سنة .

فهمس في أذن صاحبه المتواطيء (رئيس السجن) وأنا

اسمعه يقول : هذا رجل وقف بوجه الملك رضا خان (شاه إيران) أنا وأنت عنده لا شيء .

فقفل رئيس السجن باب الحجرة عليّ ومشىٰ ، ولكن بعض الجنود ممّن يودّونني كانوا يفتحون الباب حينما يخرج الرئيس .

صرتُ بهذا الأمر مدّة أربعين يوماً حيث انتهتْ التحقيقات مع الفارّين الأربع فتبيّن أني لستُ معهم . فجاء رئيس الشرطة بنفسه إلىٰ السجن واعتذر منّي بحضور جميع السجناء وعَزَل رئيس السجن ونَصَبه حارساً علىٰ مخزن الأسلحة والذي ليس وراءه مال ولا رشاوي .

فعاداني رئيس السجن علىٰ ما حصل له وكان يحاول الرجوع إلىٰ منصبه في السجن والإنتقام ثانياً ، فعرف بعضُ مَن كان يودّني من كبار المسؤولين في الحكومة الأفغانية فعزلوه عن كل خدمة حكومية ، فزاد حقدُه عليّ ، فدلّاه الشيطان إلىٰ أن يشتري بأمواله التي جمعها بالرشاوي شاحنة ينقل بها حمولات من (كابل) إلىٰ (جلال آباد) وهو يخطط للوصول إلىٰ داخل السجن بشكل من الأشكال للقضاء عليّ ، إلّا انّه سقط بشاحنته من طريقٍ جبليّ إلىٰ قعر نهر فغرق وتحطّمت عليه شاحنته وذهب إلىٰ ربّه بتلك الحالة من الذنوب الكبيرة .

انتشر خبر هذا الحادث بين السجناء والمسؤولين في السجن من أهالي (جلال آباد)، فالشيعة منهم اعتقدوا فيّ كرامة وأني من أولياء الله! والسُّنَّة قالوا أنّي ساحر، فقد قتلتُه بالسحر!

تفاعلتْ هذه القضية بين مؤيّد ومندّد، حتىٰ جاء أحد المندّدين إلىٰ رئيس الشرطة الجديد وقال له أن يمنعني من تدريسي للسجناء وإلقاء خطب الجمعة في السجن.

سأله رئيس الشرطة: مَن تقصد؟

قال: أقصد بُهلول.

فردّ عليه رئيس الشرطة: اذهب عنّي ولا تورّطني فيما تورّط فيه (علي أحمد خان ـ المقتول). إنّ بُهلول لا يُقاوَم، دعْهُ يعمل ما يريد ويقول ما يشاء، فقط أخبِرني إذا رأيته يدبّر عملية فرار.. هذا إذا حصلتَ عليه دليلاً موثَّقاً وإلّا لا تورّطْني معه وتورِّط نفسك في مهلكة!

وهذه حقيقةُ الأمر!

وهنا لابدّ لي أنْ أوضّح حقيقة الأمر حسب اعتقادي .. وهي أنّ عاقبة المرتشي ، أعني موت (علي أحمد خان) في حادث الشاحنة ليست كرامة منّي ولستُ أنا مستجاب الدعوة ، كما لستُ ساحراً ! بل انّ الحادث هو نتيجة طبيعية لظلمه الناس والسجناء . ولكي أُثبتُ لكم هذه الحقيقة إقرؤا معي القصة التالية التي حدثت في نفس السجن لرئيس ظالم آخر :

أمر هذا الإنسان جميع السجناء ببناء مخزن كبير في جهة من السجن ، ولأجل أن ينتهي البناء بسرعة فرض علىٰ السجناء جهداً غير مطاق ، فَمَنَعَهُم من وجبة الظهر وصلاة الظهر والعصر ، وقال : تعملون من الصباح إلىٰ الليل بلا أدنىٰ استراحة .

لقد وقف هذا الظالم علىٰ رقاب السجناء المساكين عاماً واحداً يعاملهم بهذه الطريقة . وحده الذي لم يتجرّء فرض هذا الظلم عليه هو أنا ، ولكنّي رأفة بحال زملائي المظلومين كنتُ أذهبُ بإرادتي أعمل معهم أي ساعة أشاء .

ولما انتهىٰ البناء وكان مشيَّداً جاء وزير الداخلية لينظر إلىٰ هذا الإنجاز ويفتتحه ؛ في ذلك اليوم رتّب رئيس السجن نفسه ومظهره بأفضل ملابسه ، وحَلَقَ لحيته ، فصار مثل (العروس) تنتظر استقبال الوزير لتستلم منه الجائزة ! ومن ناحية أُخرىٰ كان عنده ثمانية خرفان يحافظ عليها في السجن ، وهذا تصرّفٌ شخصي منه ، وبينما كان باب السجن مفتوحاً لدخول موكب الوزير ، خرج خروف من دون (استئذان السيد الرئيس) ودخل مزرعة مجاورة ليرتع ويهدم الزراعة ويدوس نتاج صاحب المزرعة .

في هذا الأثناء وصل الوزير لدىٰ الباب وكان سكْراناً فالتمس منه صاحب المزرعة أن يستمع إلىٰ شكواه ضدّ خرفان رئيس السجن . فسأله الوزير متعجّباً : وهل عنده خرفان هنا ؟

قال أحد السجناء الذي كان واقفاً عند الباب : نعم انّ لديه ثمانية خرفان هنا في السجن . فنظر الوزير وإذا بالفعل هناك مجموعة خرفان .. فدخل السجن غاضباً وطلب الرئيس واخذ في شتمه يقول: أيّها (...) أنت رئيس سجن أم راعي خرفان ، أنت الذي تعشق رَعْيَ الخرفان ليس مكانك هنا ، إذهب إلىٰ قريتك واشتغل بذلك عند أُمّك !

فصفعه الوزير وعزله وأمر بذبح الخرفان وتقسيم لحومها علىٰ السجناء حالاً !

وقصة أُخرىٰ في عاقبة الظلم والإرتشاء :

خرجت ذات يوم من السجن برفقة مراقب ، فرأيت في إحدىٰ شوارع (كابل) شاباً يحمل طيراً ، فأوقفه شرطيٌّ واتّهمه انّك تريد هذا الطير لأجل المصارعة مع الطيور الأُخرىٰ .. أما تدري أنّ هذا الأمر ممنوع ؟! ثم أشار إليه : حسناً أعطني (رشوة) لأُخلّي سبيلك .

قال الشابّ : عندما رأيتَني أعمل شيئاً ممنوعاً يحقّ لك أن توقفني .

وقفتُ أنظر إليهما لأرىٰ نتيجة هذا الموقف ...

فغَضِبَ الشرطي وانتزع ذلك الطير من يد الشاب ، وقلع بيده رأسه بوحشية ، ثم رماه علىٰ الشارع ، فأخذ الطير يحتضر حتىٰ مات، وبينما قد أدبر الشرطي ومشىٰ عن الشاب بتبختر وغرور أتتْ شاحنة من الخلف فصدمتْه فسقط علىٰ بُعْدِ مسافة ، فلما جئناه رأيناه مقطوعاً إلىٰ نصفيْن ، الرأس واليديْن من البطن جانباً ، والرجليْن جانباً .

نعم هذه عاقبة الظلم سواءً كان المظلوم إنساناً أو طيراً ، اللهم جنّبنا من الظلم وأبعدنا عن الظالمين .

كيف تمّ الإفراج عنّي ؟

من الواضح في البلدان المتخلّفة أنّ المعتقل الذي ليس عنده قريب أو صديق يحمل قضيتَه ويطالب بالإفراج عنه يَبقىٰ منسيّاً في السجن ما دام العمر . وأنا كنتُ من المنسيّين إذ لم يكن عندي أحد في افغانستان يتحرّك لإطلاق سراحي الذي كان قراره بيد الملك ورئيس الوزراء فقط ، والذين كانوا يودّون خروجي من السجن لم يتمكنّوا من الوصول إليهما ، والذين كانوا يتمكنّون من الوصول لم يودّوا خروجي من السجن . ولكن إرادة الله فوق كل الإرادات ، ففي اليوم الذي شاءت إرادته عزّوجلّ ورأىٰ في خروجي من السجن مصلحة وفائدة أكبر رتّب المقدّمات من حيث لا أحتسب .

وكانت المقدّمات أوّلاً هو تدهور العلاقات بين حكومة افغانستان وحكومة باكستان ، فأخذتْ إذاعتاهما تتراشقان بالكلمات الحادّة وتكشفان سوءات بعضهما البعض ، فممّا قالتْه إذاعة باكستان للتنديد بحكومة افغانستان : انّها تحتجز في سجنها لاجئاً سياسياً من ايران واسمه (الشيخ بُهلول) إكثر

من ثلاثين عاماً دون محاكمة ولا ذنب . فرفع أعضاء البرلمان الافغاني احتجاجاً إلىٰ الحكومة وكان في الأعضاء أفراد من الشيعة قاموا بتحركٍ جيّد في هذا الأمر ، إلّا أنّ الحكومة رفضتْ الإنقياد لهذه الضغوطات .

فجاء عامل آخر في هذا الوسط ، وهو المحافظ المدعو (غلام صديق خان) الذي كان محبّاً للأُدباء والعلماء اذ تعرّف علىٰ شخصيتي وأخذ يتحرّك لإطلاق سراحي ، فاتّصل بوزير الداخلية ورئيس الوزراء وهما صديقان له منذ أيام دراستهما حتىٰ تخرُّجهما من جامعة امريكا . فوافقا علىٰ الإفراج عنّي ماعدا وزير المالية ووزير الخارجية ووزير الدفاع ، إلّا انّ هؤلاء الثلاثة قدّمت لهم شيعة (كابل) علىٰ خمسة آلاف من النقد الأفغاني والمجموع خمسة عشر ألف ، فوافقوا أيضاً علىٰ إطلاق سراحي ، وهؤلاء كلّموا الملك ورئيس الوزراء في الأمر .

وهكذا جاء الأمر مخيَّراً بين أن أعيش في افغانستان حُرّاً أو أعمل مدرِّساً في دار العلوم العربية ، وبين أن أعود إلىٰ ايران ، أو أختار أي بلد آخر أُسافر إليه .

ولقد اخترتُ السفر إلىٰ مصر إذ كان آنذاك يرأسها (جمال عبدالناصر) المخالف لحكومة البهلوي في ايران . فتمّ التنسيق

بين الحكومة الأفغانية والمصرية فوافقتْ الأخيرة علىٰ دخولي مصر لاجئاً سياسياً ، فَطِرْتُ جوّاً عبر الهند وأقمتُ عاماً ونصف عام في القاهرة أنشُر عبر الإذاعة والتلفزيون المصري ضدّ إسرائيل وامريكا وحكومة ايران مقالات وقصائد ثورية باللغة العربية والفارسية .

بعد هذه المدّة طلبتْ منّي إبنة أُختي في العراق أن أنتقل إليها ، ولمّا كانت الحكومة العراقية مخالفة لحكومة ايران الشاه غادرتُ مصر إلىٰ العراق ، وبقيتُ هناك عاميْن ونصف عام من دون التراجع عن مواقفي تجاه الحكومة الإيرانية ، فقد كنتُ أُحاضر وأُلقي خطابات في التنديد بسياسة الشاه ومظالمه للعباد .

وعندما رجعتُ الىٰ الوطن

أخذتْ الحكومة العراقية تُبْعِد الايرانيين إلىٰ ايران ، ففكّرتُ أنْ أُسلّم نفسي لإيران من دون شرط قبل أن تسلّمني الحكومة العراقية ذليلاً . فذهبتُ إلىٰ القنصلية الايرانية في كربلاء ، فاتّصل القنصل بالسفارة في بغداد ، واتّصل السفير مباشرةً بشاه ايران وتكلّم معه في الموضوع لأهميته ، وجاءت الموافقة سريعاً بالطبع . وما أنْ وضعتُ قدمي علىٰ أرض الوطن حتىٰ نقلوني إلىٰ سجن طهران ، ولكنّهم لم يعذّبوني أبداً وإنّما خلال خمسة أيام متتالية استَجْوَبوني عن نشاطاتي كلّها ضدّ الحكومة الشاهنشاهية بدءاً من فاجعة مسجد (گوهر شاد) ومروراً بتاريخي في سجون افغانستان وانتهاءً بذهابي إلىٰ مصر والعراق .. فلخّصتُ لهم تاريخ نضالي في هذه السنوات الأربعين بلا تحريف وتزوير ، لأنّي كنتُ عَلَنياً في معارضتي للظلم أينما وجدتُه . وكان الذي يحقّق معي هو (نصيري) رئيس (السافاك ـ جهاز الاستخبارات الايرانية) حيث أَخَذَ الأوراق إلىٰ الشاه . وهكذا أصْدَر الشاه عفواً بحقّي علىٰ أن لا أعود إلىٰ المعارضة والعمل السياسي .

وهنا انقل لك اعتقادي في سبب إصدار العفو ، فلقد سألني رئيس (السافاك) عن سبب تسليم نفسي الىٰ الحكومة . فأجبته بجواب اتصوّر انه جعل الشاه يُصدِر حكم العفو .. والجواب

الذي قلتُه هو انّي وجدتُ الحكومة العراقية تستعد لحرب ايران واحتلال خوزستان ، وهذا يعني ان أصبح أداة بيدها ضدّ وطني ، من هنا قرّرتُ القدوم إلىٰ أرض الوطن رغم عدائي لسياسة الحكومة وعدم تغيير موقفي الأول ، وانما الذي تغيّر هو الظروف المستجدة ، تماماً مثل عداء حكومتَي الروس والإنجليز الذي تحوّل إلىٰ تحالف بينهما في مواجهة الخطر الألماني .

وسؤال آخر أجبتُ عليه ولعلّه كان مؤثّراً في قرار العفو عنّي ، إذ سألني نصيري : أما خفتَ من الإعدام حينما سلّمتَ نفسك ؟ قلت له : أنا لستُ أقل من الفيلسوف اليوناني سقراط الحكيم ، إقرء كتاب (محاكمة سقراط وإعدامه) وانظر شجاعته في احتضان الموت الشريف ، لماذا أخشىٰ الموت ؟ فالذي له أقارب في (مدينة مشهد) وأقارب في (طهران) لا يَفرُق عنده العيش هنا أو هناك ، فأنا لي أقارب في (الآخرة) فأبي وأُمّي وأُختي وزوجتي والعديد من أهلي ميّتون وهم أحياء في عالَم البرزخ ، ولي أقارب في (الدنيا) فبنات أُختي وعمّاتي وخالاتي وأولادهنّ وأولاد أعمامي وأخوالي موجودون هنا ، فلا يفرق عندي بعد هذا العمر أن أكون عند أهلي في (الدنيا) أم عند أهلي في (الآخرة) !![1]

---

(١) وعاقبةُ الصبرِ الجميل جميلةٌ وأفضلُ أخلاقِ الرجال التفضُّلُ

« المترجم »

خاتمة المترجم

أيها القاريء اللبيب :

حينما تخرج من سوق وبيدك مشترياتك ، فانّك لم تكن قد اشتريتها الاّ لتستفيد منها ، أليس كذلك ؟

والآن قد خرجتَ من هذا الكتاب ، وسؤالي :

ماذا حصلتَ من قراءتك فيه ؟

كثيرٌ أُولئك الذين ينتهون من قراءة كتابٍ دون حصولهم علىٰ مصابيح تنير لهم طريق التقدّم والنجاح أو تفك لهم عقد الحياة . أرجو أنْ لا تكون من هؤلاء الكثيرين ! ولكي تتأكد أنّك لست منهم أعِدْ قراءتك للعناوين مرّة اخرىٰ لتستذكِر المفاهيم التي جاءت تحتها ، ثم قرّر أن تكتشف منها العِبَر اللازمة التي توجّه تصرّفاتك اليومية نحو الأحسن في كل شيء ، وهنا سوف لاتحتاج الاّ الىٰ ثلاث : (الإرادة ـ الانتباه ـ الطاعة) . يقول الشاعر :

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيكَ نُصْحُه ... ولا كلُّ موفٍ نُصْحُه بلبيبِ

ولكن إذا ما استجمعا عندَ واحدٍ ... فحقٌّ له مِن طاعةٍ بنصيبِ

لقد قرأنا معاً في هذه المذكرات مقابلة الدين واللادين .. مقابلة العلم والجهل .. مقابلة الصدق والمكر .. مقابلة الحقيقة والزيف .. مقابلة الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة .. مقابلة المعنويات والماديات .. مقابلة الصبر والتخلّف .. مقابلة الجهاد والخنوع .. مقابلة الحكمة والصلافة ..

وهذه كانت صفة التأريخ مذ بدأ الانسان الحق يعيش مع الانسان الباطل في سُنَّة الصراع ، ولازالت الحالة يعيشها الناس في عصرنا باشكالها المتفاوتة . ولكن الاسلام ماذا أراد من الذين يعيشون بأسمه ويأكلون علىٰ مائدته ؟!

هل أراد لهم الصفات الاولىٰ أم الثانية ؟

لايمكن تحوير الاجابة خدمةً لهوىٰ النفس فالاسلام أوضح من الشمس في رابعة النهار ، لأنّ الاسلام رسالة من نور اللّه قد جاء بها محمد ﷺ وقرأها بصوت يسمعه آخر انسان يأتي علىٰ وجه الأرض. هذه الرسالة تطالب المؤمنين خاصة أن يتّصفوا بصفات الحق ولايلينوا فيها حتىٰ اذا لانَ غيرهم أو لاموهم عليها .. قال اللّه تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذينَ آمَنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوفَ يأتِي اللّهُ بِقومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه أذِلَّةٍ عَلىٰ المُؤمِنِينَ أعِزَّةٍ علىٰ الكافِرِين يُجاهِدُونَ في سبيلِ اللّه ولا يَخافُونَ لَومَةَ لائِمٍ ذلكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاء واللّهُ واسِعٌ عَليم ﴾[1] .

إن حياتك أيها الانسان مرّة واحدة ، فلا تبذرها فيما يجلب لك ندامة ، وتسألني ماذا أصنع بها ؟ أقول إن خير ما تصنع بها أن تضعها في طريق صانعها جلّت عظمته ، أما تحبّ أن تكون عبداً صالحاً لله القادر علىٰ كل شيء دون استثناء ، وأهمّ الأشياء سعادتك الأبدية في الجنّة ، فما أحلاها وأجملها ، وهي تحت قدرة اللّه وحده دون غيره .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٥٤ .

ولكن كيف تضع دقائق حياتك علىٰ هذا الطريق ؟

تَذَكّر أولاً وأبداً قيم السّماء ، وهي حدود الله التي قال عنه القرآن الكريم ﴿ فلا تعتدوها ﴾[١] فانه : ﴿ ومَن يتعدَّ حدود اللهِ فقد ظَلَمَ نفسه ﴾[٢] أما سمِعتَ قوله سبحانه : ﴿ تلك حدودُ الله ومَن يُطِعِ اللهَ ورسولَه يُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجْري مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلك الفوزُ العظيم ومِن يعْصِ اللهَ ورسولَه ويتعدَّ حدودَه يُدْخِلْهُ ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهُين ﴾[٣] .

فلكي تقلع جذور المشاكل من حياتك وحياة أُمّتك الإسلامية ولكيلا تعايش ضعْف شعبك وتداعي كيانه يجب فهم الواجب الاسلامي عليك ثم الإحساس العملي بالمسؤولية التي تمليه عليك القيم والقواعد الإسلامية ، واليك ما ان دعونا اليه في نهضة توعوية شاملة تغيّرت احوال امّتنا الىٰ الأفضل تدريجياً ، تلك هي ما نقرؤه في الآيات السَبْع التالية مع تساؤلاتنا الناقدة لواقعنا المعاكس لها :

● **آية الأُخوّة :**

إذا كان الله تعالىٰ يقول : ﴿ إنّما المُؤْمِنونِ إِخْوةٌ فأَصْلِحوا بينَ أَخَوَيْكم واتّقوا اللهَ لَعَلّكُم تُرْحَمون ﴾[٤] .

فلماذا التسميات القومية والعصبيات المذهبية والتحزّبات الجاهلية والخلافات الصبيانية بين الإخوة المؤمنين ؟!

---

(١) سورة البقرة/ ٢٢٩ .

(٢) سورة الطلاق/ ١ .

(٣) سورة النساء/ ١٣ ـ ١٤ .

(٤) سورة الحجرات / ١٠ .

● آية الأمة الواحدة:

إذا كان الله سبحانه يقول: ﴿ وإنَّ هذِه أُمَّتُكُم أُمَّةً واحدةً وأَنـا ربُّكُـم فاتّقون ﴾(١).

فلماذا الحدود الجغرافية بين الأُمّة الإسلامية الواحدة وفرض قوانين الإقامة وتأشيرة الدخول والتشدّد فيها إلىٰ درجة الإضرار بالمسلم وإيذائه وإتلاف فرص التعارف والعمل والدراسة والنجاح عليه ؟!

وبينما الغربيون الذين صدّروا الينا هذه القوانين صاروا فيما بينهم يتخلّون عنها ولكن صار حكّامنا أشدّ تمسّكاً بها.

● آية الحرية:

إذا كان الله عزّوجلّ يقول: ﴿ ويَضَعُ عنهم إصْرَهم والأَغْلالَ الَّتي كانتْ علَيْهِم ﴾(٢).

فلماذا مصادرة مئات الحريات وتكبيل حياة المسلمين بمئات المحرّمات والبدع السياسية وغير السياسية ؟!

● آية التأسّي:

إذا كان الله جلّ جلاله يقول: ﴿ لقد كانَ لكُم في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ يَرْجوا اللهَ واليوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كثيراً ﴾(٣).

فلماذا التأسّي بالنماذج الدخيلة علىٰ الفكر الإسلامي وترك النماذج

---

(١) سورة المؤمنون / ٥٢.
(٢) سورة الأعراف / ١٥٧.
(٣) سورة الأحزاب / ٢١.

الرسالية وفي مقدّمتها رسول اللّه وعترته الطاهرة عليهم السلام ثم نوّابهم الأمثلون فالأمثلون ؟!

● آية التعاون :

اذا كان اللّه سبحانه يقول : ﴿ وتَعاوَنوا علىٰ البِرِّ وَالتَّقوىٰ ولا تعاوَنُوا علىٰ الإثمِ والعُدْوانِ واَتّقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شديدُ العِقاب ﴾[1] .

فلماذا التعاون علىٰ الإثم والعدوان ونفي التقوىٰ ؟!

● آية السِلْم :

اذا كان اللّه سبحانه يقول : ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنوا ادخُلُوا في السِّلْمِ كافَّة ولا تتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إنّهُ لكُم عَدُوٌ مُبِين ﴾[2]

فلماذا سفك الدماء ونشر الذعر والخوف والتوتر ؟!

● آية الاستجابة :

إذا كان الله تبارك شأنه يقول : ﴿ يـاأيُّها الَّـذين آمَـنوا اسْـتَجيبوا للهِ وللرَّسولِ إذا دعاكُم لِما يُحْييكُم ﴾[3]

فلماذا الإستجابة لأعداء اللّه والرسول ، أ لأنّهم يدعونا لما يحيينا أم لما يميتنا ؟!

هذه الآيات والتساؤلات تهتف فينا الىٰ الإصلاح وتنادينا حيَّ عـلىٰ الفلاح . إنّها تساؤلات عن حدود الله المنسيّة عند أكثر المسـلمين ، ومـا أنستهُم إلاّ إتّباعهم لخطوات الشيطان .

---

(١) سورة المائدة / ٢.

(٢) سورة البقرة / ٢٠٨.

(٣) سورة الأنفال / ٢٤.

ولا يبدو من الخطأ ما يعتقده ذوو المعرفة أنّ أكثر الحكام قد لعبوا دوراً أساسياً في نفي الاسلام عن حياة المسلمين ، وأنّهم لم يتمكّنوا تطبيق بعض القيم الانسانية التي طبّقها أسيادهم في بلدانهم . وصدق الشاعر :

إنّـــا لَـــنأمَل أنْ تـــرتدَّ أُلْـــفَتُنا

بـعد التـدابُـرِ والبَـغضاءِ والإحَـنِ

حتىٰ يُـثابَ عـلىٰ الإحسـانِ مُحْسِـنُنا

ويأمَـــنَ الخـائِفُ المَأخـوذُ بـالدِّمَنِ

وتَـــنقَضي دولةٌ أحكـــامُ قـــادَتِها

فِـــينا كأحكـامِ قَـومٍ عـابِدي وَثَـنِ

أرجو من الله أن ينبّهنا جميعاً من نومة الغافلين ونُذعن لنداء الحقّ قبل فوات الأوان . ﴿ إنّ الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتّىٰ يُغيِّروا ما بأنفسِهِم ﴾ [١].

وخير الختام ما وعظنا به ربّ الأنام : ﴿ قل إنّما أعِظُكُم بـواحـدة أنْ تقوموا للهِ مَثْنىٰ وفُرادىٰ ثم تتفكّروا مابصاحبكم من جِنّة ... ﴾[٢].

* * * * *

تمّ الفراغ النهائي من الترجمة والمراجعة والارسال الىٰ المطبعة في يوم (١٥ / شهر رمضان المبارك / ١٤١٩) ذكرىٰ ميلاد الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام في مدينة قم المقدسة ، والحمد للّه علىٰ ذلك وله الشكر .

---

(١) سورة الرعد / ١١.

(٢) سورة سبأ / ٤٦.

المحتويات